

مُهَمَّةُ الْخَرْزَالِي

جَهَادُ الْفُرُور

دار الشروق

المقدمة

أحس قلقا بالغا على مستقبل الإسلام وأمته وأوطانه ، فإن القوى المخاصة له تطبع في استئصال حقيقته ، واستباحة بيضته .

وهي ترى أن الظروف ملائمة لبلوغ هذه الغاية الهائلة .. !

وعندما انظر إلى الواقع الكثيب أجد أعداءنا يتقدمون بخطا وثيدة وخطط ضريرة حينا ، ماكرة حينا آخر .. .

ولكنها خطط مدروسة على كل حال ، محسوبة المبادئ والنهایات ، لا مكان فيها للدعاوی والمعجالات ، ولا للارتجال والمجازفات .. !

أما نحن المسلمين فعلى العكس من ذلك كله .. .

وقد نكتب تقدما ما في بعض الميادين وسرعان ما نفقد ثماره في ميادين أخرى تكون خسائرنا فيها أبهظ .. .

وعندما أشعر بأن حلقات الحصار تضيق حول الإسلام ، وأن مكاسب عداته تكثر على مر الأيام أتساءل : هل وعلى تاريخنا الطويل أحوالا في مثل هذه القساوة والخباثة ؟

وأتعدد في الجواب قليلا !!

لقد سقطت الدولة الإسلامية قديما ، وناوشها الأعداء من الشرق والغرب ، واحتلوا عواصمها ، وألحقوا بها أفحى الخسائر .. . ومع ذلك نهضت من عشرتها واستأنفت المسير ، فلم لا تكون ظروف اليوم كظروف الأمس ؟

وأقول لنفسي : لعل !! ثم أدرك أنني أغالط ، لأسباب ينبغي شرحها إن أردنا مواجهة الحقيقة والنجاة من عواقب الخداع .. .

لقد أقام الاستعمار العالمي «إسرائيل» في أرضنا من عشرين سنة وكان الإنجليز قبل ذلك بثلاثين سنة يخلقون الجو الذي يمهد لقيام إسرائيل ويستجلبون اليهود من كل بلد لينشئوا على أنقاضنا كيانهم الجديد ..

وإذا كانت هذه السنوات الخمسون قد وعّت الإعداد والتنفيذ في فلسطين فإنها قد وعّت أيضاً التدوين والتقويم للعرب حول فلسطين، من المحيط الهادر إلى الخليج التأثير كما يحلو للبعض أن يصف حدود الأمة العربية الثالثة .. !!

ونشرح ما نعني فنقول : إن اليهود الذين بدأ استجلابهم من سنة ١٩١٧ لم يضيعوا ساعة عننا .

لأنهم تمثّلوا بقول الشاعر :

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً ! إن الحياة عقيدة وجهاد .. !!

فشرعوا الفورهم يتحولون اليهودية إلى عقيدة بعث وبذل، وفداء وإخاء ! ثم كرسوا
أعمارهم لعمل موصول الجهاد بالليل والنهار ..

وأخذت أوروبا وأمريكا تمدان جرثومة العدوان الجديد بما تشاء كي تضمنا لها التفوق والنصر.

أما العرب فإنهم في أرضهم الواسعة كانوا يمضون متهدرين إلى القاع ..

العقيدة في بلادهم وهي الإسلام تذبل وتنكمش ، وروح الجهاد تناوشها اللذات المطلوبة والشهوات الغالية .

الخمسون السنة التي أعقبت وعد بلفور شهدت إحياء لليهودية وللقتال من أجلها في فلسطين !!

وشهدت في الوقت نفسه إماتة للإسلام، أو إضاعة لتعاليمه وشرائعه، أو إهانة لحدوده وحقوقه، أو تناكر العنوانه وشعاره في الأرض العربية من المحيط إلى الخليج، مع حذف وصفى «الثائر الهاادر» لحدود هذه الأمة العربية الجديدة التي خلقها البعضون والقوميون !! .

تلك الأمة التي رأت - بدولها الأربع عشر - أن توهى صلتها بالأمة الإسلامية الكبيرى، لأنها أوهت صلتها بالإسلام ذاته .. !

وجاءت النتائج كما رسم الاستعمار الذي أقام إسرائيل .

انهزم العرب أمام اليهود من سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٦٧ في حروب متتابعة . والسبب واضح فإن روح الله لا تغلب روح الجد ، وفائد الإيمان لا يقاوم من يتحركون بيقين راسخ ..

والواقع أن اليهود كسبوا معاركهم ضدنا منذ أفلح الغزو الشعافي في زحزحتنا عن ديننا ، وتهوين قيمه ومثله وأحكامه أمام أعينا ، ومنذ أفلح في خلق شباب يقاد من غرائزه الجنسية ، ويغرس بعبادة الحياة الدنيا وينسى ربه وآخرته ..

إن مصدر خشى على الإسلام هو موقف العرب من دينهم !

إن العرب يريدون أن يدخلوا بغير دين في معركة دينية ..

ومع أن مطارق الهريمة التي وقعت على أم رأسهم كانت كفيلة بإزالة هذا الوهم إلا أن عملاء الشيطان يستميتون في مكافحة هذه البقظة ، والحلولة دون اعتناق العرب للإسلام ، كلا لا يتجزأ ..

ولا يستغربن أحد هذا التعبير !!

فإن العودة إلى الإسلام لا تقبل إذا كانت كلمات تمرق من الأفواه ولا علاقة لها بالواقعين الفردي والاجتماعي ..

لكي تكون العودة إلى الإسلام صحيحة لابد من أمور ثلاثة :

(أ) هيمنة التربية الدينية على مراحل التعليم كلها .

(ب) رد جميع القوانين إلى الفقه الإسلامي ، وربطها ربطاً موئقاً بالشريعة الإسلامية .

(ج) تحكيم الإسلام في التقاليد الاجتماعية السائدة ومحو ما يخالف الدين ، وإثبات ما يلائمه .

ويوم يحس جماهير العرب بأن أمورهم تسير إلى هذه الوجهة فسوف يندفعون كالسيل وراء حكوماتهم ، ويومئذ تماع إسرائيل كما يذوب الملح في الماء ، فلا يبقى لها شكل ولا موضوع ..

لقد تأملت في الصورة التي تمت بها هزائمنا خلال العشرين السنة الأخيرة فرأيت ما يدعو إلى الدهشة ..

كنا أكثر من عدونا عدداً ، وأقوى عدلاً ..

ولو فرضنا جدلاً ، أنتا كنا مثله أو دونه قليلاً فإن من المقطوع به أننا لم نحسن القتال بما حملنا من سلاح ، ولا ثبّتنا به المدة المناسبة ، ولا آذينا به عدونا الإيذاء المستطاع ..

كانت هزائمنا فريدة فيما تركه من انطباعات مخزية .

إننا هزمنا أنفسنا ، وقللنا خصومنا شرقاً وفجروا به ..

وما تقول في قوم ينبهون إلى أنهم قد يهاجمون يوم كذا .. فإذا هم في هذا اليوم غافلون عن نياتهم ، أحرقت طائراتهم على الأرض ، وبوغتوا بما شل حراكم خلال ساعات ، وأكسبوا اليهود دعاوى عريضة ، وتركوا جيابها ت قطر من الحياة والنذل !!

كانت أسباب الهزيمة خلقية ، ودينية قبل كل شيء وبعد كل شيء ..

ومع ذلك فإن العرب ابتلوا بن يكذب عليهم يوم ماحتهم فيتحدث عن تفوق اليهود العسكري ومهاراتهم « التكنولوجيا » .

أى تفوق وأية مهارة ؟؟

وتذكرت قصة الريفي الذي جاء إلى القاهرة ، واشتري الترام من أحد المحتالين .. إن هذه القصة لا تدل على عبقرية المحتال قدر ما تدل على أن المشتري مغفل كبير ..

والذين يرجعون أسباب هزيمة العرب أمام اليهود - وخصوصاً في المعارك الأخيرة - إلى عبقرية اليهود إنما يريدون مواراة قصة استفال محزنة ..

إنهم يريدون أن تذهل عن عيناً كي تكرر المأساة نفسها ..

لقد علم القاصي والداني أن اليهود امتدوا في فراغ ، وأن رجالنا يوم اللقاء كانوا في سكرتهم يعمهون ، وصدق القائل :

رب أصحاب محزنات يتركها المرقص اللعب !!

فهل نعمى عن علتـا المهلكة ثم نسبـ النـتائج إـلـى الوـهـمـ ، ونـزـعـمـ أنـ اليـهـودـ غـلـبـونـاـ لـعـقـرـيـتـهـمـ الـحـرـيـةـ وـتـفـوـقـهـمـ فـيـ كـذـاـ وـكـذـاـ ..

يقول التاريخ إن شبـهاـ لـهـذـهـ المـأسـاـةـ وـقـعـ منـ تـسـعـةـ قـرـونـ ، فـقـدـ انـهـزـمـ العـربـ أـمـامـ الحـمـلـةـ الـأـوـلـىـ لـلـصـلـيـبـيـنـ دونـ سـبـبـ معـقـولـ !!

كان الصليبيون قد هبطوا من أوروبا إلى الشرق الأوسط وهم يجررون أقدامهم جرا ،

وبلغت بهم الماجاعة إلى حد أن أكلوا الجيف ، ولم تكن ظروفهم تمكّنهم من كسب أي معركة .

ومع ذلك فقد هزموا العرب الموفوري القوة والعدة والصحة والشبع . وذبحوا سبعين ألفاً منهم في القدس !!

لماذا ؟ لأن العرب كانوا في حالة من الفرقة والبطر والفسق والغفلة تحرّمهم من رعاية الله ، وتبعدهم النصر القريب .. !

كذلك انهزمنا اليوم ، وبين أصحابنا من أسباب الغلب ما لـ ساند الإيمان الصاحي ، والحماس الصادق ، لروع اليهود ومن وراءهم .. .

لقد سمعت رجلاً يعلق على ضرب اليهود لمطار بيروت تعليقاً مرا ، يقول : أينزلون ، ويحرقون الطائرات ، ويمكثون في المطار ريثما ينفذون مرادهم ، ثم يصعدون دون أن يفقد جندي منهم نعله !!

لو أن مع رجل واحد مسدساً لألحق بهم بعض الخسار !!

لو أن هناك رجالاً يحملون العصى فقط ما عاد اليهود سالمين على هذا التحول !!
لكان القوم كانوا في نزهة !!

يا حسراً على العباد ، أين الرجال ؟؟

والجواب ضاعوا مع ضياع الإيمان !!

إن الدين بالنسبة لنا نحن المسلمين ليس ضماناً للأخرة فحسب إنه أضخم سياج دنياناً وكفاف يقائنا .

ومن ثم فإني أنظر إلى المستهينين بالدين في هذه الأيام على أنهم يرتكبون جريمة الخيانة العظمى ، إنهم - دروا أو لم يدروا - يساعدون الصهيونية والاستعمار على ضياع بلدنا وشرفنا ويومنا وغدننا .. !!

فارق خطير بين عرب الأمان وعرب اليوم .

الأولون لما أخطروا عرفوا طريق التوبة ، فأصلحوا شأنهم ، واستأنفوا كفاحهم ، وطردوا عدوهم .. .

أما عرب اليوم فإن الاستعمار الثقافي أحدث تخريباً شديداً في ضمائركم وأفكاركم ، وربما رأيت الواحد منهم يبلغ الأربعين أو الخمسين من عمره ولا يعرف كيف يصلى ! أما حصيلته من سائر المعارف الإسلامية فتذبذب عند درجة الصفر !!

وهذا الجيل الفارغ القلب واللب صيد سهل للمذاهب المادية أو للمبشرين وسماسرة الغرب ، لأنـه - مهما كبرت الوظائف التي وضع فيها لم يتجاوز مرتبة الطفولة من الناحية الدينية .

وقد يعترض نفر من هؤلاء على العودة إلى الإسلام اعتراضاً مكتشوفاً ، أو مطرياً ، إما لأنه فاسد النفس ، أو لأنـ الجهل أثراه وحـره .

يقول أحدهم : إنـ العودة إلى الإسلام سوف تغضـب المسيحيـن العرب !

قلـت : لماذا يغضـبون ؟ إنـنا لا نـسخـط على تمـسكـهم بالنصرانية ولا نـعـترـضـهم في ذلك ..

ومن الذي قال إنـنا نـرضـى الآخـرين بـترك دـينـنا ؟ وإذا كان الآخـرون لا يـرضـون إلا بذلك فمن الذي يجعل لهذا الرضا قيمة ؟

ويـقولـ ثـانـ : إنـ العـودـةـ إـلـىـ إـلـاسـلـامـ سـوـفـ تـغـضـبـ الشـيـوعـيـيـنـ وـهـمـ الـذـيـنـ يـمـدـونـناـ بـالـسـلاحـ !!

قلـتـ إنـ الشـيـوعـيـيـنـ تـهـمـمـ مـصـالـحـهـمـ ، وـهـمـ إنـماـ يـسـوـؤـهـمـ أـنـ تـأـخـذـ أـسـلـحـتـهـمـ وـنـسـلـمـهـاـ لـلـيـهـودـ ! فإذا تـعـاملـواـ معـ رـجـالـ يـقـدـرـونـ الـيدـ الـمـسـدـاءـ ، وـيـحـسـنـونـ النـكـاـيـةـ فـيـ عـدوـهـمـ كـانـ هـذـاـ خـيـرـاـ لـهـمـ وـلـنـاـ ..

ويـقولـ ثـالـثـ : إنـ أـمـريـكاـ تـسـاعـدـ إـسـرـائـيلـ بـدـوـافـعـ صـلـيـبيـةـ مـطـوـرـةـ فـإـذـاـ أـعـلـنـاـ إـسـلـامـاـ وـتـشـبـيـهـ أـسـفـرـتـ عـنـ وـجـهـهـاـ وـأـعـلـنـتـ عـلـيـنـاـ حـرـبـاـ مـكـشـفـةـ ..

قلـتـ إنـ أـمـريـكاـ لـمـ تـدـخـرـ جـهـداـ فـيـ تـقـلـيبـ الـيـهـودـ عـلـيـنـاـ ، وـلـوـ أـنـهـاـ فـعـلتـ مـعـ إـسـرـائـيلـ مـافـعـلـهـ فـيـ فـيـتـنـامـ مـاـ بـالـيـنـاـ يـهـاـ لـوـ كـانـ أـصـحـابـ إـيمـانـ ..

ويـقولـ رـابـعـ : لـاـ مـانـعـ مـنـ عـودـةـ إـلـىـ بـعـضـ إـلـاسـلـامـ ، أـمـاـ عـودـةـ إـلـيـهـ كـلـهـ فـصـعـبـةـ ، وـقـدـ تـغـيـرـ الزـمـانـ ..

قلـتـ : الـكـفـرـ يـعـضـ الـقـرـآنـ كـفـرـ بـهـ كـلـهـ ، وـإـلـاسـلـامـ هـوـ الـحـلـ الـأـوـحـدـ لـجـمـيعـ مشـكـلـاتـنـاـ الـمـعاـصـرـةـ ، وـلـيـسـ هـنـاكـ عـاـنـقـ أـمـامـ عـودـتـنـاـ لـدـيـنـاـ لـوـ أـرـدـنـاـ ..

إنـ الصـعـوبـةـ الـمـدـعـاةـ هـيـ فـيـ نـفـوسـنـاـ نـحنـ ..

تـلـكـ الـغـوـسـ الـتـىـ ضـلـلـهـاـ الـغـزوـ الـشـاقـيـ الـحـاـقـدـ عـلـىـ إـلـاسـلـامـ .. فـجـعـلـهـاـ تـحـسـبـ حـسـابـاـ لـكـلـ شـيـءـ إـلـاـ لـلـهـ وـحـدـهـ ..

إن العراق يبتنا وبين بني إسرائيل سوف يمتد سينين عددا، فإذا أحببنا أن نذوق
حلاوة النصر فالطريق إليه بيته ..

أما إذا كررنا أنفسنا القديمة، وأساليبنا القديمة، فلن نحصل إلا ثمرات الغرور، وما
أبغض مذاقها وأمره !!

إنه ليحزننى أن أرى العرب يتخلون عن رسالتهم العظمى .
أو يأخذونها بضعف واسترخاء .

أو ينخدعون ما يحلو لهم ويهملون ما لا تهوى أنفسهم .
أو يخشون الناس ولا يخشون الله ..

إن عقبي ذلك هو ما بلوانا مبادته، ولا تزيد أن نجر بواقيه ..
إننا نجأ بهذه الصيغات لعلها تفع في مداعفة ما لا نطيق من بلاء ..

وقد كنت - بحسنة المؤمن الغيور - أرصد أحوال الأمة العربية قبل الهزيمة
وبعدها، فأشعر بمدى قريبا أو بعدها عن دينها، ومدى قدرة التيارات الأجنبية على
التطويق بها هنا وهناك ..

وكلما قرأت كلمة ضالة، أو سمعت تعليقا منحرفا، أو تدبّرت توجيهها زائفًا
أمككت^(١) بالقلم لأرد في نطاق ما أستطيع قوله وعمله ..

غير أنني لم أتبين إلى هذه الساعة انعطافا حقيقيا نحو الإسلام يعيد بناء الأمة العربية
داخل إطاره الواضح .
وذلك سر إشفاقي وقلقي .

« قل ربِّي إِمَّا تُرِبِّنِي مَا يَوْعِدُونَ ».
« ربِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ».
« وَإِنَّا عَلَى أَن نَرِيكَ مَا نَعْدُهُمْ لِقَادِرُونَ »^(٢).

الفقير إلى الله تعالى

محمد الغزالى

(١) - الفصول المنشورة هنا بعض ما أديت به واجبي كاتبا أو محاضرا، وقد رأيت جمعها في سياق متقارب
ميسور التناول كى تخدم القضية التي يجب نصرها ودعمها، استبقاء لديتها وأمتنا ..

(٢) - المؤمنون : ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ .

صراع بين رسالتين

كان بنو إسرائيل أول أمرهم ممثلين لعقيدة التوحيد وسط شعوب قلما تعرفحقيقة الإيمان بالله واليوم الآخر.

والآنفرا بعقيدة صحيحة بين أمم ضالة يتطلب غير قليل من العناء والمصايرة، فقد سأام الإنسان تكاليف الغربة الروحية، وقد يمتلى بمن يضيق به وبعقيدته ويحاول فنته عنها .. !

ومن هنا رأينا يعقوب يجمع أبناءه قبل موته، ويريد أن يطمئن على سيرتهم بعد أن يغادر الحياة، ترى أبطالون على الإيمان الذي شرفوا به أم يتبعون غيرهم على الشرك والفساد ؟؟

«أم كتم شهاء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا عبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهها واحدا ونحن له مسلمون » (١) .

وكلمة الإسلام قدما وحديثا هي العنوان الفذ للدين الأثير عند الله، بما يتضمنه هذا الدين من توحيد للخالق، واستقامة على أمره، وإنفاذ لوصياته، وإقامة لأحكامه

وقد كان يوسف الصديق أشرف رجال هذه الأسرة، وأصلح أولاد يعقوب وأرضاهم لتعاليم أبيه في حياته وبعد مماته.

وكان يقدر نعمة الاختيار الإلهي لبيت يعقوب كي يحرس التوحيد ويرفع لواءه .. ولذلك رأينا في السجن يتهاز الفرص فيدعوا المسجونين إلى الله، وينفرهم من الوثنية، ويسرح لهم معالم الإيمان الحق .. .

وكان السجناء قد لحقوا قدرته على استبطاط الغيب من خلال تعبير الرؤيا، فقال

(١) - البقرة : ١٣٣ .

لهم يوسف : « ذلكما مما علمتني ربى إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالأخرة هم كافرون * واتبعتم ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكون »^(١).

ويوسف بهذه الكلمات ينوه بمكانة أسرته، ووظيفتها الرفيعة في قيادة الناس إلى الله الواحد، ونبذ الوثنية السائدة على عهده.

ولذلك يتبع نصيحة لرفقاء السجن قائلاً : « يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وأباواكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر إلا تعبدوا إلا إيهاء ذلك الدين القبيح ولكن أكثر الناس لا يعلمون »^(٢).

ومن الإنصاف أن نقول : إن أبناء يعقوب في تاريخهم المتقدم وفوا بعهدهم لأبيهم، وقاوموا أنواع الوثنية التي حاولت أن تجرفهم، ولعلهم تحملوا في ذلك آلاماً رهيبة.

وأى آلام أبشع من تذبح الأبناء واستحياء النساء ؟ لكنهم مع تلك المحن لم يفقدوا شخصيتهم، ولم يذوبوا في غيرهم، ولم ينسوا أصل رسالتهم.

وفي ذلك يقول القرآن الكريم عنهم « ولقد اخترناهم على علم على العالمين * وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين »^(٣).

لكن بني إسرائيل مع سير الزمان واختلاف الليل والنهار أخذوا يبددون أمجادهم، ويغاضبون ربهم، ويتذكرون لمواريثهم، ولم ينشأ هذا الانحراف من غلبة عدو عليهم وتأثيره فيهم، بل نشأ من اعتزازهم بالله، وجراحتهم عليه، وابتذالهم لنعمه .. وأضحووا كالولد المدلل لا يتضرر منه أدب، ولا تمتر في تقويمه عظة.

وتطرق هذا العرج إلى المبادئ التي اختيروا لإعلاء مatarها وتمهيد سبلها، فإذا هم يخلطون التوحيد بالشرك، ويدهلون ذهولاً مطلقاً عن اليوم الآخر، ويرتكبون المعاصي دون حذر، وينسون قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وينطلقون على ظهر الأرض ما تسيرهم إلا غرائزهم الدنيا مقتنة بدعوى عريضة ومزاعم مكذوبة.

فكأنوا بهذا المسلك الجديد شرًا من الأمم التي كلفوا قديماً بتعليمها وتأديبها وفضلوا تفضيلاً عليها ..

(١) - يوسف : ٣٧، ٣٨ . - الدخان : ٣٢، ٣٣ .

(٢) - يوسف : ٣٩، ٤٠ .

ومن رحمة الله بعباده أنه يغسل عثراتهم، ويغفر لذاتهم، ولا يؤاخذهم لأول ما يفرط منهم، وقد أمهل بنى إسرائيل طويلاً كيما يشوبوا الرشدتهم ويعتذروا عن أخطائهم، وبعث فيهم أنبياء كثيرون يذكرونهم بالله ويغفرون لهم نعمته ..

لكن القوم لم يرعنوا ويدعوا ما هم فيه، بل تأدى بهم الشراسة الجامحة أن يعتذروا على أنبياء الله فيقتلوا من ضاقوا بتصحه منهم « لقد أخذنا مثاقى بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فربما كذبوا وفربما يقتلون » * وحسبوا الا تكون فتنه فعموا وصموا ثم ناب الله عليهم ثم عموا وصموا كثيراً منهم والله بصير بما يعملون » (١) .

وكان آخر اختبار سقطوا فيه موقفهم من عيسى بن مریم، فقد جاءهم هذا الإنسان الصالح يبغى ترقيق قلوبهم وتهذيب طباعهم وإزامهم حدود الله وتعاليم الوحي الأعلى واعتناق حقيقة الدين بدل الاستمساك بقشوره والخروج على جوهره ..

ولكنهم سخروا منه أقبح سخرية، ورموه وأمه باغلظ الإفك، ثم ابتغوا قتلـه كشأنهم مع من صبـقهـ، بـيدـ أنـ اللهـ نـجـاهـ مـنـهـمـ وـوـقاـهـ شـرـهـ ..

وكان هذا كما قلنا آخر اختبار لبني إسرائيل، فقد كانت النبوات وفقاً عليهم، وهدايات السماء تتبعـتـ منـ أـرـضـهـ .

وطالما سطعت أشعة الوحي ساحات المسجد الأقصى على أيدي رسـلـ كـرامـ، غيرـ أنـ هـذـهـ الأـشـعـةـ ضـاعـتـ بـيـنـ غـيـومـ كـثـيـفـةـ مـنـ الشـهـوـاتـ ..ـ وـمـحـأـثـهـاـ شـعـبـ عـزـ عـلـىـ العـلـاجـ بـعـدـ أـنـ تـغـلـلـ فـسـادـ الـخـلـقـيـ وـفـسـادـ الـاجـتمـاعـيـ فـيـ أـعـماـقـهـ ..

وقررت العناية العليا أن تنتقل قيادة الإنسانية من جنس إلى جنس، أو من أولاد إسرائيل إلى أولاد إسماعيل، أو من اليهود إلى العرب ..

كان عيسى بن مریم آخر إسرائيلي يرسل إلى قومه، وكان تكذيبـهـ لهـ آخرـ جـرمـ يـختـمـ بـتـارـيـخـهـ الـديـنـيـ ..ـ

ثم يجيء دور العرب بعدهـ لـيفـتـحـواـ صـفـحةـ جـديـدةـ فـيـ الحـيـاةـ،ـ بعدـ ماـ مـلـأـ الـيهـودـ الصـفـحـاتـ السـابـقـةـ بـمـخـازـيـهـ وـمـأسـيـهـ »ـ وإـذـ قـالـ عـيـسـىـ بـنـ مـرـیـمـ يـاـ بـنـ إـسـرـائـيلـ إـنـ رـسـوـلـ اللـهـ إـلـيـكـمـ مـصـدـقـاـ لـمـاـ يـدـىـ مـنـ التـوـرـةـ وـمـبـشـراـ بـرـسـوـلـ يـاتـىـ مـنـ بـعـدـ أـسـمـهـ أـحـمـدـ فـلـمـ جـاءـهـمـ بـالـبـيـنـاتـ قـالـوـاـ هـذـاـ سـحـرـ مـبـيـنـ *ـ وـمـنـ أـظـلـمـ مـنـ اـفـتـرـىـ عـلـىـ اللـهـ الـكـذـبـ وـهـوـ يـدـعـيـ إـلـىـ إـلـاسـلـ وـالـلـهـ لـاـ يـهـدـيـ الـقـوـمـ الـظـالـمـينـ »ـ (٢)ـ .

* * *

(٢) - الصف . ٧ ، ٦ .

(١) - المائدة . ٧١ ، ٧٠ .

وفي تسويع هذا الانتقال الحاسم، وسرد أسبابه وملابساته، وفي تعريف العرب بمكانهم الإنسانية الجديدة، ودورهم القيادي الخظير. وفي تقرير الواجبات الثقيلة التي تفرضها هذه الرسالة العظمى على العرب ..

في هذا كله نزلت آيات شتى تزيد أن نتبرّأ ونتدارس دلالاتها وأبعادها.. يقول الله لنا - نحن العرب - ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذَكْرٌ كُمْ أَفَلَا تَعْقُلُونَ﴾^(١).

ويقول للنبي الخاتم ﷺ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تستلئون ﴿^(٢)﴾.

ويقول عن منازل الناس في خدمة هذه الرسالة والوفاء لها ﴿ثُمَّ أُورَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عَبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخِيَرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكُمْ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(٣).

وفي مواضع كثيرة من القرآن الكريم بين الله للعرب لماذا ملكهم زمام الوحي بعد أن انتزعه من اليهود، وكيف يتقاد لهم ذلك الإخلاص لله وحراسة رسالته والشهر على أدانها ..

فلننظر إلى سورة الجمعة، وكان يوم الجمعة في الجاهلية يسمى يوم العروبة، حتى غلبت التسمية الشرعية نظراً للصلة الجامدة التي تحشد الناس فيه ..

بدأت هذه السورة بتسبيح الله والثناء عليه بما هو أهله .. ثم شرعت تتحدث عن العرب، وكيف اختار الله منهم نبياً يربّيه ليربّ بهم العالم، ويعلمهم يعلم بهم الآخرين ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَنْذِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتٍ وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لِفْيِ ضَلَالٍ مِنِّي﴾^(٤).

نعم كان العرب قبل الإسلام في جاهلية طامسة وتآخر ظاهر، ثم أحيا الإسلام مواعيدهم وأعلى ذكرهم ونقلهم بتعاليمه من السفوح إلى القمم ومن ذيل القافلة البشرية إلى طليعتها : ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُوتِيهِ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٥).

ثم يذكر الله حل شأنه في هذه السورة : لماذا أثر العرب بهذه المنزلة بعد أن كانت قدّيماً لغيرهم، فيقول ﴿مِثْلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التُّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمِثْلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بَشَّسَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٦).

وهذه الآية واضحة في أن اليهود فقدوا صلاحيتهم لحمل رسالات السماء فقدانا

(١) الأيات : ١٠ - الجمعة . ٢

(٢) - الزخرف : ٤٤ - الجمعة : ٤

(٣) - الحجّة : ٥ - الجمعة : ٥

(٤) الأيات : ١٠

(٥) - الزخرف : ٤٤ .

(٦) - فاطر : ٣٢ .

أبداً لأنهم فقدوا القدرة على الانتفاع بالوحى الإلهي، ولم يستطيعوا تهذيب أنفسهم به فكيف يقدرون على تهذيب غيرهم؟

إن صاحب القلب القاسى لا يجدر به أن يحمل عناصر الرحمة لغيره وصاحب الذهن المغلق ليس أهلاً لنوعية الآخرين، وفقد الشيء لا يعطيه...^(١)

وحاصل الكتب الذى لا يدرى ما فيها لاصلاح تلميذاً فكيف يكون أستاذًا؟

إهذا صرف الله رسالته عن اليهود إلى العرب لعل الآخرين يحسنون الوصاية عليها والسير بها...^(٢)

وإن كان اليهود بعد ما رأوا هذا التحول المباغت في ابتعاث الأنبياء قد استمатаوا في تكذيب الرسالة الجديدة والعدوان على أصحابها فقال الله جل شأنه :

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾^(٣)

وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم سجلت هذه المقارنة بين اليهود والعرب تسجيلاً يحمل في أطوانه مسالك يجب أن تدرس وفرائض يجب أن تعرف، لأنها تعرفنا ما وقع من غيرتنا، وما ينبغي أن يقع منا...^(٤)

في سورة آل عمران وصفنا الله بقوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ لماذا؟ فهو امتياز عنصري أو تفضيل جغرافي؟ كلاً، لا هذا ولا ذاك.

إنما هو لخصائص خلقية وفكرية تفع الإنسانية جمعاء بعد ما تنفع أصحابها أولاً، هذه الخصائص هي قوله : ﴿ تأمون بالمعروف وتتهون عن المنكر وتومنون بالله ﴾.

وهذه الخصائص هي التي فقدتها أصحاب الرسالة السابقة فعزلوا عن منصب القيادة العامة للناس. لذلك قال مبشرة : ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾^(٥).

والأمم تواخذ بما يسود كثرتها الكبرى من عوج ورذيلة، ووجود قلة صالحة لا يعني عنها ولا يجنحها المصير المحتم. ^(٦)

وظاهر من تعبير القرآن الكريم أن قدر الأمة مرتبط بمدى إيمانها، وأن سبقها لغيرها، وترجحها عليه، منوطان بحرصها على فضائلها.

(٢) - آل عمران ١١٠

(١) - المصب ٩، ٨

وإلا فسوف يصيّبها ما أصاب غيرها .

ومن أخطاء أهل الكتاب الأولين أنهم ظنوا أنفسهم أبناء الله وأحباءه .

وأنهم قادرون على فضله يمتحونه من شاءوا وقادرون على مغفرته يبعونها صكوكاً
لمن يدفع الشمن ، وهذا كله تطاول بالباطل فإن الأفراد والأمم تعلو إذا قدرت على
التحلّيق ، وتهبط إذا فرت منها الهمم ، وغلب عليها الكسل .

وليس لأحد قط أن يتدخل في هذه القوانين الصارمة : « ما لهم من دونه من ولـى
ولا يشرك في حكمه أحداً »^(١) .

ولذلك عندما رسم القرآن الكريم الطريق أمام الأمة الجديدة بين أن الله يختار من
يشاء ، من خلقه ليحمله ما يشاء من أمره ، وأن هذا التحميل اختيار مقيد لا اختيار
مطلق ، فقال جل جلاله : « الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سمّي
بصير * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور »^(٢) .

ثم شرح بعد ذلك الرسالة التي آذن العرب بحملها ، والأعباء الشريفة التي تقترن
بها فقال : « يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم
تفلحون # وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكـم وما جعل عليكم في الدين من حرج
ملة أبـيكـم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليـكـم
وتكونوا شهداء على الناس فاقـيموا الصلاة واتـوا الزـكـة واعتصـموا بالـلـهـ هو مـوـلـاـكم
فـنـعـ الـمـوـلـىـ وـنـعـ النـصـيرـ »^(٣) .

وظاهر من هذا السرد التاريخي أنه كان هناك شعب مختار فسد فعل . . ! !
وأن هناك شعباً آخر وقع عليه الاختيار ، ليبلغ رسالات الله ويضيء الطريق أمام
الأحياء .

نعم هناك شعب آخر مكلف أن يتصدر الركب الإنساني المنطلق بحدوده باسم الله ،
ويعطيه الأسوة الحسنة من تمسكه بهـاءه . .

شعب يتعلم من محمد ثم يعلم الآخرين . ويطبق تعاليمه على نفسه ثم يجعل منها
نماذج لغيره . « لتـكونوا شـهـداءـ عـلـىـ النـاسـ وـيـكـونـ الرـسـوـلـ عـلـيـكـمـ شـهـيدـاـ »^(٤) .

(١) - الكهف : ٢٦ .

(٢) - الحج : ٧٥ ، ٧٦ .

(٣) - الحج : ٧٧ ، ٧٨ .

(٤) - البقرة : ١٤٣ .

تلك هي الحقيقة التي تاه عنها جمهور كثيف من العرب فتختطفته زبانية الأرض ، ثم
هوت به في مكان سحيق .. !!

والصراع الدائر الآن هو بين المطرودين من أصحاب الرسالة الأولى ، وبين الناهرين
من أصحاب الرسالة الخاتمة .. .

فلنشر أدوار هذا الصراع ، وملابساته المرة .. .

* * *

إن اليهود الذين كذبوا عيسى منذ عشرين قرنا ، وكذبوا بعده محمداً ممضوا في
الطريق التي اختطوها لأنفسهم ، وعاشوا في حدود ما لديهم من تعاليم وتوارثوا من
تقاليد وتحملوا غضب الله عليهم بجلادة تثير الدهشة .

إنهم على امتداد الزمان والمكان لم يتخلوا عن رأيهم في أنفسهم أنهم شعب الله
المختار .. .

ولقد تقاذفتهم الأقطار والفلوارات فما نسي بعضهم بعضاً ولا تلاشوا في الأمم التي
ضاقت بهم ونظرت إليهم شزارا .

ولما كان النصارى يعتقدون أن اليهود قتلة عيسى وسبب بلائه فإن الأمم النصرانية
تقربت إلى الله بذلال اليهود حيث كانوا ، واستباحة دمائهم لأنفه التهم ، حتى قيل :
لولا ظهور الإسلام لبادت اليهودية من فوق ظهر الأرض !!

ولم يتورع شعب مسيحي في طول أوروبا وعرضها على إلحاق الأذى باليهود جهد
ما يستطيع .

ومع هذا كله فإن اليهود شقوا مستقبلهم وسط هذه الصعاب ، موقنين أنهم شعب
الله المختار ، ومؤملين في مستقبل أفضل ، مستقبل يفرضون فيه مشيتهم على العالم ،
وتتجسد السلطة العليا فيه رأس إسرائيل .

واستطاع علماء بنى إسرائيل وأغنياؤهم أن يملئوا ثغرات واسعة في علاقة
المسيحية بأتياها ، وأن يكملوا قصورها في تغطية حاجات الخاصة والعامة الأدبية
والعادية على السواء .

فما كاد يقبل عصر النهضة مع القرن السادس عشر العيلادي حتى شرع اليهود ببنون
لجنسيهم دعائم مكينة ، وواصلوا البناء في صمت ومحكر حتى أمكنهم خلال القرن
العشرين أن يكونوا في مختلف القوميات الأوروبية والأمريكية طائفة ظاهرة البسار
والارتفاع .. .

وهذا شرع بنو إسرائيل يلبون دواعي الحنين في دمهم لبناء دولتهم الدينية وتحقيق حلمهم القديم في حكم العالم ..

وستنحت الفرصة بسقوط الخلافة الإسلامية، وغياب العرب عن رشدهم، وذهولهم الهائل عن رسالتهم ، فضرب اليهود ضربتهم ، واحتلوا فلسطين ..

ويذهبى أن اليهود وحدهم ما كانوا يقدروا على ما فعلوا .. إن الحقد المشترك على الإسلام وأمته وجد في العدوان اليهودي أداة ترضيه ، وتنفذ ما يتغيه ولذلك رحب به وأعانه - ولا يزال - على بلوغ أهدافه.

أول أولئك الحاذقين الصليبيين الجدد ، فإن السياسة الأمريكية والأوروبيين المبغضين للإسلام وأمته يرون في إقامة دولة لليهود على هذه البقعة من أرضنا خطوة لها ما بعدها في زلزلة الكيان الإسلامي كله ..

ومن ثم حرصوا على خذلاننا في كل ميدان وتخبيب أمالنا في كل سعي ، ولم نر من خمسين سنة - أى منذ بدأ احتلال اليهود لفلسطين - سياسياً مسيحياً يعارض اليهود أو يرثى للعرب المنكوبين ..

حتى الجزء الأول ديجول رئيس حكومة فرنسا الذي يشاع الآن أنه نصیر للحق العربي ، لم يفکر قط في أن فلسطين للعرب وأن اليهود مغتصبون لها .. غایة ما صنع أنه - لأمر ما - وقف ضد التوسع اليهودي الحالي ، وأيد ما يسمى : «محو آثار العدوان !! ..

أمابقاء إسرائيل في موقعها المرسوم المحذور فليس موضع جدل .
والواقع أن السلاح الأمريكي والفرنسي والإنجليزي هو الذي سفك دمنا ، ونهب حقنا ، واستباح وجودنا وتاريخنا ، وأنكر حاضرنا ومستقبلنا .

واليهود هم الأداة الضيعة التي اختيرت لتحقيق هذا المأرب ..

وإلى جانب الصهيونية والصليبية عملت الشيوعية العالمية عملها في إقامة إسرائيل ، وساندتها في المجال الدولي مساندة مكشوفة ..

ولا ريب أن الشيوعيين يسرُّهم أن ينقسم العرب قسمين واهيين إثر قيام إسرائيل في مكانها الموجع الذي تحنته الآن ، فإن ضعف الإسلام - بضعف العرب - يساعد على نشر الشيوعية وإزاحة سدود ضخمة من أمامها ..

وموقفها الحالى من التوسع اليهودي تمليه ظروف سياسية معقدة ..

وسط هذه الفتن والمحن أقبلت اليهودية العالمية ت يريد استعادة نشاطها الأول،
معتقدة أن الإسلام أكذوبة يجب أن تنتهي، وأن أمره خرافية أن أن تزول ..
أى أن الهدف المخطط هو إزالة دين، ومحو أمته ..

وإسرائيل الكبرى تمتد شرقاً وغرباً من الفرات إلى النيل وتهبط جنوباً حتى تشمل
الحجاز ، وتستوعب مكة والمدينة .

وحجتهم أنه في هذه البقاع تجول أسلافهم وانتشروا، وأن الظروف التي شردهم
قد انتهت .

وأن العرب الذين يستوطنون هذه الأرض ليسوا أهلاً للبقاء فيها .

وأن المقدسات الإسلامية إنما تستمد مكانتها الروحية من تعلق أصحابها بها
وقدرتهم على حمايتها، ولكن محمداً ما وترك بنات .. !!
هكذا كانت النظائرات اليهودية تجأر بالهتاف في مدينة القدس حيث المسجد
الأقصى .

وقد رأيت بعيني صور الجنود اليهود يحملون التوراة في اليد اليمنى والمسدسات
في اليد اليسرى، وهم على صهوات دباباتهم المنطلقة بهم في ربوعنا المقفرة،
وأرضاً الذليلة الموحشة .. .

إن الأمانى التي دفنت في تراب الذل نحو ثلثين قرناً انتقضت بالحياة بفتنة، وجرت
معها عداء الصليبية لرسالة التوحيد، وعداء المادية لرسالات السماء، ولوحي الله
جملة وتفصيلاً، ثم هجمت على العرب المقسمين على أنفسهم، الزائفين عن
رسالاتهم، واستطاعت أن تكسو وجوههم بالعار، وأن تملأ ديارهم بالعار .
تلك حال اليهود ومن والاهم فلنلق نظرة عجلٍ على أكتاف الميدان العربي .

* * *

اشتبك العرب مع اليهود ثلاث مرات : سنة 1948، سنة 1956، سنة 1967 .
وانهزمت دولهم خلال هذه المعارك هزائم شائنة، وكانت كل هزيمة أسوأ من سابقتها
وأشد خزياً .

وإذا بقيت الروح الدينية والأساليب الخلقة لدى العرب على المستوى المعهود في
معاركهم السابقة فلن يكسبوا معركة أبداً، بل سيخسرون وجودهم كله، ويذهبون في
خبر كان .

إن اليهود يقاتلون بداع من إيمان، ويعملون كما شرحنا آنفا لتحقيق رسالة دينية ومدنية معاً.

أما العرب فإن ساستهم خلال خمسين سنة كانوا ينفذون مخططها استعماريا لإبعاد الدين عن آفاق الحياتين الخاصة وال العامة ..

و يوم يلتقي رجل ملتهب المشاعر بعقيدة ما ، مع رجل لم يستتر فؤاده بحقيقة دينه ، بل لا يدرى من حقائق هذا الدين قليلا ولا كثيرا فماذا تكون النتيجة ؟ إنها الهزائم المرة التي ذقتها ..

إنه لا يفل الحديد إلا الحديد ، ولا يقف أمام معتدين باسم الدين إلا مدافعون باسم الدين ..

إن اليهودي يائى أن يأكل لحم الخنزير مثلا . لأنه محرم في دينه ، ولديه ضمير ديني يمنعه من هذا الطعام بقوة .

أما المسلم الذى أمامه فهو يشرب الخمر المحرمة في دينه دون ضمير رادع ! ..
ولست أنتم كل أحد بهذا الانهما ، ولكن عددا من القادة والضباط يشربون الخمر جهرا في شتى الجيوش العربية .

واليهودي يتبعدي يوم السبت ، ويصوم الأيام المقررة عنده .
وعندنا لفيف ضخم من الرجال لا يصلون الجمعة ولا يصومون رمضان ، بل إن الصلاة متروكة في بعض الجيوش في كل الأوقات ..

فإذا طرحت هذه الصفحة من المخالفات لأمر الله ، فلنلفت النظر قبل طبها إلى أننا لا ننكى لمعاصى فردية تقع من هذا أو ذاك ، أو أشارد نتائج ضخمة إلى سينات محدودة .. كلا كلا ..

إننا نحيط اللثام عن حقيقة مخيبة ، وهى أن الدين أبعد بإعادا متعمدا عن ميادين الحرب والسلام جميعا .

وإنه حضر على صوت الإسلام أن يخترق الآذان بالترجيح الواجب بينما كانت اليهودية تعمل عملها في جبهة القتال ووراء الجبهة ..

فهل نلام إذا تصورنا أن بإعاد الإسلام عن هذه الميادين ليس إلا عملا لحساب إسرائيل ، أو لحساب القوى التى تساندها كلها أو جزئيا ؟
كل الدلائل تشير إلى صدق هذا الاتهام ..

والغريب أن العرب في تفلتهم من قيود الدين وأدابه ظهرت عليهم أعراض طفولة عقلية ونفسية مزرية ، فلم يتصرفوا مع عدو أو صديق تصرف الرجلة الناضجة ، والسيرورة الواقفة الجادة ، بل على العكس ، كانت خططهم الحربية هزلية وكانت مع هزالتها مفضوحة ، وكانت خطبهم ذات رنين عال ولهجه مفرعة ..

فلما التقى الجمعان تكشف اللقاء عن مهزلة ، بل إننا هزمنا من غير قتال ، وانحرنا دون أن نلحق بخصوصمنا ضررا يذكر ..

والمرتقب من كل عاقل أن يدرس هزيمته ، ويحدد عللها حتى يتتجنبها مستقبلا .. فهل فعلت الدول العربية ذلك ؟ وهل رسمت سياستها التربوية والدعائية والعسكرية على ضوء ما مسها من كروب ؟ لم يقع شيء من هذا ..

وأذكر أنني كنت أتحدث مع مقاتل شهد معركة الصبيحة في الخمسينيات فقال لي : والله لقد قاتلنا بشدة وعزم .

فقلت له : لكن اليهود استولوا على الموقع ١١

فقال : إننا والله كيدناهم خسائر جسيمة ، غير أنها ما كنا نحصد منهم صفا بمدافعنا حتى يثبت مكانه صرف آخر وهو يرتل الأناشيد الدينية ..

وهزرت رأسى عجبا وأنا أسمع هذا الكلام ثم تساءلت بيني وبين نفسي : كم نشيدا دينيا يحفظه شبابنا ؟

كم آية قرآنية تغرس بالاستشهاد ، أو حكمة نبوية توحى بالثبات والتحمل يعيها ضباطنا وجنودنا ، ويرددونها في ساعات الهول ..
إذا كانت الحاجة أم الاختراع فالإيمان أبو الاختراع وأمه ..

إن المؤمن يورقه طلب النصر ويفتق له وجوه الحيل ويبصره بأنواع الخداع ، ويعتمد على التنقيب في فجاج الأرض وأفاق السماء ، راصدا العدو ، مستعدا لمواجهة ..

أفذلك ما فعله العرب ؟ لا ، لأن بناءهم النفسي والاجتماعي لم ينهض على قواعد الإسلام .. ثم اعتزرتهم الطفولة الفكرية والخلفية التي ذكرناها ، فإذا هم ينكرون هزائمهم الثلاث خلال عشرين سنة ، ويزعمون أنها ، أو بعضها كان انتصارا ..

وقد قرأت مقالات شتى ت يريد لتقنعتنا بأن الهزيمة ليست فقدان الأرض ، وضياع المعدات ، وخسارة الرجال ! لا إن الهزيمة عند هؤلاء شيء آخر لا تعرفه قواميس اللغة ولا مفاهيم الناس ، وهكذا ..

يقضى على المرء في أيام محته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن
وأحقن ما سمعته في أعقاب هذه انهزام تعليل الهزيمة بأى شيء إلا ضعف العقيدة والخلق، وما ينشأ عن ضعف العقيدة والخلق، من فوضى في وضع الخطط، وترتيب الرجال، ونسيان الله، والحرمان من توفيقه وتائيده..
وضربت كفاف على كف وأنا أسمع الرفيق نور الدين الأتساوى يقول : إن سبب الهزيمة هو عدم التطبيق الكامل للاشراكية !
و يوم يقع قياد العرب في أيدي ساسة من هذا الطراز فهيهات أن ينجح لهم قصد، أو تعلو لهم راية ، ولله في خلقه شئون .

* * *

واعرف أن هناك من يعترض على تفكيرى هذا ويستنكره، إنه الصنف المسكين الذي تخرج وفق البرامج الدراسية التي خلفها الاستعمار في بلادنا .
قال لي أحد هؤلاء : تزيد حرب دينية ؟ إن هذا اللون من الحروب انتهى مع العصور الوسطى ، سيراً مع الزمن واطلبوا آخر حرب تحريرية معقوله ..!

وقلت لمحدثي : إننى لا أطلب حرباً دينية، إنه قد فرضت على حرب دينية أتسمع أن الدولة التي تسمى باسم نبي قديم وألغت كل القوميات الحديثة، وصهرت اليهود واليمن مع يهود نيويورك في أخوة دينية شاملة ، وألهبت المشاعر الدينية عند النصارى المؤمنين بالمهد القديم ، وحركت ذكرياتهم الصليبية الدفينة ليهمجاً على المسلمين معها ، هذه الدولة تعلن علينا أي نوع من الحروب أيها الإنسان الذكي ؟

حرب أكل وشرب ؟

حرب رياضة وتسلية ؟

حرب مجد شخصى لملك مغزور ؟

إنها حرب دينية فرضت علينا ! وما بدىء أن يوحى بها راضيين أو كارهين !
وإقصاء الدين . وهو في جبهة الإسلام - معناه هلاك الأبد .

قال لي : لكن الحرب الدينية عنوان مثير ، وهو يجر علينا متابعة لا تستطيعها !!
فقلت له : إن الحرب الدينية عنوان كريه بالمفهوم الذى تعارف عليه الغربيون ، لأن هذه الحرب فى تفكيرهم وفى تاريخهم كانت تشن الفتنة ناس عن معتقداتهم بقوة السلاح ، أو لتغلب مذهب على اخر وإدخال الناس فيه كرهها ..

وهذا المفهوم السئي للحروب الدينية لا نعرفه في ماضينا ولا في حاضرنا، ومع هذا كله فلماذا يوصف دفاعنا عن ديننا وأرضنا وتاريخنا ومقدساتنا بأنه حرب دينية رجعية؟؟

ولماذا سكتت أبواب الدعايتين الغربية والشرقية عن هجوم إسرائيل علينا، ووجهها الدينى ليس موضع جدال..

هل يباح لليهودية أن تعلن حربا علينا دينية، ولا يباح للإسلام ذلك؟ وهو يدافع وهى تهجم؟؟

أم إن القضاء على الإسلام هدف مشروع؟ وصباح أهله وهم يدفعون عنه عمل مستهجن؟؟

لقد أفلح الاستعمار في خلق جيل يستحق من الانتماء لدينه، ويرفض العمل تحت لوائه، وهذا الجيل الذي صنعه الغزو الشاقفي هو الطابور الأول لا الطابور الخامس الذي الحق بنا الهزائم، ونكس رؤوسنا في كل ميدان..

ومن هنا يبدأ العمل الحقيقي للدعوة المسلمين، من هذا الخط تبدأ الجهود المضنية لإنقاذ أمة تمكّن أعداؤها من أن يوجهوها ضد نفسها ورسالتها..

من هذا الخط ينبغي أن تبدأ حركة إحياء مستوى عبة مستقرة تصل حاضرنا بحاضرنا، وتعارفنا من نحن؟.

وما وظيفتنا في الدنيا؟.

وماذا يراد بنا؟.

وماذا يراد منا؟.

إن العمل بالإسلام نيس كفالة لأخرتنا فقط بل هو ضمانة حياتنا الآن..

وإنها الحماقة كبيرة أن نجهل رسالتنا التي اصطفانا الله لأنها فقدت مكانيتها الأدبية والمادية، ونخسر الأولى والأخرة جميعاً.

* * *

ماذا يعني قيام إسرائيل على أنقاضنا؟ يقول المؤرخ الإنجليزي «ويلز» إن اليهود اتخذوا الرب كنزاً وادخروه لجنسهم !!

واليهود الذين فعلوا ذلك من عشرات القرون لم يتغير فسادهم النسبي ولا غرورهم الجنسي، ولقد كذبوا عيسى ومحمدًا - وما زالوا يكذبونهما - لأنهما حاولا إصلاح هذا الفساد وقمع ذلك الغرور..

واستئناف اليهود أداء رسالتهم الأولى يعني توطيد أركان الربا، والخنا، والتفرقة العنصرية، واستغلال الشعوب، كما يعني تقطيع حبال الإنسانية مع الله، ونسيان اليوم الآخر، وإهمال الجوانب الروحية.

وذلك بداعاه غير الإتيان على الرسالة الإسلامية من القواعد، وتمزيق للشعب العربي كل ممزق ..

ونحن شتنا أم أيتنا، سندخل مع اليهود في حرب بقاء أو فناء، فبما انتصرنا عليهم وإما أتمّ أبناؤنا ما عجزنا عنه.

فإن نجح أبناؤنا فيها ونعمت، وإن فعلى الأحفاد استئناف النضال إلى آخر الدهر ..

ومع استعداد هذه الحرب إلى ما شاء الله نريد أن نقول للمسلمين كلاما طويلا يدركون منه حقيقة رسالتهم وسر نكتتهم.

وهو كلام يبعدهم إلى الصراط المستقيم، ويقربهم من يوم النصر، ويشرح لهم سنن الله التي تنطبق عليهم وعلى غيرهم.

فإنه من المستحيل أن يرعننا الله إذا استبطنا نحن المسلمين خلائق اليهود الأقدمين مسخهم الله بمعاصيهم قردة وختانير.

يستحيل أن يفعل الله هذا، والذى سبق أن يلتقي اليهود بأشاهدهم ثم تعمل القوانين الطبيعية عملها فيتصير الأذكي على الأغبي والأدھى على الأجهل وذلك ما كان !!

* * *

طنت لأول وهلة أن حديث القرآن الكريم عن بنى إسرائيل إنما كثر واستفاض بعد الهجرة النبوية أي بعد أن جمع اليهود والمسلمين وطن مشترك وجوار قريب.

ثم تبيّنت خطأني بعد أن تدبرت الوحي النازل في مكة، فقد ظهر لي أنه تكرر ذكر بنى إسرائيل في القرآن المكى تكرارا يشمل أغلب السور .

ولا عجب فقد ذكر اسم موسى في القرآن نحو مائة وعشرين مرة، فما ذكر اسم النبي ولا ملك بهذه الكثرة ولا تحدث الوحي عن أمّة من الأمم الأولى كما تحدث عن اليهود .

لقد جاء ذكرهم في الأنعام والأعراف والإسراء وطه ويوونس وهود وجميع
الحواميم والطواويسين سور آخرى كثيرة.

والسور التي أحصيناها هنا مكية كلها، قوله تعالى : « إن هذا القرآن يقص على
بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون »^(١) آية من سورة النمل المكية . .
وعجيب واليهود في مكة نفر لا يزبه لهم ، أن يعني القرآن بقصصهم كـ هذه
العنابة . !

ولقد ساءلت نفسى : ما السبب في هذا السرد المفصل للتاريخ بني إسرائيل في مكة
قبل المدينة ؟

أهو تعريف المسلمين بحقيقة القوم الذين سيخالفونهم فيما بعد ؟ إن هذه إجابة
غير مقنعة . .

وبعد تأمل غير قليل وجدت أن هذا التاريخ يحوى في طياته العناصر الحقيقة لقيام
الأمم ، واستقلالها بأمورها ، وازدهار حضارتها ، كما يحوى العناصر الحقيقة
لأنهيار الأمم ، وذهاب ريحها ، وأضمحلال أمرها . .

والقصص القرآني من أبرز الوسائل ل التربية الأفراد والجماعات ، وقد كان المسلمون
المستضعفون في مكة بحاجة إلى أن يعرفوا كيف تحول اليهود الأوائل من ذل هائل ،
إلى تحرر وتمكن ، وما هي الفضائل التي لادم من استجماعها كـى تبلغ الأمم هذه
الغاية الكريمة .

وقد تولت السور المكية هذا الشرح ، ورأت القلة المستضعفة كيف تحول شعب
تدبّع صبيته ، وتستحياناً نسوته ، إلى شعب مكين في الأرض سيد على طهرا !

وقد سئل ابن القيم : أيمكن للرجل أولاً ثم يتلى ، أم يتلى أولاً ثم يمكن له ؟
فقال : يتلى أولاً ثم يمكن له . وتلا قوله تعالى : « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما
صبروا و كانوا باياتنا يوقنون »^(٢) .

والآية من سورة السجدة المكية ، وهي تنهى إلى أن الصبر واليقين أساس الكفاح
الظفيري الذي يصل بالأمم المناضلة إلى هدفها .

وقد أكد القرآن هذه الحقيقة الاجتماعية في سورة الأعراف « وأورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق الأرض وغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة رب الحسنى

علىبني إسرائيل بما صبروا ودرناما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون »^(١).

وهكذا تفاوت مصائر أقوام كانت بداية أمرهم متفاوتة وبعد التفاوت فالفراعنة يصدرون الأوامر بالقتل والسيء، وحملة التوحيد يمضون في الطريق المضرة بالدماء والأحزان ..

فأما الأولون فقد جنوا عاقبة جبروتهم صغاراً وانهياراً : « وجعلناهم أئمة بدعون إلى النار ويوم القيمة لا ينتصرون * وأتبناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقربين »^(٢).

أما الآخرون المعتصمون بحبل الله المستمسكون بعروة الإيمان والتقوى، فقد ظفروا وعمروا : « وجعلناهم أئمة بهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين »^(٣).

إلا أن البشر كثيراً ما ينجحون في امتحانات البأساء والضراء حتى إذا وسع الله عليهم وغمرتهم نعماً، لم يحسنوا اجتياز الاختبار الجديد.

وما أكثر الذين حولتهم السلطة إلى جبارية مسلطين، وحوّلتهم الشروة إلى طغاة مستكثرين ..

وكان من المتظر من بنى إسرائيل أن يستغلوا تمكين الله لهم في نصرة دينه وإسعاد عباده، إلا أنهم سرعان ما فنكت بهم جرائمي السطوة والثروة فلم يفلتوا من الجزاء المعد لأمثالهم : « سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب »^(٤).

وقد بين الله لل المسلمين مراحل هذا التبدل لنعمته الله، وأوضح مظاهره في أخلاق القوم ومسالكهم، وما فعل جل شأنه ذلك إلا ليتجنب المسلمين المزالق التي هوت بغيرهم، فإن الأمم لا تكتب جزاناً، ولا تسايق إليها المصائب خطط عشاء، ولكنها قوانين الله التي يخضع لها الأولون والآخرون ولا تقبل فيها شفاعة، ولا يقف حكمها استثناء.

إن الله نهى أبناء إسرائيل عن المنصب الذي لم يقدروه قدره، واستقدم العرب ليقودوا الإنسانية حيث عجز أبناء عمومتهم ..

والغريب أن التوجيه الذي قيل لهؤلاء قبل لأولئك على تباعد الزمان بين الفريقين .

(١) الأعراف ١٣٧ - الآية ٧٣ .

(٢) - البقرة : ٢١١ .

(٣) الأعراف ١٣٧ .

(٤) - القصص : ٤٢ ، ٤١ .

ففي لذعة من لذعات الألم صرخ بنو إسرائيل بنبيهم موسى قائلين : « أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون »^(١).

ترى إذا تحررتם وسدتم تحسنون وتعدولون ؟ أم ترتكبون الآثام وتستحللون المحارم ؟

وبعد أعصار طوال جيء بالأمة الإسلامية بعد إقصاء بنى إسرائيل الذين أساءوا وظلموا، فماذا قال الله للأمامة الجديدة ؟ قال : « ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا و جاءتهم رسالهم بالبيانات وما كانوا ليؤمّنوا كذلك نجزي القوم المجرمين # ثم جعلناكم خلاف في الأرض من بعدهم لنتظر كيف تعملون »^(٢).

ذات القول الذي قيل لبني إسرائيل . . من قرون سحيقة . .

فلتقرن بين تاريخ وتاريخ ، وعوج وعوج ، لنعرف ما لنا وما علينا .

وهل وفيما أخذنا ، وهل ما أصابنا كان جحود الليالي علينا ؟ أم هو صنع أيدينا وحصاد ما غرسنا ؟

* * *

إذا كلف الله أمة برسالة ، فيجب أن تكون حالها الظاهرة والباختة ، ومعاملاتها الداخلية والخارجية صورة دقيقة لهذه الرسالة ، صورة تحب الآخرين فيها ، وتحررهم باعتناقها .

أما أن ينفر الدعاة غيرهم من قول الذعرة ، بهذه هي الجبانة الكبرى . .
وحملة الدعوة المخلصون يخشون أن يفع لهم أو يقع منهم ما يكون حجابا للآخرين أو عائقا عن تصديق دعوتهم . .
وبهذا فسر العلماء قول المؤمنين : « ربنا عليك توكلنا وإليك أنتا وإليك المصير # ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا .. »^(٣).

وكيف يمكن المؤمنون فتنة للذين كفروا ؟

قال المفسرون : تصيبهم هزائم بسبب تقصيرهم فينظر الكفار إلى هذه الهزائم ويقولون : لو كانوا على حق ما مستهم تلك المصائب . .

(١) الأعراف . ١٢٩ .

(٢) يونس . ١٣ . ١٤ .

إن الدعاة الصادقين يخشون أشد الخشية أن يكونوا عبنا على رسالتهم أو سببا
للتحول عنها . . .

ولعل هذا سر قول النبي صلى الله عليه وسلم « من آذى ذمياً كنْت خصمه ». لِمَاذا ؟ لأن إيذاء الذمي ليس ظلماً عادياً لواحد من الناس ، كلا ، إن الذمي المظلوم سوف يعتقد أن مصدر متابعته هو دين المؤذى لا شخصه . وبذلك يكره الدين وصاحبـه وينصرف عن الدخول فيه ، فتكون مسـاة فردية سبـبا في كفر أفراد وجـماعات .

وبـنـو إـسـرـائـيل عـاـمـلـوـاـاـلـأـمـمـاـخـرـىـ بـأـسـلـوـبـ حـافـلـ بـالـدـنـاءـ وـالـشـرـهـ ، وـتـوـاضـعـواـ عـلـىـ أـكـلـ أـمـوـالـهـمـ ، وـاسـتـبـاحـ حـقـوقـهـمـ ، وـافـتـرـاـ عـلـىـ اللـهـ تـعـالـيـمـ يـزـعـمـونـ فـيـهاـ أـنـهـ لـيـسـ عـلـىـهـمـ مـنـ حـرـجـ فـيـ هـذـاـ اللـوـنـ مـنـ السـلـبـ وـالـاخـطـافـ . « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل و يقولون على الله الكذب وهم يعلمون * بل من أوفى بهمده و اتقى فإن الله يحب المتقيين » (١) .

ولن تكتب أمة رسالتها بأسوأ من صرف الناس عنها بهذه الطريقة الخسيسة . ومن المؤسف أن المسلمين أثاروا في أفق الدعوة الإسلامية ضباباً لا آخر له . بقولهم و عملهم على سواء .

فتخلفهم العلمي مزعج ، و هبوطهم الخلقي شديد ، وهذا وذاك صدود عن سبيل الله وفتنة كبرى . . . !!

وربما كان المسلمون في معاملاتهم للأجانب عن دينهم وبلا دهم أدنى إلى الشرف والكرم ، بل ربما كانوا هم المغبونين المرجوحين . . .

يبـدـ أـلـمـسـلـمـيـنـ يـبـقـيـنـ لـاـ يـعـطـونـ صـورـةـ صـحـيـحةـ وـلـاـ مـقـارـبـةـ لـلـإـسـلـامـ .

والشعوب المتطلعة إلى التفوق العلمي ، والكرامة السياسية ، والرفاهية الاجتماعية ، والإنتاج الواسع ، وغير ذلك من مظاهر الارتقاءين الأدبي والمادي ، في قنوط نام من أن يكون المسلمون نماذج لهذا أولئك منه . . .

وـهـذـهـ الشـعـوبـ المـتـطـلـعـةـ تـرـدـ الـأـمـيـةـ الشـامـلـةـ بـيـنـ جـمـاهـيرـ الـمـسـلـمـيـنـ ، إـلـىـ الدـينـ تـوارـثـهـ لـاـ غـيـرـ . . .

(١) - آل عمران : ٧٥ ، ٧٦

فإذا كانت تعاليم الإسلام في الأوج وكانت حال المسلمين في الحضيض فإن هذا التناقض سيظل أبداً مثار ارتداد عن الإسلام، أو اتهام له .. !

فهل تحسب أن الله يكرم أمّة من الأمم بدين عظيم فتأتي هى الكراهة، ثم تعكس هوانها على دينها وبعد ذلك تفلت من العقاب الأعلى .. ?
كلا .. ومن هنا تابعت السياط الكاوية على الأمة المفترطة، وتناولتها اللطميات من كل جانب ..

وبلغ من إيجاع القدر للمفترطين أن اليهود كانوا هم الأداة التي ضربوا بها ! لأن المسلمين لم يضربوا بعضاً، حين أخطئوا، لقد ضربوا هذه المرة ياخوان القردة ونعال الأرض .. !

وما من منكر ارتكبه أبناء إسرائيل قديماً واستحقوا به غضب الله إلا فعل المسلمون في العصور الأخيرة مثله .. .

وكتابنا شاهد علينا، فلتنظر : ما الذي نسب إلى هؤلاء ولنقارن بين ما وقع منا، وما نسب إليهم .. .

أخذت المواثيق على بنى إسرائيل ألا يسفكون الدماء، وألا يروعوا الآمنين، وألا يشردوا رجلاً من بيته، ويخرجوه من أهله.
ففعلوا ذلك كله، و فعلنا نحن مثله .. .

تأمل قوله تعالى : «إِذَا أَخْذَنَا مِثَاقَكُمْ لَا تُسْفِكُونَ دَمَاءَ كُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَفْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشَهِّدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ تُقْتَلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تُظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعَدْوَانِ»^(١).

وهذا الميثاق يتضمن - بلغة عصرنا - ضمانات لحقن الدماء، وحفظ الحريات، وإشاعة الطمأنينة .. .

والواقع أن القيمة العليا، أو الميزة العظمى للمجتمع المتدين أن يكون الإيمان مصدر أمان لكل فرد فيه، وأن يكون الإسلام ببعث سلامه وعافية ورضا .. .

أما أن يحيا الضعيف قلقاً على حرماته، وأن يمشي في البلاد خائفاً يترقب، أما أن يتضخم القوى ويسقط يده بالأذى دون رادع، أما أن يستطيع ملاك السلطة اختطاف الناس من بيوتهم أو بتغيير القرآن الكريم إخراجهم من ديارهم فهذا وضع لا يستقر معه إيمان .. .

(١) - البقرة : ٨٤ ، ٨٥ .

ومن جوامع الكلم للنبي صلى الله عليه وسلم «الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن» أي أن الإيمان يغلّب اليد عن العداوة ويحجز عن الأذى.

وقد أخذ الله على بنى إسرائيل - قديما - أنه لما قاتلت لهم دولة، وملك بعضهم السلطة، هانت عليه أخوة الدين، فيغى، وأفسد، وقاتل، وأسر..

وقد نظرت إلى تاريخ المسلمين وخصوصا هذه الأعصار، فوجدته نسخة أخرى من خلال اليهود الذين قبع الشارع صنعتهم، وأوهى بها بناءهم ..

حتى لقد خيل إلى أن الشعوب العربية من الخليج إلى المحيط، دون غيرها من شعوب الأرض، استمتعت بالحقوق الضئعية للإنسان ..

ولقد رأيت بعض المعارضين يفرون من وجوه الحكم إلى أوروبا، فإذا وراءهم من يقتلهم حيث لجئوا .. !

فماذا يقول الأوروبيون الذين لا يدينون ديننا، في مثل هذه التصرفات؟ وكيف يكون رأيهم في الإسلام وأهله ..؟

أذكر أنني منذ ربع قرن كتبت خاطرة بعنوان «حرب الحزارات وحرب العصابات»قارنت فيها بين ضحاياها من القتل في الخصومات العائلية وبين ضحايا الشعوب التي تقاتل من أجل حرياتها، فوجدت ضحاياها أكثر في هذا الشقاق العائلي أو هذا التزاع الداخلي بين المسلمين !!

كان فيما قوله تعالى : « تحسبهم جميماً وقلوبهم شني » (١) .

والأمة التي يغرس بعضها على بعض ، تحرم عناد الله وبركته في الأولى والآخرة .

* * *

وقد عرفنا كيف كرم الله بنى آدم، وكيف نظر رسول الله إلى الكعبة ثم قال : « ما أطيبك وأطيب رائحتك وما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك ، حرمة دمه وعرضه وما له » .

إن هذه مقدسات، ومع ذلك فإن الجور استباحها .

ولما كان الإسلام كلام لا يتجرأ ، فإن الله عز استباحة بعض محارمه إضاعة لها كلها ، كما أعد الكفر ببعض آياته كفرا بهم جميعا « أنتؤمنون ببعض الكتاب

(١) - الحشر : ١٤ .

ونكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيمة
يردون إلى أشد العذاب وما الله بعاف عن عما تعلمون * أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا
بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينتصرون ^(١)

والتلويح بعدم النصر إشارة إلى أن وسائل القسوة والبطش لا تكسب ذويها عزة في
الدنيا كما لا تكسفهم كرامة في الدار الآخرة .

ومن خيانة الأمة لرسالتها أن تبرد عاطفتها تجاه حقوق الله . وأن يجعل حبها
وبغضها مرتقبين بمصالحها لا بميادنها .

ولو أنك رأيت امرأً ينظر إلى علم بلاده وهو يمزق مثلثاً لا يبالي ، ما ترددت في
الحكم عليه بأنه خائن .

كذلك عندما ترى تابعاً لدين ما يستهين بشعائر دينه فما يعنيه حلالها ولا
حرامها ، إنك ما تتردد في اتهام عقیدته .

ويوجد ناس ما يسوقهم أبداً أن تعطل الصلاة ، ولا أن تذبح الأعراض .
أهؤلاء بينهم وبين الله علاقة حسنة ؟ مستحيل .

إذا رأيتم يصادقون تاركى الفرائض ، وفاعلى المناكر ، فهل يحسبون مع ذلك فى
عداد المؤمنين ؟ كلاماً .

عندما تحمل اليهود من دينهم على هذا التحول قال الله فيهم : « ترى كثيراً منهم
يتولون الذين كفروا بالشىء ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم
خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثراً
منهم فاسقون » ^(٢)

وظاهر أن تقاليد الخير تذبل وتتلاشى مع ضعف الحماس لها ، وأن تقاليد الشر
تنمو وترسو مع ضعف التكير عليها .

من أجل ذلك كانت الخصائص الأولى للأمة التي تحمل رسالة الإسلام : الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر .

وكانت الشروط الأولى لانتصارها أن يكون هذا النصر طريقاً لتكوين بيضة تزدهر بها
العبادة ، ويسودها التراحم و تستحكم فيها الرقابة على السلوك العام ، وتظهر العلامات

(١) - البقرة . ٨٦ ، ٨٥ .

(٢) المائدة ٨١ ، ٨٠

الحمراء والخضراء باستمرار في طريق المبدىء والأخلاق، فما كان معروفاً سمح له بالمرور، وإلا وقف في مكانه وغلقت في وجهه كل الطرق . . !!

ذلك معنى قوله جل جلاله في سرد مؤهلات النصر ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور﴾^(١).

فهل أرض الإسلام الآن على هذا المستوى الشريف الغيور البصيق؟ أم إن العلل الحلقية والاجتماعية استوطنت بلادنا، وغدا الحراس عنها أو غطوا في نوم عميق؟ في اليهود الذين يخيم الموتى الإلهي، وردد لعنتهم على لسان المرسلين تقرأ قوله تعالى: ﴿وَتُرِى كَثِيرًا مِّنْهُمْ بسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَأَكْلُهُمُ السُّحْتُ لِبَشِّرَ كَانُوا يَمْلُؤُنَّ لَّوْلَا يَنْهَا هُنَّ الْرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَجْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمِ وَأَكْلُهُمُ السُّحْتُ لِبَشِّرَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٢).

فهل هذا الوصف للمجتمع اليهودي اللعين وحده؟ أم تراه صادقاً على مجتمعات شتى في العواصم الإسلامية الصاحبة بالعصيان ودعائمه، الطافحة بجراءة الفساق، وجبن العلماء؟

أيحسب عاقل أن هذه أسباب النصر والتحرر؟

إن في بلادنا من يدافع عن حرية الإلحاد، والسكر، والزنا، بلسان طلق، فإذا حدث عن حرية الإيمان والعنف واليقطنة الفكرية والأدبية امتصض وأشمارأ فهل يجر الهزيمة والعار إلا مثل هؤلاء الدواب؟

والله عز وجل ما أكرم أحداً بحفظ لصورة اللحم والمدم، إنما أكرم من عباده من زكت شمائتهم، وظهرت سرائرهم، وصلحت علانيتهم، وساروا في أرضه دعاة له، يمجدون اسمه، وينقلون حكمه، ويرفعون علمه . .

من استجمع هذه الخلال فهو سيد، وإن كان من الجنس الأبيض أو الأصفر أو الأسود، فما اللون أو للنسب وزن عند الله.

وقد ذكرنا أنبني إسرائيل كرموا ونعموا، يوم حملوا رسالة التوحيد، وتحملوا في سبيلها العنت . .

ثم زعموا بعد ذلك أن تكريمهم وتنعيمهم ليسا بهذه الأسباب، إنما هما لأنه بينهم وبين الله صلة خاصة، جعلت جنسهم ممتازاً علىخلق كافة . .

(١) - الحجج ٤١
(٢) - المتندة ٦٢ ، ٦٣

بم هذا الامتياز؟ لقد قال الله لهم ولمن زعم زعمهم « بل أنتم بشر ممن خلقتم ». (١)

والغريب أنه في هذا العصر الأعجف فعل العرب مثل ما فعل اليهود الأقدمون، فقالوا : نحن عرب ، عظمتنا ليست من رسالة الإسلام التي درستها وطبقناها ، لقد كان أمة عريقة قبل أن يجيء الإسلام ، ويمكن أن تكون أمة عريقة بعيداً عن تعاليم الإسلام .. !

ومن ثم قامت في بلاد العرب نضبات تؤخر الدين وتقدم الجنس .. . وهذا كلام من أبطل الباطل ، فالعرب قبل الإسلام كانوا أمة نكرة ، وبغير الإسلام سيكونون ذيلاً للبشرية .. .

ولا أعرف أقواماً يستحقون أن تماماً أفواهم بالبعر كهؤلاء العرب وبين السخفاء .. إن نبذ الوحي الإلهي والافتخار بمكانة مفتولة عند الله أو عند الناس أمر عابه الله على بنى إسرائيل ، وبعيته على العرب أبناء إسماعيل .. .

وفي هؤلاء وأولئك يمكن أن يساق قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين أتوا نصباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون * ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيام معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ». (٢)

ومما يندى له جبين المسلم المخلص في هذه الأيام السود أن اليهودي الأمريكي طرح جنسيته وجاء فلسطين باسم الدين .. .

أما العرب فيقال لهم : انسوا الدين واعتصموا بجنسيةكم العربية وحدها .. .

فماذا كانت النتيجة ؟

أضاعت القومية العربية فلسطين ، وظفر بها اليهود وأقاموا بها إسرائيل .. إن الكوارث العسكرية التي أصابتنا خلال هذه السنوات العشرين مزقت الملامة المسدلة على جسم ممدود معتل تسريح الجرائم القاتلة في أو صاله طولاً وعرضًا .. وأظنه ظهر لكل ذي عينين أن الأمة الرائعة ، الفارعة ، التي طوقت بالإسلام في المشارق والمغارب ، قد استحال أمة واهية الخلق ، معروجة السلوك ، ضعيفة الأخذ

(٢) -آل عمران . ٢٣ ، ٢٥ ..

(١) - المائدة : ١٨ ..

لربها ولنفسها، يفك شبابها في المذاهب العاجلة، ويتسابق نساؤها وراء الزينات الفاضحة وينهل حكمها عن شرائع الله وحدوده المقررة، وتقطع علاقاتهن الروحية بالاجتماعية به فيما يصطفون له في الصلوات الجماعية والعبادة الخاشعة ..

أفهذه مؤهلات النصر المرتقب ، ومستلزمات التأييد الأعلى من المعز المذل ؟؟
وزاد الطين بلة أن الأمة التي استرحت قبضتها على تعاليم السماء عجزت كذلك أن
تمسك بأسباب النجاح الدنيوي المعتاد ..

فظلال فشلها الدني امتدت إلى شئونها الاقتصادية والفنية والإدارية فأصبح العمل الإنساني الميسور للأخرين يخرج من بين يديها كما يخرج السقط من بطن الأم لا تعرف له ملامع ، ولا يرجي له بقاء !!

وقد رمت بصير دامع وقلب مكحوم معركة سيناء الأخيرة.

كان قائد الأعداء واسع الخبرة والمحيلة، وصل إلى منصب القيادة بعد ما دمى بدنه، وهو يصعد من السفح إلى القمة ..

وكان كما ظهر من سيرته محدود الشهوة، ممدود الفكر، خدوماً لعقيدته، معترضاً بذاته وكتابه، يقود جيشاً على غراره إيماناً ونظاماً.

أما نحن فقد اجتمعنا في قيادتنا ناقص كل الصفات التي توافرت لدى عدونا... .

فهل كان الحكيم الخير يلغى سنته الكونية وقوانينه الأزلية الأبدية فيجعل الفوضى تهزم النظام، والهوى يغلب العتيدة...؟

لقد انتهى العرب إلى النتيجة التي صنعوا هم مقدماتها، دينا ودنيا.

وسيقولون على خط الهزيمة ما يقيس تلك المقدمات موطةً لدِيهم . .

ولقد كشفت هذه الهزائم - خلال السنوات العشرين، بل منذ وعده بلفور ١٩١٧ أن الأدوية التي وصفها الزعماء السياسيون للأمة المريضة، لم تكن أدوية شافية بل كانت سوموما كاوية، فإن هؤلاء الزعماء تشبّهوا قلوبهم في مخاصلة الدين وبنـد شرائعه وفضائله.. ثم اختلفوا.

فمنهم من أعلن كفره بالإسلام عقيدة وشريعة وعبادة وتقالييد وأخلاقا.

ومنهم من طوى هذا الكفر في صدره - من باب السياسة والكلاسية وخداع الجماهير - ثم مضى في طريقه يبعد الأمة عن دينها عملياً، فلا يرى نوراً للإسلام إلا أطفاء، لا نشاطاً إلا عرقه.

وخلال هذه المدة المتناولة من ١٩١٧ إلى الآن استطاع اليهود - باسم الدين - أن يحولوا وعدا خياليا إلى حقيقة واقعة ..

أما نحن الذين أبعدنا الإسلام عن المعركة ، فقد ظللنا نتدرج حتى بلغنا الوحدة التي سقطنا فيها . وهانحن أولاء نحاول جاهدين أن نخلص منها ، وأن نقف على أقدامنا مرة أخرى ..

ومن العجز أن ننلول في آثار نكبة لحقتنا، إلا أنه من العقل أن نتحول دون تكرار هذه النكبات ..

ومن العقل أن ننصح المخطئين ، وأن نصدّهم عن المضى في طريق الخطأ القديم . وإذا كانوا لا يحسنون إلا السير في هذا الطريق فليذهبو إلى حيث ألقى ويتركوا الأمة الإسلامية تعود إلى دينها ، و تعالج قضيابها بمنطق العقيدة والجهاد ..

الآن فليعلموا أنه عرض على اليهود وطن قومى لهم فى أوغندا ، وفي مهاجر أخرى ، فأبوا إلا فلسطين ! لماذا ؟ ..

قالوا : هناك نداء الإيمان والذكريات والتاريخ الأول .
وإنقاد الاستعمار لهم ، ومنهم أرضنا ..

فلنتدبر هذا المنطق اليهودي ، ولنقس به مقررات أحد المؤتمرات العربية التي انعقدت من بعض سنين ورأى أن قضية فلسطين ، قضية عربية بحتة وقالت للمسلمين في كل مكان : لا شأن لكم بها .. !!
أى لفوهذا وأى إفك ؟؟

إن قضية فلسطين طوال أدوار التاريخ قضية دينية والغزا الجدد هجموا - كما زعموا - مليين نداء الدين .

فلحساب من توصف قضية فلسطين بأنها عربية من شأن العرب ؟

إن الذين فعلوا ذلك لم يحرروا مفهوم القضية فقط ، ولم يحرمواها تأييد جماهير المسلمين فقط ، بل فعلوا ذلك ليمسخوا معناها الحقيقي عند العرب أنفسهم ولينفسوا عن حقد ضد الإسلام تعلمه من زبانية الغزو الثقافي المسيطر على تيارات الفكر في بلادنا ..

إن عاطفة التدين تشذر زناد النشاط الإنساني بقوه ، وتبلغ به أبعد الأمان .
وعندما يفقد المسلمون هذه العاطفة بتأثير الاستعمار الثقافي ، فمعنى ذلك أن

أمريكا أمدت اليهود لا بخمسين طائرة حديثة، بل بخمسين طائرة. لا بل بعدد لا يحصى من المقاتلات التي تدك حصون العرب، وترغم جيوشهم على الفرار.
إن فقدان العرب لعاطفة الدين وهم يقاتلون إسرائيل يساوى حصول إسرائيل على القنبلة الذرية !!

على أننا لا نطلب العودة إلى الإسلام لتكون هذه العودة إنقاذاً لسمعتي العرب السياسية والعسكرية، واسترداداً للخسائر لم ينقطع إلى اليوم سيلها.
لا، إن هذه النتيجة المحققة سوف تجيء من تلقاء نفسها.

ولتكنا نطلب العودة إلى الإسلام لأن الإسلام حياتنا ورسالتنا ومعاشنا ومعادنا،
واختيار الله لنا، وتشريفه لماضينا ومستقبلنا .. !

فكيف نرتدي على أعقابنا ونسى الرسالة العظمى التي أثر الله بها جسنا ولغتنا،
ورفع بها فدراً وتاريخنا ؟
ثم ماذا أفلتنا من جهد الإسلام .. ?

الهراءن الذي تسود بها الوجوه، والتي جعلت البعض يستسر بأرضنا والتي حفرتانا
عند أنفسنا وعند الناس ؟

إلا أنه لا يعترض العودة إلى الإسلام إلا أحد رجلين :

مرتد يكره هذا الدين، ويميل بهوام مع أعدائه الكثرين في الشرق والغرب.
أو جاهل يظن التمسك بالإسلام رجعية توصم بالتعصب، ويرى في القومية
المجردة طريقاً لبناء الدولة الحديثة بعيداً عن الطائفية وشتى التهم.
فها نحن أولاء، ندور في عاصفة تريد اقتلاع جذورنا، ومحو أوطاننا فماذا كسبنا
من هذه القومية الكافرة ؟

لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم .. لا نجاية للعرب إلا إذا ألقوا أنفسهم في
أحضان الإسلام .

* * *

ونعود إلى ما يزعمه اليهود من أن لهم حقاً تاريخياً في هذه المناطق ..
من هو إسرائيل الذي يتمسحون باسمه ؟

لقد كان رجلاً صالحاً يحيا مع أولاده في بادية الشام، كان رب أسرة كبيرة من هذه
الأسر التي تتضرر رزق الله في أرضه الواسعة ..

لم يكن صاحب إقطاعات ضخمة، ولا سلطة معروفة، وما يزيد عن غيره من البدو
إلا بدعوة التوحيد التي حرص عليها..

وكان أولاده حاشا يوسف الصديق أصحاب خلق رديء، وغيره ذميمة، وعندما
أجذبت البداية وتعرض سكانها للمجاعة استضاف يوسف أباه وأخته ليجدوا في
مصر كهفا يأوون إليه ويقطعون من خيره..

وشكراً لهذه النعمة، وتنويها بحقها، وتدعيها للماضي المؤسف جاء على لسان
يوسف لأبويه وإخواته «دخلوا مصر إن شاء الله أمنين»^(١) قوله كذلك «وقد
أحسن بي إذ آخر جنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزع الشيطان
بيني وبين إخوتي»^(٢).

فهل إذا استضافت مصر أسرة محرجة كان ذلك صك عبودية لمصر؟ أى ضيافة في
الدنيا تبعها هذه المزاعم؟

ما كان إسرائيل صاحب حقوق في بادية الشام، ولا كان صاحب حقوق في وادي
النيل..

ثم نمت العائلة الضيفة وقعت بينها وبين المصريين جفوة لم تتبين أسبابها بخلاف،
هل ترجع إلى أن أفرادها كرهو الاندماج في الشعب المصري؟ أو ترجع إلى أن
أفرادها لم يشتراكوا في مقاومة الغزاة الذين هاجموا مصر؟ أم كلا الأمرين؟
إلا أن هذه الجفوة حولها فرعون إلى حرب إبادة لا عدل فيها ولا رحمة..

وقضت حكمة الله ألا يتتجاوز الشعبان في أرض واحدة فيبعث موسى بطلب
معقول. هو السماح لبني إسرائيل بمقادرة البلاد فناشد موسى فرعون أن يقبل ذلك
«فارسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بأية من ربك والسلام على من اتبع
الهدي»^(٣).

إلا أن جنون العظمة استبد بفرعون، وأبي الأحمق إلا أن يدخل في عناد مع القدر،
انتهى آخر الأمر بمصرعه.

ونجا بنو إسرائيل من العذاب المهين وأراد موسى أن يدخل بهم فلسطين ليجدوا
فيها الأمان الذي ينشدون، وكانت فلسطين عصراً نذ مسكونة بنفر من الجبارية العتا،

. ٤٧ - ط : (٣)

. ٩٩ - يوسف :

. ١٠٠ - يوسف :

وما كاد نبيهم يقرع مسامع بنى إسرائيل حتى ضجوا من الفزع، وأبوا إباء تاماً أن
يجيئوا موسى إلى طلبه..

ومنذ ترك موسى وقومه مصر أخذت المخازى النفسية لليهود تكتشف ويظهر أن
هذه المخازى كانت مطوية تحت ثياب الذل والمسكنة، فلما شعروا بالتحرر أخذوا
يجمحون يمنة ويسرة دون ضابط..

وكان موسى أول من تعرض لأدي قومه، وسوء عشرتهم، واستجابتهم وتقديرهم
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لَمْ تَؤْذُنِي وَقَدْ تَعْلَمْتُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ الْيَكْرَمُ فَلَمَّا زَاغَوا
أَزْغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١).

وقضت حكمة الله أن يؤدب بنى إسرائيل فأثأبهم في صحراء سيناء أربعين سنة
مات خلالها هذا النبي الكريم وهو ضائق بقومه وهلكت في انتها الأجيال التي لا
تصلح للحياة والجهاد. وبيت جيل آخر كتب الله له أن يدخل فلسطين.
نعم دخلها ليتفقد فيها سة كونية لم يمص كبير وقت بعدها حتى تطبق عليه نفسه هذه
السنة الصارمة، فتفقد فيه كما نفذت فيمن سبقة..

إن الجبارية السابقين احتلت أراضيهم وغبوا على أمرهم، ثم جاء بنو إسرائيل من
بعدهم ليقيموا حكما ديننا صالحوا يوفروا لهم ولغيرهم الأمان والإيمان.
وكانت التوراة بين أصحابها دينًا ودولة وكرل لهم فيها هدى ونور.

فهل أقام بنو إسرائيل ذلك المجتمع المنشود، وأخلصوا الله فيه؟؟

إنهم سرعان ما فسقوا عن أمر الله واستشرت فيهم العلل التي أومنا إليها أنفسنا.

فإذا بختنصر وقومه يهجمون على المتدبرين الكاذبة، ويدمرون هيكلهم، ويسوقون
الألوان المؤلفة من شبابهم أسرى إلى بابل وإنها رات إسرائيل ولما يمض على
تكوينها زمن يذكر ..

ومنح الله بسى إسرائيل فرصة ثانية، فتحررروا من الأسر البابلى واستردوا قواهم
الضائعة، وأقاموا الهيكل، واستأنفووا تاريخهم، بيد أن العلل الكامنة في دمائهم لم
تفارقهم، وتفاقمت شرورهم بالعدوان على رسول الله واستباحة دمائهم ..
وقد أنهى الرومان الحكم الإسرائيلي الثاني، واحتلوا فلسطين كلها.

فكم تظن مدة الحكمين اليهوديين لفلسطين؟

قرابة مائة وثلاثين سنة !!

ولم يكن هذا الانهيار السياسي ختام الوجود الديني للميهود، بل كان ختام وجودهم الديني كما ذكرنا تكذيبهم لرسالة عيسى بن مريم فإن الله عز وجل نقل النبوة بعدها إلى العرب.

ويذلك انتهى دور بني إسرائيل في توجيه الضمير البشري.

هل حكم بني إسرائيل لبقة ما في الشرق الأوسط قرنا أو قرنين يعطيهم فيها حقوقاً أبدية؟

اللهم لا . . .

إن عمر بن الخطاب لما تسلم القدس من بطريقها المسيحي اشترط عليه هذا الطريق الناصح لا يدخل اليهود القدس !!

وليتنا تذكر يا هذا الشرط ولكننا ننسى

وقد عرف المؤرخون أن تسامحتنا الدينى خلال تاريخنا الطويل تحول إلى غفلة دفعنا ثمنها فادحـا . .

على أن اليهود أنفسهم يجب أن يعلموا أن ما يدعون من حق في فلسطين لا يقوم على سند ديني محترم ، فهم لم يغيروا أشيائنا من خلائقهم التي أحلت بهم سخط الله في الدنيا والآخرة ..

هم يعلمون أن لعنة الله تبعتهم وهم يغرون من بلد إلى بلد ، فماذا صنعوا للخلاص منها ؟

لا شيء ، إنهم وراء جميع الأزمات الروحية والمادية التي تدوخ الجنس البشري ، وتميل به عن الصراط المستقيم ..

والذين يختبئون وراء إسرائيل يعلمون أن الوجه الديني لرببيتهم يخفي وراءه نيات سوداء للبشرية جمـاء .

والحق أن إسرائيل تجسيد لكل الأحقاد التي طفحـت ضد العروبة والإسلام . وأن الأنسـوس الوحـيد لقيـامها لا يلتـمس في المـشارق والمـغارـب ، وإنما يلتـمس في مـنطقة الشـرق الأوسط هـذه ، أعني قـلب الأـمة العـربية .

إن تفريط العرب في الإسلام، ونسيانهم لرسالتهم العظمى، وتحولهم إلى شعوب متعطلة متباعدة هو الذي خلق هذه المأساة ..

إننا لم نخاف الله فخوفنا الله بباب الأرض .

وجعل الأقربين والأبعدين ينظرون بشماتة وازدراء إلى جراحاتنا التي لا ينقطع لها تزيف .

إن عشرات الدول الكبرى والصغرى نظرت إلى اللص يسطو على البيت ،
فانضمت إليه ضدر رب البيت الذي شرع يدافع بدشة ولهفة عن مسكنه !!
إنه يدافع متظراً أى عنون إنساني من أولئك المفترجين على المعركة .
وهيهات ..

ولو تسللت إلى صمائر هؤلاء المشاركون في الهيئة الدولية لوجدهم يقولون : هذا اللص أولى من الحيوان الذي يقطن الدار !
إنها داره ولكنه لا يستحقها .. !

تلك هي سريرة عدد كبير من الدول التي تسخر من ضعفنا ، وبالتالي تحكم علينا لا لنا ..

والسبب ؟

السبب نحن لا غيرنا ، وذاك أرقى عقاب ينزله الله بأمة تخلت عن دينه ، وأدارت ظهرها ل تعاليمه .. !!

وسوف يبقى الوضع كذلك حتى نذكر أننا مسلمون .
وأن الإسلام يفرض علينا تشكيل أوضاعنا الخلقية والفكرية والاجتماعية
والشرعية على نحو آخر .

عندئذ تطلع الشمس وتختفي الأشباح (١) ..

(١) - يمثل هذا الفصل شطر المحاضرة التي ألقبها في دار الإصلاح الاجتماعي بالكويت في رمضان ١٣٨٨ ، أما شطرها الآخر فقد وزعه على بعض الفصول الأخرى اللاحقة .
وتحميصة الإصلاح بالكويت تنهض بعمء هنل في حديمة الدعوة الإسلامية وتنفذ مصلاته في وجه التيارات المنحرفة ، أتمنى الله سبحانه وآميناً خطاها .

يهودية وصهيونية

سمعته يقول : اليهودية شيء والصهيونية شيء آخر ..

اليهودية دين سماوي كالنصرانية والإسلام .

أما الصهيونية ففرعية سياسية متطرفة استغلتها الاستعمار الغربي لبلوغ ماربه .

اليهودية دين قديم له مصادر المقدسة .

أما الصهيونية فحركة حديثة ولدت في نهاية القرن التاسع عشر للميلاد ، وغذتها ونمطها ظروف عنصرية ودولية طارئة ..

قلت له : تعنى أن اليهودية لا أطمع لها في فلسطين . وأنها لم تبيت عدواًانا على العرب الآمنين ، وأن التوراة والتلمود وسائر الأسفار المقدسة بريئة مما تفعله دولة إسرائيل ، وأن الحرب المعلنة علينا من خمسين سنة ليست دينية !!

قال : نعم هذا بدقة ما أريد أن أذكره !! ..

قلت : أوكـوـرـأـتـ عـلـيـكـ منـ نـصـوـصـ الـكـتـبـ المـقـدـسـةـ ماـ يـدـحـضـ هـذـهـ الأـوهـامـ ؟ـ .

قال : كـيفـ ؟ـ يـسـتـحـيلـ أـنـ تـضـمـنـ هـذـهـ الـكـتـبـ المـقـدـسـةـ اـسـتـباحـةـ أـرـضـنـاـ وـجـنـسـنـاـ وـالـاستـهـانـةـ بـحـقـوقـنـاـ الـمـؤـكـدـةـ ؟ـ

قلت : بل سأـفـرـأـ عـلـيـكـ مـنـ الـكـتـبـ المـقـدـسـةـ الـمـعـداـلـةـ بـيـنـ أـيـدـىـ الـقـوـمـ مـاـ يـزـيـعـ هـذـهـ الغـشاـوةـ عـنـ الـأـعـيـنـ ،ـ وـمـاـ يـشـرـحـ أـنـ فـلـسـطـيـنـ كـانـ مـلـكـاـ لـبـنـيـ إـسـرـائـيلـ خـاصـاـ بـهـمـ ،ـ وـأـنـهـ أـجـلـواـ عـنـهـاـ عـقـابـاـ إـلـيـاهـاـ لـلـأـثـامـ الـتـىـ اـرـتـكـبـوـهـاـ ،ـ وـأـنـ إـلـهـ الـذـىـ عـاقـبـهـمـ تـجاـوزـ -ـ بـعـدـ عـنـ سـيـئـاتـهـمـ ،ـ وـقـرـرـ إـعادـتـهـمـ إـلـىـ أـرـضـهـمـ الـأـولـىـ كـىـ تـفـيـضـ عـلـيـهـمـ سـمـنـاـ وـعـسـلاـ وـخـمـراـ ،ـ وـأـنـ هـذـاـ إـلـهـ بـدـمـ عـلـىـ مـاـ فـعـلـ بـشـعـبـهـ الـمـخـتـارـ ،ـ وـرـدـ إـلـيـهـ مـجـدـهـ ،ـ وـوـطـنـهـ ،ـ كـىـ توـطـدـ سـلـطـتـهـ وـسـيـادـتـهـ عـلـىـ أـنـقـاضـ غـيـرـهـ مـنـ الـأـمـ

هـكـذاـ تـقـولـ صـاحـافـ التـورـاةـ وـالـتـلـمـودـ وـاصـحـاحـاتـ الـعـهـدـ الـقـدـيمـ الـتـىـ يـتـبـعدـ اـنـيـهـودـ فـيـ الـمـشـرـقـ وـالـمـغـرـبـ بـتـلـاوـتـهـاـ ،ـ وـالـتـىـ يـسـتـوحـونـ مـنـهـاـ سـيـاسـتـهـمـ فـيـ الـقـدـيمـ وـالـحـدـيثـ عـلـىـ سـوـاءـ !!

وعلى ضوء هذه السطور المقدسة بل على نارها المحرقة أكلت حقوق العرب،
وتواصي الأوروبيون والأمريكيون باجتياحها .. !

ثم جاء اليهود في الوقت المناسب ليسلموا أرض المعاد التي حدثهم كتبهم عنها،
وياشروا حرب الإبادة التي لابد منها ليسود جنسهم، وتقوم مملكتهم .. !!

وقد كانوا في إقبالهم من شتى القارات إلى فلسطين معيشين بشعور ديني عارم تعمل
من ورائه هذه النصوص ، كما أنهم في سانهم دولة إسرائيل ومقاتلتهم العرب أصحاب
الأرض ، كانوا مفعمسين بهذه العاطفة الدينية المرتكزة على كلمات التوراة والتلمود
وإصحاحات العهد القديم !!

قال الرجل : أين هي تلك النصوص التي تشير إليها ؟

قلت : أنت وأصحابي بين يديك ما يشرح رأينا نحن المسلمين فيها .. . فبنا عشر
المسلمين نؤمن بموسي وتوراه .. . أمد دوه جامعاً العهد القديم ونبيه إلى الله
فأمر آخر يتजاور فيه الحق والباطل والجد والهزل !!

ربما كان قريباً من الصدق أن الله شتت بنى إسرائيل لما اقترفوه من ذنب .

وفي القرآن الكريم شرح دقيق لذلك جلونا طرفاً منه فيما مضى .. .

ومن ثم فتحن نقل إجمالاً ما ورد في صحف العهد القديم من أسباب النكال ببني
إسرائيل والحكم بتمزيقهم في أرجاء الأرض .. .
ولنقرا معهم هذه الكلمات الواردة في كتبهم

« لأجل ذلك قال السيد رب - من أجل أنكم ضججتم أكثر من الأمم التي
حواليكم، ولم تسلكوا في فرائضي، ولم تعملا حسب أحکامي . ولا عملتم حسب
أحكام الأمم التي حواليكم .

لذلك - هكذا قال السيد رب - ها إني أيضاً عليك ^(١) ، وسأجري في وسطك
أحكاماماً أمام عيون الأمم، وأفعل بك مالـم أفعل ، وما لن أفعل مثله بعد بسبب كل
أرجسك ! .

لأجل ذلك تأكل الآباء الآباء في وسطك ، والآباء يأكلون آباءهم ، وأجرى فيك
أحكاماماً وأذري بيقيتك كلها في كل ربيع ^٢ - ١٠ : الإصحاح الخامس ، حزقيال).

(١) - الخطاب لأورشليم أو بيت المقدس .

« من أجل أنك صفت ^(١) بيديك ، وخطبت برجليك ، وفرحت بكل إهانتك للموت على أرض إسرائيل . فلذلك هأنذا أمد يدي عليك ، وأسلمك غيمة للألم ، واستأصلك من الشعوب ، وأنيلك من الأرضى ، أخربك فتعلم أنى أنا رب ^(٢) ٦ - ٧ الإصلاح الخامس والعشرون حزقيال). »

« ويكون في ذلك اليوم ، يقول رب : إنى أقطع خيلك من سطرك ، وأبيد مركباتك ، وأقطع مدن أرضك ، وأهدم كل حصونك ، وأقطع السحر من يدك ، ولا يكون لك عائفون . »

« وأقطع تماثيلك المنحوتة ، وأنصابك من سطرك فلا تسجد لعمل يديك فيما بعد » ^(٣) (١٠ - ١٣ : الإصلاح الخامس ، ميخا) .

« إلى الجلاء إلى السبي يذهبون . والرئيس الذى فى وسطهم يحمل ^(٤) على الكتف فى العتمة ويبخر ، ينقبون فى الحائط ليخرجوا منه . يغطى وجهه لثلا ينظر الأرض بعينيه . »

« وأبغض شبكى عليه فيؤخذ فى شركى وأتى به إلى بابل إلى أرض الكلدانين ولكن لا يرها وهناك يموت . . . »

« وأذرى فى كل ريح جميع الذين حوله لنصره وكل حيوشه .
واستل السيف وراءهم . فيعلمون أنى أنا رب حين أبدهم بين الأمم وأذريهم فى الأرضى . »

« وأبغى منهم رجالاً معدودين ، من السيف ، ومن الجوع ، ومن الوباء ، لكنى يحدثوا بكل رجاساتهم بين الأمم التي يأتون إليها فيعلمون أنى أنا رب ^(٥) ١١ - ١٦ : الإصلاح الثاني عشر ، حزقيال) . »

« ونحن نجزم بأن الله لعن بنى إسرائيل لعصيانهم وعدوانهم ، ونستفيد هذه الحقيقة من كتابنا الوثيق قبل استفادتها من أي شيء آخر . . . »

« فهل تغير من خلائق اليهود ما استحقوا من أجله اللعنة ، لقد مرتآلاف السنين على هذا الشعب المطارد ، قاتل الأنبياء ، المتمرد على وحى السماء ! ، وبعث الله عيسى إليهم فكذبوه وحاولوا قتله ، وبعث إليهم محمداً من بعده فكذبوه وحاولوا قتله ، وتتابع الأعصار وهم حيث حلوا في أرض الله نماذج للأثرة والفسوة وأكل الربا وإشاعة الخنا . . . »

(١) - الخطاب هنا للشعب الإسرائيلي .

(٢) - يعني أن ملكهم سيكون كالسوق في المهانة .

يبد أن كاتب العهد القديم وعد اليهود بأنهم سيعودون إلى فلسطين التي نفوا منها !
وتوارث القوم هذا الأمر، وأحسوا أن هذا القطر إبرت لابد أن يتول إليهم، وأن
غيرهم طارئ عليه يجب أن يزول ..

وعلى هذا الأساس عمل العرب، وعونج وجودهم التاريخي والديني !!
وانتقد أ هذه الكلمات من المهد القديم : « برائحة سروك أرضي عنكم ، حين
أخرجكم من بين الشعوب . وأجمعكم من الأرض التي تفرقتم فيها ، وأنقدس فيكم
أمام عبوب الأمم ! فتعلمون أنى أنا الرب حين أتي بكم إلى أرض فلسطين ! إلى
الارض التي رفعت يدي لأعطي آباءكم إياها ». (٤١ - ٤٢ من الإصحاح العشرين :
حرقيال) .

أى نشوء دينية عارمة تغمر اليهود وهم قادمون من كل فج وصوب أرض فلسطين ؟
وهذا النص الديني يسوقهم ...

وقبل أن استطرد في إيراد التصوص الدينية التي تحدث اليهود عن أرض المعاد ،
وعن قيام دولة جديدة لهم لابد من أن أقف لأشرح وأشرح ... !

إن بني إسرائيل لم يحدُّثوا توبة يستحقون بها الرحمة العليا ، فهم تائبون عن الحق
في مجال الاعتقاد والعمل ، وهو وراء أزمات الإيمان والأخلاق التي ترذل الكيان
البشري ، وتهددهم بالدمار الشامل

وعودتهم الجزئية إلى فلسطين ترجع أولاً إلى طبيعة الجبهة المناوبة لهم ، أو إلى
أصول الأمة التي ورثت الدعوة من بعدهم - كما أسلفنا شرح ذلك في الفصل
السابق .

إن العرب تخليوا عن قيادة الدعوة العالمية للإسلام .
بل تجردوا من جملة فضائله وعزاته .

بل تسلمت السلطة في بعض أقطارهم حكومات ترفض الإسلام دولة وتكرهه
نظاماً (!) .

في هذا الليل المعتكر من الفتنة المتلاحقة قد ياذن الله لليهود بعودة لا قرار لها ،
لأن اليهود لا يحملون بذور رسالة إنسانية صالحة ، ولأن حملة الرسالة الإسلامية
الباقية سوف يستفيقون من غفلتهم أو يتغلبون على هزائمهم ، ويستأنفون مقاتلة اليهود
حتى يجهزوا عليهم ..

أليس من تعاجيب الظالى أن تخلى الأمة العربية عن الإسلام ؟ عن الحق الذي رفع

الله به قدرها ؟ وترعم وسائل الإعلام بها أن قضية فلسطين ليست إسلامية ! وذلك في الوقت الذي يتشبث العربون فيه بتراثهم ويعدون فيه فلسطين قمة إلهية لهم ؟؟ وهل يبحث عاقل عن سر هزائم العرب بعد هذا التفاوت الهائل في الروح المحرك لكلا الفريقين ؟ .

فلنقرأ عن أرض المعاد لا كما يتحدث كتاب الصهيونية ، بل كما يتحدث المهد القديم نفسه ، لنقرأ هذا النص الطويل :

«لذلك فقال لبيت إسرائيل - هكذا قال السيد الرب - ليس لأجلكم أنا صانع بابيت إسرائيل بل لأجل اسمى القدوس الذي نجسسته في الأمم حيث جنتم ، فأقدس اسمى العظيم المنجس في الأمم الذي نجسسته في وسطهم ، فتعلم الأمم أنني أنا الرب .

يقول السيد الرب : حيث أنقذتكم فيكم قدام أعينهم ، وأخذتم من بين الأمم ، وأجممعكم من جميع الأراضي ، وأتي بكم إلى أرضكم ، وأرش عليكم ماء طاهرا فتطهرون من كل نجاساتكم ومن كل أصنامكم أظهركم .

وأعطيكم قلبًا جديدا ، وأجعل روحًا جديدة في داخلكم ، وأنزع قلبك الحجر من لحمكم ، وأعطيكم قلب لحم ، وأجعل روحًا في داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحکامي وتعملون بها . وتسكون الأرض التي أعطيت آباءكم إليها و تكونون لي شعبا وأنا أكون لكم إلهًا ، وأخلصكم من كل نجاساتكم .

وأدعو الحنطة وأكثراها ولا أضع عليكم جوعا ، وأكثر ثمر الشجر وغلة العقل لكيلا تناولوا بعد عمار الجوع بين الأمم فتذكرون طرقكم الريدية ، وأعمالكم غير الصالحة وتمقتو أنفسكم أمام وجوهكم من أجل آثامكم وعلى رجاساتكم .

لام أجلكم أنا صانع - يقول السيد الرب - فليكن معلوما لكم ، فاخجلوا واخزوا من طرقكم يا بيت إسرائيل - هكذا يقول السيد الرب .

في يوم تطهيرى إياكم من آثامكم أسكنكم في المدن ، فتبينى الحرب ، وتفلج الأرض الخربة عوضا عن كونها خربة أمم عينى كل عابر ، فيقولون هذه الأرض الخربة صارت جنة عدن . والمدن الخربة والمقبرة والمنهيمة محصنة معمرة ! فتعلم الأمم الذين تركوا حولكم أنني أنا الرب ، بنيت المنهيمة وغرست المقبرة . . أنا الرب تكلمت وسأفعل ، هكذا قال السيد الرب .

بعد هذه أطلب من بيت إسرائيل لأفعل لهم. أكثرهم كفمن أناس. كفمن مقدس كفمن أورشليم في مواسمها، فت تكون المدن الخربة ملأة غنم أناس فيعلمون أنى أنا الرب » (٣٨ - ٢٢ الإصلاح السادس والثلاثون : حزقيال).

وهذا النص . . أيضا :

« هو ذا عينا السيد الرب - على المملكة الخاطئة وأيديها عن وجه الأرض غير أنى لا أبدي بيت يعقوب تماما يقول الرب ، لأنه هأنذا امر فأغرب بيت إسرائيل بين جميع الأمم كما يغرب في الغربال وحبة لاتقع إلى الأرض . بالسيف يموت كل خاطئ شعبي القاتلين لا يقترب الشر ولا يأتي بيتنا .

في ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة ، وأحصى شقوتها ، وأقيم ردمها وأبنيها أيام الدهر ، لكنه يرثوا بقية أدوم وجميع الأمم الذين دعى اسمى عليهم . يقول الرب الصانع هذا . .

ها أيام تأتى . يقول الرب يدرك العارث العاصد . ودانس العنبر باذر الزرع ، وتقطر الجبال عصيرا وتسيل جميع التلال ، وأورد سبي شعبي إسرائيل فيبون مدنا خربة . ويسكنون ويغرسون كرومها ويشربون خمرها ويصنعون جنات ويأكلون أثمارها . وأغرسهم في أرضهم ولن يقلعوا بعد من أرضهم التي أعطياهم . قال الرب إلهك » (٨ - ١٥ الإصلاح التاسع : عاموس) .

ونختم بهذا النص :

« هكذا قال رب الجنود هأنذا أخلص شعبي من أرض المشرق ومن أرض مغرب الشمس ، وأتى بهم فيسكنون في وسط أورشليم ويكونون لي شعبا وأنا أكون لهم إله بالحق والبر » (٧ - ٨ الإصلاح الثامن : زكريا) .

هذه نصوص لم يكتبها « موشى ديان » في هذا القرن ولم يكتبها « هرتزل » في القرن الماضي . ولم تتمخض عنها مؤتمرات الصهيونية في سويسرا أو في فرنسا . إنها - عند ذويها - آيات وحي يتنى ، ومعالم دين يتبع ..

وليس اليهود وحدهم الذين يؤمنون بهذه الوعود السماوية لبني إسرائيل بل كثير من النصارى الذين يجعلون إصلاحات العهد القديم أجزاء من الكتاب المقدس ، خصوصا الكنائس الإنجيلية (البروتستانت) الذين يمثلون أكثر شعوب إنجلترا والولايات المتحدة ١١

ولكن عصابة من الكتاب العرب أخذت على عاتقها تعطية هذه الحقائق الدينية ، والزعم بأن « إسرائيل » تمثل الصهيونية ولا تمثل اليهودية ، وأن الدين لا علاقة له بهذه الحرب الناشبة لإبادة العرب وتهويد فلسطين !!

أهو الجهل الأعمى ؟ ربما ، ومن البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه لا لمن يصرره !!

أهو الإقصاء المتعمد لدور الإسلام في المعركة ؟ ذلکم أغلبظن ، بل هو جملة اليقين .

و عمل أولئك الكتاب هو تسييم الفكر العربي حتى يدخل العرب معركتهم الحاسمة بلا روح ، أى بلا إيمان ديني واضح دافع ..
ونعود إلى كلمات العهد القديم التي دونا بعضها هنا ..

إن موسى عليه السلام لا صلة له بهذه الوعود وتوراته لم تتضمن إشارة .
ثم إن احتلال آية بقعة من الأرض لا يعطي المحتل الحق الأبدى في امتلاكها ..
وبنوا إسرائيل دخلوا فلسطين محتلين ، ومكثوا بها أقل مدة مكثها جنس آخر عمر
هذه الأرض .

فوجودهم التاريخي بها لا ينحتمم أى حق للبقاء فيها أو العودة إليها .
نعم ، نحن نؤمن أن أسرة يعقوب حملت راية الدعوة إلى الله ، وتنقلت بها بين
وادي النيل وربيع فلسطين .

لكن أولاد يعقوب نكسوا هذه الراية فيما بعد ، وتنكبت كثرتهم سبيل الحق ،
وجارت على الوحي ورسله . فعزلتهم الله إلى الأبد عن هذا المنصب ، وأثر به أمة
آخرى كانت فيها الرسالة الخاتمة .

ثم صب غضبه على بنى يعقوب الخونة وذراهم في الأمم كما سجل ذلك كاتبو
إصحاحات العهد القديم فيما نقلناها هنا .

لكن حخامات اليهود مزجوا في حياة المجتمع اليهودي بين أمررين متناقضين .
أولهما الحرص على مخاصمة الرسالات السماوية الصادقة ، ومجافاة أهدافها
الإنسانية الرفيعة . .

والآخر التشبيث بالانتساب إلى أسرة الدعوة الإلهية ، والزعم بأنهم أبناء الله
وأحباؤه ، ويتبّع ذلك بدهنة أمليهم في عودة مجدهم القديم ومملكتهم الأولى . .

والحاخامات الذين كتبوا العهد القديم من عند أنفسهم نضجت آمالهم على ما دونوا فكانت هذه النسائل التي تسلى بها اليهود دهرا، ثم حولوها في هذا العصر إلى أمر واقع ..

ونحن لا نستغرب الانتصار المبدئي الذي أحرزه اليهود، ولكننا نقول : إنه لم يتم لخير فيهم بل لشرف في غيرهم ..

إن رجالهم ونساءهم وشبيهم وشياطين عقائدتهم بناء التوراة، ملتفين حول إيمان زائف على حين كان العرب المثقفون يستحون من الالتساب للقرآن، وينسجون من مواطن الدين الحقيقي فتراءفت النكبات والنكسات وكان ساندي له جبين الحر .. !

وضاعف من هزائم العرب أن الحقد الصليبي الذي لم تخب جذوته يوماً كان يشد من أزر المعندي، ويعيه إذا ضعف . ويحدد رميته إذا طاشت ..

ولو أن اليهود وحدهم كانوا في المعركة وكانت قلول العرب على ما بها من تمزق مادي وتمزق معنوي قديرة على كسر إخوان القردة ..

إلا أن العرب ووجهوا بالشعب، مضاعفاً لقدر شاهد الله فكان ما كان .. !!

وما دمنا في سياق البشارات الدينية والوعود الإلهية . فإن لدينا في كتاب الله وسنة رسوله ما يكمل آمال اليهود في أرض المعاد ..

إنهم سيعودون فعلاً، ولكن ليفنوا لا ليحيوا، ولتنتهي رسالتهم في هذه الدنيا لا لتجدد.

ففقى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ستكون مقتلة عظيمة بين المسلمين واليهود فيقتل المسلمون اليهود، حتى إذا اختفى اليهودي خلف حجر نادى الحجر يا مسلم هذا يهودي تعال فاقتهle^(١).

أجل .. إن اليهود سيجتمعون بعد شتات ولكن ليتحقق فيهم قول الله عز وجل «إذا ناذن ربكم ليعش عليهم إلى يوم القيمة من يومهم سوء العذاب إن ربكم لسرير العقاب وإنه لغفور رحيم»^(٢).

(١) - رواية السخري «لقاتلك اليهود، متسلطون عليهم، حتى يقول الحجري مسلم، هذا يهودي وراني دقته» ورواية مسلم «يقتلون اليهود حتى يختنق أحدهم وراء الحجر، فيقول: يا عبد الله، هذا

يهودي وراني قاتلته» والروايات كثيرة ومنوعة، ومعنى نداء الآخر أن حصور القوم سوف تقضمهم وتندل عليهم فيموتون فيها وتن تعدو المعamura اليهودية لاحتلال فلسطين هذا المصير.

(٢) الأعراف ١٦٧ .

على أن ما يبييه القدر لبني إسرائيل من بلاء ماحق لن يوقعه بهم العرب - من حيث هم عرب - ولكن يوقعه بهم العرب بعدما يعودون إلى الإسلام ظاهراً وباطناً، ويعرفون به حكومات وشعوبها، ويكون النداء المعهود المتبادل : يامسلم هذا يهودي تعال فاقتهل ..

نعم، يامسلم، لا أى نداء آخر ..

إن حرب الإبادة قد وضعت خطتها لإفقار الجنس العربي وإحلال بني إسرائيل مكانه، والحقيقة إن الإسلام بالنسبة للعرب ليس فقط الهداية العليا لعباد الله، ولكنه طرق النجاة العاخص من الغرق بالنسبة إلى هؤلاء العرب، والخيط الباقى ليظلوا على قيد الحياة إن أرادوا الحياة.

فهم - رضوا أو سخطوا - يواجهون حرباً دينية تشنها مشاعر مخلوطة بشغاف القلوب ، وليس كما يحكى لهم الكلبة يواجهون حرباً استعمارية عادمة .

وأريد - بوصفى إنساناً مسلماً - أن أذكر رأى في الحروب الدينية ..

إنها صورة بشعة أن يقتل امرؤ آخر ليجعل من دمه طريقاً إلى الجنة ..

إنها صورة بشعة أن أقول لأخر : اعتقد ما أقول وإلا افترستك وأناأشعر بذلك الولوغ فى دمك ..

إن الإسلام عدو مبين لهذا النوع من الحروب. بل إن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانت القاضية على كل قتال من هذا اللون القاسي ..

فهل كذلك فكر واضعو هذا العهد القديم؟ يستطيع أى قارئ أن يطالع فى الأسفار^(١) المقدسة «أوامر الله» باستئصال الأعداء، رجالاً ونساء وأطفالاً، واستئصال ما يملكون من حيوان ونبات، ونشر الخراب فوق كل شبر من أرض الأعداء إسرائيل ..

وعندما كنت أقرأ أخبار القرى العربية التي اختفت من الوجود، والبيوت التي دمرت بعد ما فر أصحابها مروعين كنت أعلم أن بني إسرائيل إنمانفذوا أحكام التوراة - فيما يزعمون .

إن واضعى هذه الأسفار كانوا جازرين في ثياب متدينين، وكان ضحاياهم في هذا العصر الأشأم من العرب المسلمين ..

(١) - فسنا نصوص من حرب الإبادة من إصلاحات نعهد القديم في مكتن احر من كتب «التعصب والتسامح».

وقد قام اليهود بمذبحة «دبر ياسين»^(١) وغيرها من المجازر استجابة دينية حرفية لل تعاليم التي يتدارسونها ويتوارثونها.

وهي تعاليم - فيما نرى نحن المسلمين - مبنوته الصلة بأنباء الله، وإن زعمها هؤلاء وحيًا من السماء.

واليهود فجرة مهرة، وقد عقدوا مع المستعمرین معاہدة للنفع المتبادل وللتغیییر عن الحقد المشترك، ولست أدری بالضبط أى الفريقيں كان أقدر على تسخیر الآخر والإفادة منه.. وإن كان المسلمين يقین هم الفريق المغبون الفادح الخسار.

إن سخط الله على بني إسرائيل لم تتفصل أسبابه ولعلها لن تنتهي أبداً ما داموا على طبائع الملعونين من أسلافهم قسوة فؤاد، وشره نفس، وأكل سحت، وفساد معتقد، وبغيًا في الأرض، واستطالة على الخلق!!

وإذا كان الله قد ضرب بهم بعض الشعوب التي فرطت في جنبه بلبس ذلك رضا، وتقربياً بعد إبعاد، فإن الهيكل الأول هدمه الوثنيون، وقد تسلط على بني إسرائيل قدি�ماً من هم شر منهم.

ومسلمو اليوم يتعرضون لبلاء طويل بغير شك، ومن يدرى؟ قد يكون ذلك باعثاً لهم على صلح مع الله وعودة إلى الإسلام الذي هجروه.. .
وعندئذ تكون هذه المحنة منحة وتكون الضارة الثانية.

ومهما ساءت الأمور فلام حلم إسرائيل بحكم العالم من أورشليم لن يتحقق، فإن الحجب بدأت تتمزق عن أثار اليهود الرهيبة في أرجاء الأرض.. . وخصوصاً وسط العالم المسيحي.. .

(١) قرية «دبر ياسين» فربة فلسطينية صغيرة قرب القدس، تعرضت في ٩ أبريل عام ١٩٤٨ إلى قتل قيام إسرائيل حوالي شهر. الهمجوم غادر من حساب المقطوعات الإلهية الصهيونية تحول إلى مجررة بشعة فاسدة دفع حلالها لاسحة الحديدة وبالسلاح الأبيض (٢٥٤) من الرجال والنساء والأطفال العرب وبلغ المئون والجرون سالمجاهم إلى حد التمثيل الشعبي بحسب الفضاحيا من الأطفال والنساء وتمريضها إرب في دروس الثقة وشوارعها. أمنية السكان الذين حموا من المحرقة فقد سانهم المهاجمون في شوارع القدس، ملائتهم مقطوعة بالأسد، بينما يشهي موك دابياً نصر

وعرف فيما بعد أن المجزرة كانت من تدبير عصابة صهيونيين هما:

أولاً عصابة «أرجون رفائيل يومي (المقطوعة العسكرية الوطنية)» وهي تنظيم رهابي صهيوني كان يرأسه مناحيم بيغن الوزير الحالي بالوزارة الإسرائيلية.

ثانياً عصابة «أرجمن حمروت بيـن (محاربو الحرية إسرـائيل)» وهي العصابة التي تحوت بعد قيام إسرائيل إلى حزب حمروت أحد الأحزاب الحاكمة الآن في إسرائيل.

كان الهدف الرئيس من تدبير هذه المذبحة الرهيبة، إثارة الذعر بين السكان العرب

إن سلطة الكنائس المسيحية على الضمير والسلوك في أوروبا وأمريكا إسمية للأسف ..

وقد تمكّن بنو إسرائيل بوسائلهم الجلية والخفية من نشر الفتن الجنسية والعنصرية والفلسفات المادية والإلحادية في جنوب القارتين الكبيرتين ..

فهل هذه رسالة السماء التي حملها أنبياء بنى إسرائيل قديماً ويريد ذرائهم بها أن يكونوا شعب الله المختار؟

في محاضرة للدكتور أحمد خليفة وزير الأوقاف الأسبق سمعت منه أن اليهود يسيطرون على الولايات المتحدة سيطرة كاملة، وعلى أوروبا الغربية سيطرة شبه كاملة، وأن أنميادين التي أحكموا قضتهم عليها هي : المصارف المالية، والجامعات الكبرى، ووسائل الإعلام ..

ومن يضع قبضته على هذه الثلاث ضمن أن يصوغ الفكر كماشاء، وأن ينشر ما يرضيه ويحجب ما يرفضه، وأن يسطر يديه حيث تجده التفقة، ويمسك متى أراد ..

قال : ومن يتبع تاريخ الفكر البشري ويعرف دور اليهود فيه يتبيّن أنهم يصطنعون الفلسفات التي تحطم كل المعتقدات، وتحطم احترام الإنسان لنفسه، وتحرمه من الإيمان وسکينة النفس ..

قال : واليهودية العالمية تعلم أن الشباب هو مستقبل الأمم وعتادها وذرارها ..

إذن لا بد أن يفسد الشباب، وتختل أماته الموازين، وتصضرب القيم ..

ومن هنا سيطروا على أسواق الخمر والقمار والمخدرات - كما أن باعهم خراب في عالم الخلاعة والنهضة - والذى يزور السجون والإصلاحيات في الولايات المتحدة يجد نزلاءها الملتوين المسيحيين ، ولا يجد بها يهوديا .. !

إنهم يقودون حملة التحرّب والإفساد مع الاحتفاظ بثيابهم وتماسكهم ..

قال المحاضر : إنك في أمريكا تقرأ ما يريد اليهود لك أن تقرأ، وتفتح الراديو لتسمع ما يريد اليهود أن يذاع، وتفتح التلفزيون لترى ما يريد اليهود أن ترى، ويدعو الآباء إلى الجامعات لطبعاً عقولهم بما يريد اليهود أن يتعمدوه، وفي كل أسبوع تقضي المربيات من خزانة اليهود، هذا هو الأخطبوط الذي يسيطر على الغرب، هذه هي الطفيليّات التي تمتّص دماء العالم ..

نقول : وهذه هي وضفة شعب الله المختار التي يبلغ بها رسالة السماء إلى

الأرض، ويعلم البشر الصلاة والزكاة والتقوى والأدب، ويذكرهم يوم الحساب وما
وراءه من خلود طويل !!

إن اليهودي ذكي كالشيطان، وله أن يزعم ما يشاء إلا أنه صاحب دين يهدى إلى البر
والرشد، ويستحق من أجله ميراث الأقطار والأجناس.

ومن هنا فإن مصير اليهودية العالمية إلى بوار ! لكن متى ؟

عندما يثوب المسلمون إلى رشدتهم ويعودون إلى رسالتهم ويتركون الترهات التي
لعيت بزمامهم وأضلت سعيهم ..
وذلك يحتاج منا إلى همسات وصرخات ..

والمؤسف أن وسائل الإعلام في الأمة العربية حريصة أشد الحرص على أن تفرق
بين اليهودية والصهيونية، وعلى أن تجعل القاريء أو المستمع العربي يقصى الدين
إقصاء عن الصراع الدائر اليوم على اغتصاب فلسطين وما حولها

وقد رأيت - من النصوص التي سمعناها - ضلال هذا المسلك، وبعده عن التاريخ
والواقع، وتحذيله لوسائل الدفاع التي ينبغي توفيرها في وجه هجوم ديني حاقد !!
إن الصهيونية ليست وليدة بحث اليهود عن وطن لهم بعد ما أحسوا وحشة الغربية
في أرض الله الواسعة.

كلا، فقد وسعتهم بلدان شتى، وعاشوا فيها جزءاً من أبنائها الأصالة، ووصلوا
إلى درجة فاحشة من الثراء، ومناصب كبيرة في الحكم ..

ولكتهم رجعوا نداء دينهم على علاقاتهم بأوطانهم، وأثروا التجارب مع توراتهم
وتلمودهم على الذوبان في الوطنية الأمريكية أو الألمانية أو الروسية أو المصرية أو
العراقية.

سيرتهم في مختلف القارات واحدة، وزرّو عهدهم إلى خدمة عنصرهم، وحسب
دينهن في كل مكان وزمان ..

لقد عاش اليهود ملوكاً بينما نحن المصريين في أواسط هذا القرن، فلم ترکوا مصر
إلى إسرائيل ؟

فراراً من اضطهاده ؟ إنه نداء الدين وحده.

وهم الآن يحيون ملوك في أمريكا وفي أوروبا الغربية ولكنهم عرضوا مصالح
الأوطان التي وسعتهم للبوار.

في سبيل ماذا؟ في سبيل إسرائيل، في سبيل دولة دينية تجمعهم، في سبيل الملك الذي تهفو اليه ضمائرهم، ويتوتون أياته في صحف العهد القديم على أنه وعد الله الذي لا يختلف لهم ولذرارتهم من بعدهم . !!

إن الصهيونية نزعة سياسية تولدت عن الاضطهاد النازى في ألمانيا . .

فإن اليهود قتل هذا الاضطهاد بسبعين أو قرون - كما رأيت - كانوا يحملون بامتلاك فلسطين وطرد أهلها منها أو إبادتهم فيها . .

ونحن لا نقر في العالم أجمع أي تفرقة جنسية، ولكن مسلك اليهود في ألمانيا كان هو السبب الأول في إهاجة الألماان عليهم وإيقاع المذابح الشائنة بهم .
لقد ظهر أن ولاء اليهود لأوطانهم الرسمية مزيف، وأن ولاءهم الأول هو لجنسيهم وتاريخهم وأماناتهم العرام في حقوق الآخرين .

وربما تعرض اليهود في أمريكا بعد سبعين معدودة لمثل ما تعرض له أسلافهم في ألمانيا النازية، عندما يصحو الأمريكيون فيجدون أن مصالحهم في العالمين العرب والإسلام قد نلاشت لأن يهود أمريكا قد نأوا هذه المصالح في سبيل قضائهم الخاصة

والهم ونحن نواجه معركة الحاضر والمستقبل أن نحذر من البيغواوات التي تردد بغيء كلمات لا تفهمها، وتريد بجهلها الغالب إبعاد اليهودية والإسلام عن المعركة مع أن المعركة لا تعنى إلا القضاء على الإسلام لحساب القوى المعادية له !!! .

* لا يبعدوا اليهودية والإسلام عن المعركة .

* التنادي بالإسلام هو صيحة النجاة .

إتنا لقينا العنت من أولئك الشامخين بجهلهم، سواء أكنا في الصحف أو الإذاعات، أو المسارح . .

وظهر أنهم ثمر الاستعمار الثقافي لبلادنا، ذلك الاستعمار النائم على الإسلام وحده، الحريص على تربية أجيال تكره شرائعه وفضائله، وترفض مناسكه وشعائره وتتنسى ماضيه وحاضره .

تلك هي الأجيال التي وقفت في ميدان السياسة تصف الغزو اليهودي لفلسطين، بتنه حرفة عنصرية، أو عدوان محلي، أو تعاون بين الإمبريالية والصهيونية، أو تامر رأسمالي على حركات التحرر الحديث، أو غير ذلك من الترهات التي أتقنها الجيل المستكبر الفاشي هنا وهناك .

ولو أن واحداً من هؤلاء ذهب إلى أقرب مكتبة، ودفع قروشاً قليلة أو كثيرة واشترى العهد القديم وحده، أو الكتاب المقدس كله، ثم كلف خاطره القراءة فيه لوجد التخطيط الديني لإسرائيل الكبرى وأوضحاً في صحفائه، ولوجد الكفن الذي يلف رفات العرب منسوجاً من كلماته، ولوجد حرب الإبادة التي تعرض لها قومه ناضحة بين سطوره.

إن مؤامرة الاستعمار في القرون الأخيرة خلعت العرب من دينهم في الوقت الذي يتحمس فيه كل ذي دين لدينه !!

إن صحف العهد القديم لم تكتف بخداع بني إسرائيل كى يحيطوا من كل مكان إلى فلسطين، بل صورت لهم البقاء الذى يتزلون بها، والحدود التى تفصل كل سبط عن أخيه !! وزوّزت عليهم دمشق وحمامة وبيروت وعشرات من البلاد الواقعة قرب البحر المتوسط ..

اقرأ هذه السطور من سفر حزقيال : «لذلك هكذا قال السيد رب : الآن أرد سبي يعترب وأرحم كل بيت إسرائيل ، وأغار على اسمى القدس . فيحملون خزيهم وكل خيانتهم التي خانوني إياها عند سكنتهم في أرضهم مطمئنين ولا مخيف .

منذ إرجاعي إباهم من الشعوب ، وجمعى إباهم من أراضي أعدائهم ، وتقديمى فيهم أمام عيون أمم كثرين ، يعلمون أنى أنا الرب الهيم يا جلاني إباهم إلى الأمم ثم جمعهم إلى أرضهم . ولا أترك بعد هناك أحداً منهم ! ولا أحجب وجهي عنهم بعد ، لأنى سكبت روحى ^(١) على بيت إسرائيل ! يقول السيد رب .. » !! (الإصلاح التاسع والثلاثون : ٢٥ - ٢٩)

« فى السنة الخامسة والعشرين من سببوا : فى رأس السنة ، فى العاشر من الشهر ، فى السنة الرابعة عشرة بعد ما ضررت المدينة .

فى نفس ذلك اليوم كانت على يد الرب وأتى بي إلى هناك .

فى رؤى اللهأتى بي إلى أرض إسرائيل ووضعنى على جبل عال جداً عليه كبناء مدينة من جهة الجنوب .

(١) عاش حزقيال « مؤان هذه الإصلاحات أيام المحنة الأولى لبني إسرائيل ، بعد أن فسدوا فسلط الله عليهم « حتصر وسوده فحاصروا بلاد ودمروا الهيكل وساقوا أيامهم عشرات الآلاف من اليهود أسرى ، وقد خرى لرجل قوته بهذه الكلمات . ولما رأوه أنهم محتضنون من الأسر البليلى وعذرون إلى ملادهم ، وندعواهم فعلاً ، لكنهم سرعان ما زاغوا وطروا من فلسطين ، وفيديما عادوا ثالثة يحمنون أيامهم الأولى ، ومشاعرهم القديمة ، وسوف يتم طردتهم إن شاء الله ولو بعد حين

ولما أتى بي إلى هنا إذا برجل منظره كمنظر النحاس وبيده خيط كتان وقصبة القياس وهو واقف بباب.

قال لي الرجل : يا بن آدم : انظر بعينيك واسمع بأذنيك واجعل قلبك إلى كل ما أريكم لأنه لأجل إراءتك أتي بك إلى هنا .
أخبر بيت إسرائيل بكل ماترى .

وإذا بسور خارج البيت محيط به وبيد الرجل قصبة القياس ستة أذرع طولا بالذراع وشبر ..

فقام عرض البناء قصبة واحدة وسمكه قصبة واحدة . ثم جاء إلى الباب الذي وجهه نحو الشرق وصعد في درجه وقام عتبة الباب قصبة واحدة عرضا والعتبة ...
بلغ إلخ إلخ : (الاصحاح الأربعون والحادي والأربعون والثانى والأربعون حيث ينتهي وصف قياس بيت الهياكل) .

ثم ذهب بي إلى الباب . الباب المتجه إلى الشرق . وإذا بمجد آلة إسرائيل جاء في طريق الشرق وصوته كصوت مياه كثيرة ، والأرض أضاءت من مجده .

« وقال لي يام آدم هذا مكان كرسى ، ومكان باطن قدمى ، حيث أسكن فى وسط بني إسرائيل إلى الأبد ، ولا ينحر بعد بيت إسرائيل اسمى القدس ، لا هم ولا ملوکهم ». (الاصحاح الثالث والأربعون) .

« وإذا قسمت الأرض ملكا تقدمون تقدمة للرب قدسًا من الأرض طوله خمسة وعشرون الفاً وطاولاً والعرض عشرة الآف ». (الاصحاح الخامس والأربعون) .

« هكذا قال السيد رب : هذا هو التخم الذي به تملكون الأرض بحسب أسباط إسرائيل الاثنى عشر :

يوسف قسمان . وتمتلكونها أحدكم كصاحبه - على الهيئة - التي رفعت يدي لأعطي آباءكم إياها ، وهذه الأرض تقع لكم بصيريا .

وهذا تخم الأرض :

* نحو الشمال من البحر الكبير طريق حثلون إلى المعجمي ، إلى صادد : حماة وبيروت وسياراتهم التي بين تخم دمشق وتخم حماة وحصب الوسطى التي على تخم حوران ، ويكون التخم من البحر حصر عينان تخم دمشق والشمال شمالا . وتخم حماة وهذا جانب الشمال .

* وجانب الشرق بين حوران ودمشق وجلاعad وأرض إسرائيل الأردن من التخم إلى البحر الشرقي تقيسون، وهذا جانب المشرق.

* وجانب الجنوب يمتد من ثamar إلى مياه مريبوث قادش النهر إلى البحر الكبير. وهذا جانب اليمين جنوباً

* وجانب الغرب البحر الكبير من التخم إلى مقابل مدخل حماة، وهذا جانب الغرب، فتقسمون هذه الأرض لكم لأساطير إسرائيل^(١). (الاصحاح السابع والأربعون)،

* * *

هكذا وضع آباء بنى إسرائيل الأقدمون خطة تمزيق العرب، وتقسيم تراثهم على أسباط إسرائيل.

وقد نقلت هذه السطور من العهد القديم وإن كنت لم أفهم أغلب الأسماء^(٢) التي تحدد تخوم الأرض، أو توضح اتجاهات الزحف اليهودي كما أوصى به كاتبو ذلك العهد..

ويظهر أن اليهود لخصوا المراد في الجملة المشهورة «أرض إسرائيل من الفرات إلى النيل».

وهم أدرى بما في كتبهم المقدسة، وأدرى بما يعنيه «حرقىال» متلقي هذه الخريطة عن الوحي الإلهي !! كما يدینون .. !!

وأريد أن أقول باسم الإسلام المستوحش المكتتب كلمة حاسمة.
كلمة سوف تبدو غريبة على الآذان التي طمسها الهوان والإذلال أمداً طويلاً، والتي مرت على سمع الزور والباطل وحده.

إن الدين قد انتقل انتقالة واسعة عن المفهوم البدائى الضيق الذى أفسه الإسرائيلىون، مفهوم الهيكل، ومملكة الرب، والشعب المختار، وحكم العالم باسم رب الجنود عن طريق حكماء صهيون أو بيت إسرائيل .

إن هذه الكلمات المصورة لمعنى الدين أليق بالعهد البدائى الذى كانت قبائل إسرائيل فيه تقعد وتروح بقيادة رعاة محللين يؤدون واجبهم حيناً، أو يقتلون قبل هذا الأداء المفروض .

(١) حيث لو على السؤار حرون العرب يوضع بهرس مقارن شمل لهذه الأعلام القديمة، حتى ينقا صو، على هذه المسميات.

لقد أصعد للدين مفهوم أرحب، ليس فيه هيكل مقدس، ولا شعب مختار، ولا أدب محظوظ !

حقيقة هذا الدين أن الله رب العالمين أجمعين على السواء .
وأن انتقام عنده نيس بالنسبي ولا بالادعاء بل بالخلق الزكي والتقوى المهيمنة .
لا يكفره هناك ولا تهاريل ولا هياكل ..

شیئان فقط هما أساس العلاقة بين الله الأحد، وبين كل إنسان يمشي على قدميه
في القرارات الخمس : الإيمان والعمل الصالح ! .

إن محاولة بنى إسرائيل مسخ مفهوم الدين على النحو الذي جمدوا عليه من عشرات القرون جريمة فاحشة لا يمكن غسلها.

لقد جاء عيسى بن مريم ليكسر القيود الصلبية التي أراد بنو إسرائيل حبس الدين داخلن.

وكان مجده تمثيلاً للرسالة الخاتمة التي مزجت الدين بكل أشواق الإنسانية الرفيعة من الإيمان المهدى والأخوة العامة، حيث لا مكان للتسمى إلا بالقلب السليم والفكر السليم.

نعم بعث الله محمداً مسوباً بين أحتناس البشر في الولاء لله لحى القوم ممسقطاً كل سلطان مفتعل في ميدان الروح أو في ميدان المال ..

فيما أراد بنو إسرائيل أن يتحققوا باتفاقية الإنسانية انحصار المتأخية فلا بد أن يؤمّنوا
بعيسى ومحمد !!

وإذا كانوا حراً اصا على استعادة مجدهم القديم فطريق الخلاص مفتوحة أمامهم ولنكي يعرفوها جيداً قال الله لهم ﴿يَا بني إِسْرَائِيلُ اذْكُرُوا نَعْمَلِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّاهُ فَارْهِبُوهُنَّ﴾ وَأَمَّا مَا أَنْزَلْتَ مِنْ دِيْنِكَ لِمَا مَعَكُمْ﴾^(١)

إن بني إسرائيل يحلمون أن يحكموا العالم من هيكلهم وهم مصرون على تصديق ما لديهم وحده، وتذكيّب كل ما جاء به عيسى ومحمد..

وَمَا لَدِيهِم مِّنْ وَحْيٍ مِّنْ وَحْيِ اللَّهِ وَهُوَ أَنفُسُهُمْ

ولو افترضنا جدلاً أنه حق لا ريب فيه ، فإن الوقوف عنده وحده ونبذ ما أوحى الله
بعده ، مسلك لا تصلح به الدنيا ولا يسعد به عباد الله ..

ومن هنا اشترط الإسلام أن يكون الإيمان بكتب الله كلها ، ورفض ما سوى ذلك
من إيمان مبتور فقال جل شأنه : « يأهله الكتاب لستم على شيء حتى تقسيموا التوراة
والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم »^(١) .

وعلى لسان موسى - كبير أنبياء بنى إسرائيل - ذكر ربنا جل جلاله أن أبواب رحمته
مفتوحة لعباده ، وأن الصالحة الأنقياء يستطيعون دخولها متى شاءوا فعندما دعا
موسى « اكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك »^(٢) كان الجواب
الإلهي له « عذابي أصيّب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسامكتها للذين
يتقوون ويؤتون الزكاة والذين هم بأياتنا يؤمنون # الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي
بحدونه مكتوباً عندهم في الشورة والإنجيل بأمرهم بالمعروف وبنهام عن المنكر
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخباث ويُفضّل عنهم إصرهم والأغلال
التي كانت عليهم »^(٣) .

إن قيادة العالم باسم الله ليست سهلة يستطيعها اليهود بمهارتهم المالية والأعیان
الشيطانية ، وتسخيرهم للشعوب المفرطة ، وانهازهم للفرض المتاحة ..
وقد نبأ القرآن الكريم أن التاريخ اليهودي سيتفاوت بين مد وجزر ومعصية وطاعة ،
وهزيمة ونصر .

وقال لهم بعد هدم هيكلهم الأثير « إن أحستتم لأنفسكم وإن أنستم
فلها »^(٤) . وقال لهم أيضاً « وإن عدتم عدنا »^(٥) .

أي إن عدتم للفساد عدنا لللتقاء !!

وفد عاد اليهود إلى فلسطين - لأسباب شتى - فكيف عادوا؟ وما هي مثلهم
العليا ، وما مواقفهم من وصايا الله للنبي الخاتم والنبي الذي سبقه وبشر به؟
لقد عادوا متشبثين بما لديهم وحده ، مكذبين لكل ما جد بعد .. وكسبوا نصراً بعد
نصر على من؟

على أوزاع من العرب جهلو رسالتهم ، ونسوا تاريخهم ، وعاشوا في دنيا الناس
اذناباً ، وعن كتاب الله وهدى نبيه غرباء .. !!

(٤) الإسراء ٧

(١) - المائدة ٦٨

(٥) الإسراء ٨

(٢) الأعراف ١٥٦

(٣) الأعراف ١٥٧ ، ١٥٦

إن مجموعة الشعوب الإسلامية تشعر بجزع مر لا للحروب التي جرت بين العرب واليهود، ولكن للطريقة التي جرت بها هذه الحروب، ولمظاهر الانحلال والفسق عن أمر الله التي ملأت جوها ..

كان العرب أزهد الناس في كتابهم، وكان اليهود أقصى الناس بتوراتهم ..

كان اللص متھما في الهجوم وكان رب البيت باردا في الدفاع ..

وبلغ من نجاح الغزو الثقافي لبلادنا أن الحرب تعلن لفرض دين، واجتياح أمة.

ومع ذلك تبارى وسائل الإعلام في تضليل الفكر العربي وتصف هذه الحرب بأى شئ إلا أنها تتصل بالدين ..

ولم ذلك؟ حتى لا يستيقظ الوعي الإسلامي العارم وتجابو الأصداء بضرورة العودة العامة الجادة إلى الإسلام لوقف هذا الفناء القادم !!

لكن أمالنا أن غرائز الأمم تصحو لملاقاة الخطر الداهم، وأن التنادى بالإسلام سوف يكون اليوم صيحة النجا ..

وسوف يكون غدا صيحة النصر ..

﴿ وَقُلْ الْحَمْدُ لِلّٰهِ سَيِّدِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبِّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(١).

* * *

من أين تحيط ريح التغيير؟

عندما هزم الله المشركين في موقعة بدر، وأذل كبراءهم تنزلت آيات كريمة تكشف أسرار الانكسار الذي أصاب القوم، وتصف اللطمات التي تناولت الهالكين من كل جهة فقال جل شأنه ﴿ ولو ترى إذ يسوفي الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب العريق ﴾^(١) . ولكن لم هذه النهاية الفاجعة؟ والخزي المحيط؟ يقول الله ﴿ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾^(٢) .

إن هذا الخاتم الكالح جزء عادل لأناس كرموا ما أنزل الله، وتبعوا هوى الأنفس، ولملتهم غرور القوة، واستحلوا حرمات الضعاف، ولم يفهمون عند حقوق الحق أدب ولا خلق !

والمنهزمون في بدر ليسوا بداعي الأمم الأخرى، فقد بين القرآن الكريم أن ذلك دأب الله في جماهير الكفار والظلمة على اختلاف الزمان والمكان.

وسنة الله في العصاة لا تختلف، فإن شرّم معاصيهم لاحق بهم وإن طال المدى **﴿ كذلك آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بأيات الله فأخذتهم الله بنذوبهم إن الله شديد العقاب﴾** ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيرة ما بأنفسهم^(٣) .

وعند هذا التعليل الأخير نقف وقفه تدبر واعتبار !
فإن الله لا يبدل أمن الأمم قلقاً، ولا رخاءاً شدة، ولا عافيتها سقاماً لأنه راغب في أن يذيق الناس المتاعب ويرميهم بالآلام.

كلا، إنه بر عباده، يغدق عليهم فضله وستره ويصبحهم ويمسيهم برزقه ومغفرته ،

(١) - الأنفال : ٥٢ ، ٥٣

. (٢) - الأنفال : ٥١

٦٢

ولكن الناس يحسنون الأخذ ولا يحسنون الشكر ويمرحون من النعم ولا يقدرون ولها
تبارك اسمه !

وعندما يبلغ هذا الجحود مداه ، وعندما ينعقد الإصرار عليه فلا ينحل بندم ولا
توبية ، عندئذ تدق قوارع الغضب أبواب الأمم ! وتسود الوجوه بهزائم الدنيا قبل نكال
الآخرة ..

إن الله لا يتغير ولكن الناس هم الذين يتغفرون ، وذلك معنى الآية : « إن الله لا
يغير ما بقوم حتى يغيرة ما بأنفسهم ... »^(١).

ولما كان الخطاب الإلهي في الآيات التي ذكرنا يعني أهل مكة المهزمين ، فلنعد
بالذاكرة مع ماضي القوم ، وما ضم في أطوانه من رفاهة ونعماء ..

لقد امتن الله على قريش بأمررين جليلين هما الغاية القصوى للحياة على ظهر
الأرض :

الشبع وهو ملاك الحرفيات الاقتصادية .
والآمن وهو ملاك الحرفيات السياسية .

ومن ثم قال لهم : « فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من
خوف »^(٢).

وما أحلى أن يجد المجتمع ضروراته ومرفاهاته مبذولة لا تنقصها أزمة ، ولا يعكرها
ضيق !

وما أحلى أن يجد المجتمع كرامته مصونة لا يهدراها باع ، ولا يستبيحها حاكم
ظلوم ! ..

الشبع والأمان هما العدل الاجتماعي والعدل السياسي اللذان تهفو إليهما الأمم ،
وتسعد في ظلهما الشعوب ، فإذا ظفر بذلك بلد ، فمن حق الله عليه أن يؤمن به ،
ويسارع إلى طاعته ، ويحل حلاله ، ويحرم حرامه ..

غير أن الأمم للأسف كثيراً ما تنسى هذا الخير كله ، وتتمرد على بارتها الأعلى ،
وقد حرم الله قريشاً ما تيسّر لها من متع ، ثم قال يصف ما حل بها : « وضرّب الله
مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأنيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنّم الله فاذاقتها
الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »^(٣).

(١) - الرعد ١١ .

(٢) - قريش : ٤١٣ .

الجوع والخوف بدل الشبع والأمان اللذين طالما استراحت في ظلهما .
تلك عقبي لا محيسن عنها لكل جحود !

وننظر إلى زعماء مكة وهم يقادون أسرى في طرقات المدينة بعد الهزيمة التي
كسرت غرورهم ، وأدبت شراستهم ، وهنا نجد القرآن الكريم ينصح المنكسرین
فيديهم على طريق الكرامة الصائعة والطهارة المفقودة : « يا أيها النبي قل لمن في
أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويففر
لكم .. » (١) .

وهذا - مرة أخرى - هو طريق النجاة ، أذ تتطوى القلوب على الخير ، وتحسن
علاقتها بالناس ورب الناس .

إن هؤلاء الأسرى ، المنكسرین خرجوا من ديارهم - كما وصف القرآن : « بطراء
ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله » (٢) .

وليس أحق بالقمع وإذلال الأنف ، من أناس تستخفى أنفسهم وراء أسوار من
الصلف والغطرسة ، ويريدون بأعمالهم العلو في الأرض والظهور بين الناس .
والأنكى من هذا الشر أنهم يمقتون الروحى وحملته ، وبطاردون الإسلام ورسالته ،
واتخذوا هذا القرآن مهجوراً ، وجعلوا سبيل الله موحشة لطول ما ترافق على
سالكيها من أنواع وأعباء .

وها هم أولاء مطروحون في أغلالهم لا عاصم ولا مجبر ، وقد تلقوا درساً موجعاً
يردhem إلى الله لو عقلوا ، ترى هل يستفيدون منه ؟

إن التوبة معروضة عليهم ، واسترجاع ما يحبون ميسّر لهم .

بيد أن الله لا يخدع ، فالعودة إليه استفادة قلب لا شفقة لسان ، وإذا حاول الطبع
البشرى أن يغدر فإن الله بالمرصاد ، ولذلك يقول الله تباري : « وإن يريدوا خيانتك
فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم » (٣) .

إن استئنار الفكر ، وصفاء النفس ، والسامي بالطبع ، وتهذيب الباطن قد تحسّب
كلمات رائحة في ميدان التربية وحسب ، وهذا خطأ ، إنها كلمات اجتماعية وسياسية
إلى جانب معناها الشائع .

(١) - الأنفال : ٧٠ .

(٢) - الأنفال : ٤٧ .

والواقع أن استقامة المجتمع كله، ونجاح الأمة في سياستها العامة، وبلغوها مكانة عالية مرموقة يجيء قبل أى شيء آخر من الفرد المكتمل، من النفس النظيفة، من الغرائز المهدبة من القلب العاقل بالخير والرحمة، المؤثر للصدق والعدالة.. ولدى أمتنا العربية كنوز مشحونة بهذه المعانى، تسع أهل الأرض جميعاً لو وزعت عليهم، ولكن العرب ذاهلون عنها مفرطون فيها ..

وقد انظر إلى الرجال والنساء، إلى الأساتذة والتلامذة، إلى الرؤساء والممرءوسين، إلى العلماء والعمال، فأجد أنا خناناً ثالثاً العريق، وتعلقتنا بقشور باطلة، وأن أكثرن مصروف عن دينه الضخم العظيم إلى دنيا تزللت فيها قدمه، وسيق فيها خصمه..

فلا غرو إذا فتح المسلمون أيديهم على حاضر كريه ومستقبل مغلق..

وفي سلسلة المفاسد النفسية المحيطة بكل شيء عندنا سوف يلمع العدو والصديق مفسدة لا نظير لها بين أهل الأرض من كل جنس، هي عمق الفجوة بين الحاكم والمتحكم في شعوب عربية كثيرة..

فإن أغلب الحكام^(١) العرب بغضون لدى الجماهير، ليس لهم رصيد من حب ولا لواه، ولا تقدير !!

وفي الوقت الذي يحمل فيه الفلاحون «الفيتناميون» أسلحتهم وهم في حقولهم ليقاوموا بها الأمريكيين الغزاة، وفي الوقت الذي يتعاونون فيه الحاكم والمتحكم هناك تعاون الوالد والأبناء على حماية البيت ومقاومة اللص.. في هذا الوقت تجد الحكام العرب يخشون من وضع السلاح بين أيدي الجماهير العربية !!

لماذا؟ لأنهم يخشون على أنفسهم منه؟

ونذلك فإن الشعوب العربية لم تتع لها إلى الآن فرصة قتال حقيقي لليهود..

ولا أرتاب في أن أعداءنا عندما ينظرون إلى طبيعة السياسة العربية، ومسلك الرؤساء العرب - في بعض الأقطار - سيشعرون بالرضا والأمل.

وقد يوقنون بيقائهم فوق أرضنا، بل فوق صدورنا إلى آخر الدهر..

إن بني إسرائيل يرمقون الحدود الإسلامية من أربعة عشر قرناً ما تحدثهم نفوسهم

(١) في رأينا أن ذلك أول أسباب ضعف الجبهة الشرقية في معركتها ضد اليهود.

أبدا باقتحامها ، حتى جاء هذا القرن الأشأم فطمع فيما من لا يدفع عن نفسه ، وشرع اليهود من خمسين سنة يوطدون أقدامهم في فلسطين ليثوا إلى ما وراءها ، والظروف تواتيهم ، والأيام تنتقل بهم من نصر إلى نصر ..

والسبب ؟

نقوستنا نحن العرب والمسلمين ، إنهم لم ينتصروا بقوتهم الخاصة قدر ما انتصروا بفراغ قلوبنا من الإيمان ، وافتقار صفوتنا إلى الوحدة ..
لقد تسللوا إلى بلادنا عن طريق شهواتنا الباقية ، وإخلاقنا إلى الأرض وحبنا للدنيا ، وسعارنا إلى اللذات والرياه .. !!

إن فنون المتع التي استوردها من الغرب خلال الخمسين سنة الأخيرة تكفي لتدمر أمة ناهضة ، فكيف بأمة عليلة !!

وإنه ليخيل إلى أن اليهود لو كشفوا عن خباياهم لمنحو بعض الرؤساء العرب جواز سخية ، لأنهم هم الذين مهدوا طريق الغزو ، وأطفئوا نار المقاومة ، ودمروا روح الإيمان ، ومزقوا أواصر الوحدة ، وخلقوا أجيالا متكررة لدينها ولغتها وتقاليدها ومنتها ، في الوقت الذي يبني فيه اليهود كيانهم على الدين واللغة والتقاليد والمثل العبرانية ..

هل أمام العرب منفذ للنجاة ؟

نعم ، بل منافذ رحبة .

يوم يعالجون عليهم من أصولها ، ويوم ينسجون أنفسهم وأحوالهم الداخلية على المنوال الذي نسج عليه الأصلاف العظام ..

يوم فقط تهب رياح التغيير ولكن كيف يصنعون ؟

ذلك ما نجيب عليه في الأحاديث التالية إن شاء الله ..

* * *

هل عن الإسلام غنى؟

حاجة الأمم إلى العقائد لتحرك وتسير كحاجة الطائرات إلى الوقود تتحقق وتنطلق، أو حاجة الآلات إلى شئى القوى لتدور وتنتج ..

وقد ظل العرب دهرا طويلا والإسلام هو العقيدة الدافعة، والشريعة الضابطة، والشاعر الهادى، والديدبان الحارس ..

وفضل الإسلام على العرب كفضل الماء والهواء والضياء على الزروع والشمار ..

لست أقول جمعهم من شتات، أو نظمهم من فوضى !!

وإنما خلقهم من عدم، وجعلهم أصحاب دولة ورسالة وحضارة وما كانوا قبل ذلك شيئاً مذكورة ..

وقد مررت على العرب أيام نحس وسعد، وشدة ورخاء، وما في ذلك عجب فإن الخط البياني لسير الأمم في التاريخ لا يلزم مستوى واحدا ..

وال المسلمين على الإجمال كانوا إذا اعتنى أمرهم لم يتبعوا عن أسباب الشفاء ..

سرعان ما يعودون إلى دينهم يعتصمون بحبه ويستمسكون بهديه، فتزاح عنهم العلل، وتسرى في أوصالهم العافية ..

إلا أن العصر الحديث وقد على العرب والمسلمين بحدث مستغرب ببلل فكرهم، وأنزع خطوهם، فبدل أن يلتزموا دوائهم كما اعتادوا من كتاب ربهم وسنة نبيهم، جاء من يقول لهم : لا ..

هناك عقيدة أخرى نريد أن تحل محل الإيمان المأثور المتوارث ؟

هناك مبدأ آخر يجب أن تسير تحت لوائه الجماهير ، وأن ترتبط به الحركات والسكنات، وأن تتحمل في سبيله المغامرة والتضحيات .. وأن يتناسى ما عداه أو يذكر على تخرج وإخفاقات ..

ذلك هو مبدأ «القومية» بمعناها الإقليمي الضيق أو بمعناها العروبي الواسع ! ..
والدليل الجديد لم يجرؤ أول أمره على القول بأنه خصم للإيمان أو عوض مطلق
عنه ! فإن هذا التصرير يفسد عليه خطته .

ومن هنا اكتفى بأن يتزعز لنفسه حق الحياة والتوجيه بدعوى أنه ممثل جيد للدين ،
أو صديق له ، أو نائب عنه ، أو ما شئت من تعلات وعناوين ! ..

حتى إذا استغلل عوده ، وأخذت الشفاعة الأوروبية على ترسیخ مفهومه ، وتوسيع
دائرته ، أخذ يكشف عن دخيلة نفسه ، ويقول للإسلام : لا شأن لك بالحياة ، عش
معزولاً عن الواقع أو اذهب إلى القبور !

ولم يكن من هذا الافتراق بد في نهاية المرحلة . .

إن القوميات الضيقة أو الواسعة عندما طرقت أبواب البلاد العربية عقدت مصالحة
ماكرة بينها وبين الإسلام ، فاعترفت بأن الإسلام دين الدولة ، وأن اللغة العربية لسانها
الرسمى . .

وهي مصالحة مدخونة شعر المؤمنون معها بأن ولاهم له ورسوله قد زحزح عن
مكاناته ، فيعد أن كان قاتلهم يقول :

أبو الإسلام لا أب لي سواه إذا افترخوا بقيس أو تميم

جاءت القوميات الجديدة تقطعه عن إخوانه في العقيدة ، وتزهد في ما لروايتها من
إيحاء .

بل إن متطلبات هذا الدليل الدخيل لم تثبت أن طغت على أوامر الإسلام ونواهيه ،
فأضحي الالتزام بها طوعاً لا تكليفاً ! ..

ونشب في ضمائر المسلمين عراك صامت أو صارخ في مقابلة هذا الوضع الطارئ
على تاريخهم وأحوالهم ، وكان هذا العراك يهدأ أو يهيج حسب الظروف المحلية
والعالمية التي تفرض لحاضرهم ومستقبلهم .

إلى أن أعلنت القومية العربية على لسان زعمائها في بعض الأقطار الإسلامية
رفضها للإسلام ، أساساً للتوحيد والتشريع ، ودعاة للتربية والتنمية ، وصيغة للحياتين
الخاصة وال العامة وسط الكثرة العظمى المؤمنة به وإنما التهديد الرهيب لمستقبله
ومستقبلهم .

فكان هذا الإعلان إنذاراً الجماهير المسلمين أن لا محيسن من عودة صريحة شاملة

لدينهم . عودة لا ينقى معها هذا الاشتظار في الولاء، أو هذا الاذدواج في التوجيه، أو هذا الإعضاء عن حدود الله وحقوقه لملاسات أصبح الاكتراث بها لا موضع له ..

إن القيد القومي للMuslimين في مختلف بلدانهم بدد قواه في الهدم أكثر مما بدها في البناء .. ولکي تدرك هذه الحقيقة تصور أن زعيمها سياسي إنجلترا أراد أن يجعلها بلداً زراعياً لا صناعياً، أو أراد أن يجعل مهاراتها العسكرية صحراوية لا بحرية.

ماذا اعساه يفعل هذا الرعيم؟ إنه سيشن حرباً على البيئة السائنة، والمهارات الموروثة، والمصالح القائمة، والتقاليد المرعية، محاولاً دفعها كلها إلى الطريق الذي يريد ..

وهذه جميعاً لن تستسلم له، وسوف تستعصى على مراده ..

قد تقول : ربما يكون عقريباً فيكرها على التحول الذي يبغى ..

ونقول . ذلك لو أمكن عقلاً وعدلاً أن تستجيب له طبيعة البيئة، لكن بلا دلالة ليست خصبة التربة كيف يوجد فيها الزرع، وبلا دلالة يحيط بها الأمواج كيف تجيد حرب الصحراء؟؟ ..

كذلك القول في جميع النهضات التي تزيد التفكير للإسلام بين أهله، وسدنته الأقربين، وحملته الأولى ، أعني العرب

إن هذه النهضات بذلك جهوداً غير مشكورة في تحاصل الإسلام، وتجهيل الأجيال الجديدة فيه . وصرف الأفندية والأفكار بعيداً عنه .. والأمم المغلوبة على أمرها تحس هذه المحاولات وتتجاهد للتغلب عليها وإبطال آثارها

فكان من نتائج هذا الانفصال المعنوي بين الشعوب وحكامها أن ضاعت جهود عظيمة في الأخذ والرد، والجدب والشد ..

ووجه المسلمون في بلادهم على حين تقدمت ثورات أخرى برمت من هذا التفاوت والتناقض .

وقد ضحكت ضحكة مريماً وأنا أقرأ في بعض الصحف أن هناك فكرة لإرسال صور الفنانين والفنانات إلى المقاتلين في الجبهة !!

هذا هو أسلوب التحرير على الاستبسال والاستشهاد كما يفهمه رجال من حملة الأفلام .. !!

أترى أحرى من هذا التفكير في مواجهة اليهود؟

ولكن بعد عن الدين يلد العجائب ..
إننا قد بلغنا الآن المرحلة التي ترددنا إلى ديننا على عجل .. ولا شرح هنا أمرٍ مهمنٍ .

أولهما : إن العرب لا يلم شملهم إلا دين ، ولا يسحق خصوماتهم إلا دين ، ولا يوجد كلمتهم إلا دين ..

ذلك كانوا قديماً وكذلك نجد لهم في هذا العصر .

إن النفسية العربية لا يدخلها مفتاح قط ، ويتمكن من الدوران في أعماقها ، والتحرر لأقصى مشاعرها وأفكارها ، إلا أن يكون هذا المفتاح ديناً .. !!

إن العرب في جاهليتهم نقاتلوا أربعين سنة من أجل ناقة قتلها الطيش ، وهم في عصرنا هذا ما زالوا يحملون خصائص أسلامهم في الجاهلية ما يفهم عنها إلا أن يؤمنوا بالله ويتذكروا الإسلام ..

وقد قسمتهم الدنيا في الجاهلية ألف حزب بينها من الشارات نار لا تنطفئ ، أبداً ، حتى جاء محمد بدينه العظيم فصنع المعجزة « وألف بين قلوبهم لو أنفقوا ما في الأرض جميعاً ما لفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إله عزيز حكيم » (١) .

إن الخلافات بين العرب الآن حقيقة ما يستطيع إخفاؤها ، ومع أن حمامهم قد استبيح والأزمات المادية والأدبية قد سودت وجوههم ، إلا أنهم ما زالوا مفترقى القلوب معزقى الصوف ..

ولن يزالوا كذلك حتى يغسل الإيمان قلوبهم ، ويجمع صفوفهم ، ويعيد بناءهم ، ويرصهم في ميدان القتال مجاهدين أشرافاً - لا شباباً مائعاً يتفرس في ملامح الفنانات والفنانين !!

والأمر الآخر ، أن العرب الآن يواجهون تجمعاً دينياً تحت علم اليهودية ، وهذا التجمع الحقيقي آخر بين اليهود النازحين من اليمن واليهود القادمين من أمريكا ، ومحا الفروق القومية واللغوية ، وجمع بين المتساغدين على أساس التوراة والتلمود واللغة العربية وشحن القلوب بحماس العقيدة ، وذكريات التاريخ ، وقداسة القضية التي يستحب الفناء تحت علمها .. !!

فإذا كان الدين سلاحاً روحياً ومادياً في الجبهة التي يقابلها العرب فكيف يطلب من العرب أن يتجردوا من الدين في مثل هذا اللقاء ؟

(١) - الأنفال : ٦٣ .

وهل يتظر أن يصمد أناس قلوبهم خربة من الدين أمام أناس لهم دينهم الذي يلهب حماسهم ، ويدركى بأسمهم ، ويغريهم بصنع العجائب ..

ذاك عن اليهود، أما العدو الآخر الذى يختبئ وراءهم فما الذى حمله على إيزانا ودفعه إلى عداوتنا ؟

أسباب اقتصادية؟ كلا، إنه يخسر ماديا فى معاونته لبني إسرائيل ومحاربته للعرب، إنها الأحقاد الدينية التاريخية التى تجعل أمريكا وحلفاءها يجورون علينا ويهشون لمصائبنا ويشتمون من هزائمنا.

بل يشاركون فى صنعها، فبسلاطهم نقتل ، وبسياستهم نخذل ..

فهل يتعلق كل ذى دين بدينه ويتصرف بمنطقه - أو هكذا يرى - على حين يطلب من المسلمين وحدهم أن يدعوا دينهم ؟؟

لقد استقدم الإنجليز اليهود إلى فلسطين، وأعطى من لا يملك وطنًا من لا يستحق، فلماذا فعل الإنجليز ذلك، إن قائدتهم العسكري الكبير صرح بدخلية نفسه عندما دخل القدس فرغم أنه بذلك أنهى الحرب الصليبية أنهاها بداعه لحساب قومه الذين ملكوا ماله يملكه «ريتشارد» من قبل ثم تصرفوا في أملاكهم على هذا التحول، مزيدا من التنكيل بالإسلام والمسلمين !!

ثم ورثت «الولايات المتحدة» إنجلترا .. ورعت بنى إسرائيل رعاية أنتفت أسلتهم بالشكرا والمحبة، وهو هي ذى أداد أسلحتهم تنهمر على بنى إسرائيل إعدادا لهجوم آخر يكون أنكى وأقسى !!

فهل هذه السخافات الدينية تواجه من جانب المسلمين بالزهد في الإسلام؟! أم هي - بواطن الدفاع عن النفس - تفرض عليهم أن يهرعوا إلى كف دينهم يحتمون به، ويجمعون إخوانهم في كل مكان ليلاقوا هذا البلاء المبين؟؟

إن القومية العربية فشلت في الدفاع عن بيت المقدس ، وهو الحرم الثالث لنا نحن المسلمين ، فهل تتظر حتى تفشل في الدفاع عن المدينة المنورة نفسها واليهود يدعونها من أملاكهم الأولى وترائهم القديم؟

آن للعرب أن يعودوا ظاهرا وباطنا إلى الله ، وأن يجعلوا الإسلام شارة واضحة لكفاحهم المرتفب .

فليس يعني عنهم شيئا أن يتعلقوا بنزاعات مجلوبة وقوميات هجرها متبدعواها ..

وليس يغنى عنهم شيئاً أن يصحبوا الإسلام على غش ، أو يتقرّبوا إلى الإسلام
بعض المظاهر الجوفاء ..

قد يقال : لكن العودة بالعالم كله إلى العروب الدينية الأولى شيء لا يطاق وربما
كانت عواقبه شؤماً على مستقبل البشرية أجمع .
ونشرح هذا الاعتراض في الحديث التالي . ونبسط الإجابة عليه .

* * *

متى تنتهي هذه الأحقاد؟

نحن المسلمين لا نعرف التعصب الديني ، وإذا عرفناه من بفوسنا خاطراً مساوراً ، أو وسوا ساعيراً ، فما بنينا عليه سياسة ، ولا أقمنا عليه تقليداً ، ولا عرف لنا في الحياة وجهة !

وقد أقام اليهود بين ظهراني العرب والمسلمين أعيشار طويلة ، وأعداداً كثيفة ، وتوزعهم جهات متباينة ، لا جهة واحدة .

فكانت تعاليم الإسلام ترعاهم في غرب إفريقيا على شاطئ الأطلسي ، وفي شرق القارة على جوانب النيل كما كانت ترعاهم جنوب الجزيرة العربية في اليمن ، وشمالها في العراق .

وعلى امتداد التاريخ واتساع الرقة لم يلق اليهود ذرة من المعاملة الشرسة الغليظة التي عرفها إخوانهم في أوروبا .

لقد كان العالم المسيحي يصب عليهم جام غضبه . ويلقحهم بغضنه أينما حلوا .

لم يكن يهود روسيا أحسن حالاً من يهود فرنسا ، وهؤلاء في شرق أوروبا وأولئك في غربها .

ولم يكن يهود إنجلترا أحسن حالاً من يهود إسبانيا ، وهؤلاء في الشمال وأولئك في الجنوب .

ثم ظهر هتلر في ألمانيا أخيراً ففعل بهؤلاء المنكودين ما فعل .
إن التعصب المسيحي داء عياء ، وقد كانت العذاهب الدينية الكنيسة يضيق بعضها بعض ويستبيحه فكيف بها في معاملة الآخرين ؟

ولن تبرح ذاكرة العالم مأسى الحروب الصليبية القديمة ، ومجازرها المروعة ، وقد أصاب المسلمين منها بلاء عظيم .

فلا غرو إذا تعللت الدنيا إلى خلاص من هذا الشر المستطير .

ولا عجب إذا رحبت بطي الصفحة القديمة واستفتحت صفحة أملا بالصفاء ،
وأندى بالسماحة ..

من يكره هذا التحول النبيل ؟ إننا نشوق من أعماق قلوبنا إلى عالم تغمر الحريات
أكناها وتنظر فيه الشعوب بالأمان ..

الا لعنة الله على تجار العروب ، وموقدى نارها . !

كم نود أن يتوطد السلام في عالم تستقر فيه حقوق الإنسان وكرامات الأمم ..

لكن هل مستقبل الإنسانية يأخذ هذا الاتجاه ؟ كلا ..

ونحن المسلمين في هذه الألوان الحاسمة نشعر بأن الآخرين يقيمون كيانهم على
أنفاسنا ، ويبنون سعادتهم على شقوتنا .

وعندما يضع نفر من الناس خطتهم في الشراء على ثروة مسروقة ، أو خطتهم في
البناء على أرض منهوبة فيهيات أن يتمغض هذا البدء عن نهاية صالحة .

إنه كمسلك آخر يوسف عندما رسموا الطريق لراحتهم المنشودة فقالوا « اقتلوا
يوسف أو اطروحه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين »^(١) .

هكذا تعاون الصهيونية والصليبية على إقامة السلام العالمي ، ومنع العروب
الدينية أو المدنية ..

استحقوا العرب والإسلام ، وأقيموا البني إسرائيل دولة كبرى على أطلال هذا
الماضي الكريه . وبعدئذ سيحظى العالم بالاستقرار والرفاهية ..

هذه هي سياسة الآخرين تجاهنا ، وهي سياسة حولت الخطب التاربة لبطرس
الناس إلى كلمات فيها ليونة الأفعى ، وسمها الزعاف ..

فهل يلام المسلمون إذا قاوموا هذا الموت الزاحف العائد بكل ما يملكون من
عقائد وطاقات ..

والآن لنكشف القوى التي تحرك إسرائيل والتي تزين للدول الاستعمارية إمدادها
بالمال والسلاح ..

لقد اجتمع مؤتمر مسكونى للكنائس كلها في روما تحت رعاية البابا الأكبر ..

ماذا كان الهدف من عقد هذا المؤتمر ؟

كان الهدف إيداء العطف على اليهود في المرحلة التي يمررون بها من تاريخهم
المعاصر ..

(١) - يوسف : ٩ .

كان الهدف عقد صلح حقيقي بين المسيحية واليهودية، يستطيع اليهود بعده أن يتوجهوا بنشاطهم كله ضدنا ..

لو كان الهدف من هذا المؤتمر منع اضطهاد اليهود، لانعقد أيام هتلر، أو في أعقاب حركة العنصرية .

أما أن ينعقد بعد انتهاء النازية بعشرين السنين، وبعد انتصار الدول المشائعة لليهود، ثم يقال : إنه مؤتمر لمنع اضطهاد اليهود ! فهذا عبث صغير بالأذهان ! ..

إن اليهود في وضع سمح لهم باضطهاد غيرهم، فكيف يزعم زاعم أن مؤتمر الكنائس العالمية اجتمع لمنع الأذى النازل باليهود؟
إن المؤتمر للأسف أخذ عنواناً خادعاً .

وحقيقته هي دعم العدوان اليهودي ضد العرب، أو الكيد للإسلام وأهله بطريقة جديدة.

وبابا روما والساسة الذين عاونوه تجاهلوا حقوق أهل فلسطين، وأصموا آذانهم عن صراخ اللاجئين، وكل ما عندهم - بعد - هو تدوير القدس، أو بتعبير صريح، طرد المسلمين منها وحسب ! ..

ولننظر إلى عبارات الوثيقة التي أصدرها المؤتمر لنرى العجائب في تدليل اليهود، والتلطيف معهم، والدفاع عنهم ..

أى في معاونتهم على حربنا، وشد أزرهم وهم يهجمون علينا .. .

تدبر هذه العبارة في صدر الوثيقة المذكورة « إن الكنيسة - ذلك المخلوق الجديد في المسيح وشعب العهد الجديد - لا يمكن أن ينسى أنها استمراراً لذلك الشعب الذي تفضل الله عليه برحمته الواسعة في يوم من الأيام بتحقيق عهده القديم موكلًا إليه الوحي المذكور في كتاب العهد القديم » .

وهذا الكلام واضح الدلالـة في أن المؤتمر بعد الكنيسة المسيحية استمراراً للوجود اليهودي الأول.

ما هذا الذريـان كله ولـم ذلك الملـق ؟

ونتابع عبارات الوثيقة التي صدرت دعماً لبني إسرائيل في هذا العصر المشئوم :

« .. ولا تنسى الكنيسة أن المسيح ولد - من ناحية الجسد - في الشعب اليهودي، وأن أم المسيح، مريم العذراء، والحواريين، وهم أساس ودعامة الكنيسة قد ولدوا أيضاً في الشعب اليهودي، وتضع الكنيسة نصب أعينها ما قاله بولس الرسول في شأن

اليهود الذين هم إسرائيليون ولهم التبني والمجدد والمعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد» (الرسالة إلى أهل رومية : ٤/٩).

ولما كان المسيحيون قد تسللوا من اليهود ذلك التراث العظيم فإن هذا المجمع المسكوني يهدف إلى التشجيع والتوصية بمراعاة التعارف والاحترام المتبادل تماماً بين المسيحيين واليهود والذي سيصبح عميقاً عن طريق البحث اللاهوتي والمحوار الأخرى».

أرأيت هذا الذوبان كله؟ وهذا الاسترضاء والتقارب الناعمين؟ ثم تمضي الوثيقة فتقول: «من الواجب أن نذكر أن اتحاد الشعب اليهودي مع الكنيسة هو جزء من الأمل المسيحي، والواقع أن الكنيسة حسب تعاليم يوحنا الرسول (رسالة رومية ١١ / ٥) تفتح بعقيدة متينة ورغبة أكيدة في وجه ذلك الشعب بباب الدخول في سلطان شعب الله كما وطنه المسيح...»

وأخيراً ترشد الوثيقة إلى أنه «عند تلقين الدين المسيحي يجب عدم إظهار الشعب اليهودي كأنه ملعون... إلخ».

وهكذا أمكن بعد عشرين قرناً من حياة المسيح عليه السلام أن يصطلح اليهود والنصارى... .

ولكن علينا وعلى بلادنا وحاضرنا ، مستقبلنا.

وإخفاء للضياعان الصليبية العنيفة في هذه الوثيقة الشاذة أوصى المؤتمر المسكوني بمحة المسلمين أيضاً.

واعلانا لهذا الحب مضت دولة إسرائيل في حربها المكشوفة ضدنا تمدها أمريكا وإنجلترا وألمانيا بل أثيوبيا وأوغندا وكينيا، وشتي الدول المسيحية، بماشاء.

وإنفاذاً لهذه الوثيقة وتمشياً مع روحها نجحت مؤامرة الإغباء من العدوان الإسرائيلي وفشلت كل المحاولات لاستصدار قرار بانسحاب الإسرائييليين من الأراضي التي احتلوها، ولم ينطق أحد بكلمة عطف على العرب !!

ومع الظروف التي جعلت فرنسا خصماً لحملتها السابقين، فإن الفرنسيين في موقفهم الجديد يصررون علىبقاء إسرائيل - أي على إفناء فلسطين - وعلى منحها حق المرور في خليج العقبة وقناة السويس دون عائق !! ..

فهل يلومنا عاقل إذا صرخنا نكشف هذا الغل الدفين؟

هل يلومنا عاقل إذا قلنا إننا نواجه حرباً دينية عالن بها اليهود من جانبهم، وعالنت بها الكنيسة في المجمع المسكوني الأخير؟

إننا لسنا هواة حروب دينية أو مدنية، ولا نحسن الانحراف مع نزعات التعصب الأعمى .

ولو أن يهود العالم أجمعين عاشوا في قلب العالم الإسلامي مواطنين شرفاء ما أساء إليهم أحد، بل لاخذلوا مكانتهم العلمية ومكانتهم السياسية جنبا إلى جنب مع المسلمين والمسيحيين الذين يحيون بينما أمنين وآمنين .

بيد أن الهجوم المسلح الذي شنه اليهود علينا أخيرا، وأعانتهم عليه المنظمات الدينية والسياسية الغربية يعطي القضية وجها آخر، ويميط اللثام عن لون خسيس من الأحقاد التي لابد أن تواجه باستماتة وبأس، وأن تحشد في صدتها جميع القدرات الروحية والعسكرية.

وما بد - والحاله هذه - من جعل الإسلام قاعدة الدفاع، والاستعانة بالروح الإسلامية في طرد الغزاة المحدثين، كما طرد أسلافهم أو أشياهم من الصليبيين الأقدمين .

ولا حرج علينا أن نستعين بكل سلاح أو نرحب بكل عون ..
لحساب من يقال للعرب : إن الحرب الدائرة فوق أرضهم لا علاقة لها بالدين، وأنها مطاعم بشرية محددة ؟

ولحساب من توصف الحروب الصليبية القديمة بأن الدين لم يكن مشعل نارها، ولا محرك أحقادها، بل كانت غزوا استعماري فقط ؟ ..

لحساب من يشاع هذا الإفك وتوضع الحجب على وجه الحقيقة حتى لا يراها أحد ؟ ..

إن المستفيد من إقصاء الإسلام عن المعركة، وإيهام أتباعه أن العقيدة لا دور لها في هذه المأساة هم اليهود ومن خلفهم من ورثة الصغارائن في أوروبا وأمريكا ..
والخاسر هو الإسلام والمسلمون والعرب والمستعربون.

وعندما يدفن الإسلام في زوايا الإهمال فستدفن قبله فلسطين وما حولها من بلاد..
والغريب أن ذلك ما ترتفع به عقائر، وتخذه أقلام يجب أن يعرفها الناس وأن يحذروا حملتها ..

* * *

جذور المعركة القائمة

أهو وفاء للعروبة أن يصر نفر غير قليل من رجال السياسة وأصحاب الأقلام على هجر الإسلام وسحب ذيول الصمت على اسمه ووجهه وحشفه حتى لا يعتضم به أحد؟

ما هذه العروبة الغربية؟

إن من المتناقضات الجديرة بالكشف أن هناك أنساً يتحمسون للقومية ومع ذلك فهم يكرهون اللغة العربية !!

ودعك من أنهم يعجزون عن الكلام بها، ولكن المثير حقاً أنهم في مجال الإذاعة يؤثرون الحديث بالعامية ويفضلونها على الفصحى، ويسيقون بقواعد النحو والصرف بله ألوان البلاغة وفنون التعبير ..

وهم ساخطون على الشعر القديم وبحرره المنغومة وموسيقاه الجزلة ويفضلون عليه هراء يسمونه الشعر المثور أو الشر المشعور ..

وهم يرفضون بعنف أن تكون اللغة العربية لغة العلم والدرس في كلية الطب والصيدلة والهندسة وغيرها، ويتّحمسون لبقاء الإنجليزية أو آية لغة أخرى بدل العربية !!

وهم يغلبون على المجتمع الأدبية والعلمية واللغوية ويستطيعون بهذه الغلبة محو الطابع العربي واللّفظ العربي من آفاق نشاطنا الحديث كلّه أو جله، حتى لنخشى نحن المخلصين لتاريخنا وثقافتنا، أن تزول صبغتنا القومية على مر الأيام.

ولقد تساءلت : أهذا النفر المشتغل بالقومية العربية أو المتزّعّب فيها، صادق فيما يزعم؟

إنه لو كان عربياً حقاً، وكان يدين بغير الإسلام ما أكّن لمحمد صلى الله عليه وسلم، وترانه هذه البعض الرهيبة ..

وإذالم تكون الأمجاد العلمية والقانونية والحضارية التي افترنت بالرسالة المحمدية فخر العرب فيماذ يفخر العرب؟

الحقيقة التي ينبغي أن تقرر - أو التي آن أن تكشف - أن هذا النفر من الناس الذين
علا صياغهم في الأيام الأخيرة ليسوا منا في قليل ولا كثير !

إنهم نبت استعماري مفشوش الضمير والتفكير ..

يهمه نشر الشيوعية وحسب إن كان من أذناب الجبهة الشرقية ..

أو يهمه نصر الأسلوب الغربي في الحياة إن كان من أذناب الجبهة الغربية ..

وقد اتفق هؤلاء وأولئك على مخاخصة الإسلام ومطاردته في ميدان التربية،
والتشريع، والتوجيهين الخاص والعام، وبناء تقاليد اجتماعية لا تعترف بالحلال
والحرام، والصلة والصيام، وغير ذلك من آداب الدين ومعالم التقوى ..

ثم وقعت هزيمتنا الشائنة في يونية سنة ١٩٦٧ وكانت اللطمة من العنت والعمق
بحيث يفيق منها المخمور ويثوب الشارد ..

بيد أن الذين مردوا على النفاق لم يعرفوا إلى التوبة طريقاً، فأخذوا يهربون بعدها
بكلام كذب لا يزيد الأمة إلا خجالاً ولا ينقلها من كبوتها الحاضرة إلا إلى كبوة أوسع
وأشنع ..

كان السبب الأول والأخير لهزائمنا أننا كنا أحفاداً أخساء لأجدادنا الكبار، فما
قلدناهم في طلب الآخرة وحب الشهادة، ولا قلدناهم في أداء الفرائض، والتزام
الفضائل، واحترار الدنيا، واطراح الأهواء ..

ولنفرض أن جمهرة الجنود طيبة المعدن، فما جدوى ذلك إذا كان قيادها في أيدي
قوم يذكرون أنفسهم ولا يذكرون الله؟ أو في أيدي قوم يحتقرن دينهم على حين
يحترم خصمهم دينه؟

وحلت الكارثة .. وشرع الثوارون يذكرون السبب !!

وغاظنا أن يتواصى الجميع بقول كل شيء إلا الحق، وأن التذكير بالإسلام جريمة
الجرائم، أو كان العودة إليه هي المحظور المخيف .. !!

ومن المضحكات في تعليل انتصار اليهود أن جيشهم كان عصريا ! لأنما تكون
الجيوش العربية في القرن الماضي ، ولم تكن في السنوات السبع الأخيرة !!
ومن طرائف التعليل كذلك عزو انتصار اليهود إلى تفوقهم في «التكنولوجيا» لأن
هزائم الأميركيين أمام ثوار فيتنام سببها أن الفيتนามيين أربع من عدوهم في هذه
«التكنولوجيا» .

إن المراد من هذا كله، الصمت عن أثر العقيدة في كسب المعارك ..

ولا أعرف عاقلا ينكر آثار القوى المعنوية في إحراز النصر ، ولكن لما كانت
العقيدة عندنا هي الإسلام ، ولما كان ذكر الإسلام بغيضا عند هؤلاء الكاتبين فقد
فضلوا طول اللغو على ذكر الحق توا .

ومؤامرة الصمت هنا تواطأ متعمد على إمامة حديث الدين ، واستبقاء الجمهور
بعزل عنه ..

﴿ ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سطعكم في بعض الأمر والله يعلم
أسرارهم * فكيف إذا توفتهم الملائكة بضررهم وجوههم وأدبارهم * ذلك بأنهم اتبعوا
ما أبغض الله وكرهوه رضوانه فأحبط أعمالهم .. ﴾^(١) .

* * *

وتنشر الصحف في التعقيب على المعركة ونتائجها كلاما تتجاهل فيه الطبيعة
الدينية لقيام إسرائيل ، وتتجاهل فيه مقررات المؤتمر المسكوني العالمي المنعقد في
رومما ، وتوصياته الحانية على اليهود ..

ومضيا في إبعاد الإسلام عن الزراع كله يقول الأستاذ محمد حسين هيكل : كان
بين الأسئلة المطروحة في هذه المناقشة مثلا : هل القضية فلسطينية بالدرجة الأولى ،
عربية بالدرجة الثانية ؟ أم هي عربية بالدرجة الأولى ، فلسطينية بالدرجة الثانية ؟

وبالتالي : هل يتحمل شعب فلسطين أساسا مسؤولية المواجهة ضد الاغتصاب
الإسرائيلي لوطنه ؟ ثم تساعدة الأمة العربية في هذه المسئولة ؟

أم إن المسئولة على الأمة العربية وفي الطبيعة منها بحكم انتقامه الوطني شعب
فلسطين ؟؟

وهذا الكلام خطأ كله ! فرضان لا ثالث لهما !! هل الزراع فلسطيني أم عربي ؟
وأين الإسلام والمسلمون ؟

(١) - محمد . ٢٦ - ٢٨ .

لقد تناساهما الكاتب عن عمد ! واليهود لا يطلبون أفضل من هذا التفكير لإنجاح
سعيهم ..

ومع أن قضية فلسطين دينية عند أتباع التوراة والإنجيل والقرآن . . .
ومع أن أمر المسجد الأقصى بهم المسلمين في كل قارة ، كما يفهمهم أمر المسجد
النبي مثلاً ، ولا يزعم أحمق أنه بهم السعوديين وحدهم . . .

ومع هذا كله ، فإن المشكلة ليست في جر المسلمين قاطبة إلى المعركة .
المشكلة أن يفتقد الدين مكانه العتيدة بين العرب أنفسهم ، وأن يقاتلوا عدوهم عن
عقيدة مهيمنة واستئمانة مؤمنة . . .

ويوم يعود العرب - في قطر واحد من الأقطار المحيطة باليهود - إلى الإسلام ، فإن
دولة واحدة من دولهم ستؤدي دولة العصابات !

ويوم يعجز ٣٠ مليون مسلم في مصر عن طرد هؤلاء المعتدلين بفطن الأرض خير
من ظهرها .

ويمضي الكاتب في تدوين الفكر العربي ، وإتاحة العرب عن طريق الرشد فيزعم أن
احتضان الأميركيان ، وخلفائهم لليهود مسألة غامضة تحتاج إلى دراسة علمية !!
أما الصبغة المفضوحة لهذه العلاقة ، أما الأحقاد الصليبية المتتجرة ضدنا ، أما
الطبيعة الروحية للولايات المتحدة والطبيعة الكاثوليكية لدول أمريكا الجنوبية ، فهذا
كله يمر عليه الكاتب كأنه لا يدركه ولا يسمع به !!

والغرض ؟ إبعاد الصبغة الدينية عن الطرف الآخر ، لكي لا يفكر أحد في إضفاء
الصبغة الدينية على الكفاح عندهنا .

واسمع إليه يتساءل : « ما هي أصول التاريخ اليهودي ؟ ما علاقة اليهودية
بالصهيونية ؟ ما علاقة الدولة في إسرائيل بالأقلیات اليهودية في العالم كله ؟ » ؟
ويجيب : « ليست هناك مراكز ومعاهد بحث كافية تعمل وتتسع باللغة العربية !!
أقرات هذا الهزل . . .

إلى أن تنشأ هذه المعاهد في بلادنا ثم تنشر بحوثاً جامعية في حقيقة العداون
اليهودي فعلينا نحن المسلمين إبعاد الإسلام عن المعركة !
وربما نشرت هذه البحوث في ظل السلطات اليهودية المتصررة على العرب
التائهين أو الباحثين عن الحقيقة !

إن اليهود كما قلت لا يتظرون من وسائل الإعلام لدينا أن تخدمهم بأفضل من هذا التفكير ..

ويمضي الكاتب فيتساءل : « ما هي حقيقة الصلة بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، وإلى أي مدى ارتبطهما ؟ »

وبعد أن يعرض عدة إجابات ليس بينها أي ذكر ل الدين ما ، يقول : « الحقيقة في ظني تكمن في نقطة ما وسط كل هذه الأقوال ، ولا بد من بحث علمي عنها ! ». ولا أريد إطالة التعليق على هذه الأفكار ، فإن الأمر لا يحتمل الميوعة ولا التسويف .

إن على المسلمين أن يستيقظوا ليدافعوا عن دينهم وأرضهم وتاريخهم في وجه حرب قردة تأخذ طابعاً دينياً مكشوفاً لا ريب فيه .

إننا نواجه حرباً دينية تستهدف اجتثاث جذورنا ، والتطويق برسالتنا ومكانتنا . أما جعل الحرب دفاعاً عن القومية العربية بعد تجريدها من الدين فهو منه يقيناً إلى إضاعة الكيان القومي ولغة العربية على السواء .

لن يحمي العرب إلا الإسلام ، يوم يعتصمون به خلقاً وشرعاً وسيرة ، ونظاماً .. أما مع أوضاعهم الشائنة اليوم فالأمل بعيد ..

* * *

هذا هو الطريق

الفقر الحقيقي في الأمة الإسلامية الكبيرة يرجع إلى هذا الشلل الغريب في الهم والمواهب ، وهذا التخلف السحيق في مجالى الإنتاج والإجادة ..

ثم إلى ذلکم العبث بمعنى الإيمان والنكوص عن منطقه ..

إلى جانب تعلق وضعی بالشهوات ، ونهمة بادية إلى الدنيا !

ومنصف خصومنا بأنهم يكرهون الحياة ولذاتها، ييد أن الأمم القوية تبلغ ما تهوى بوسائلها الخاصة ، أما الأمم الضعيفة فهى تلهث وراء غيرها ، أو تتعلق بركاياتهم تعلق المتسلقين بمرکبات النقل ، أو تعلق المسؤولين بأذیال السادة .

والنهوض الحقيقي هو إزالة هذه العلل ، وفناء جراثيمها ، وقدرة الأمة على الاستفادة بعلمها وإنتاجها ، والاستهداء بإيمانها وفضائلها ، والاستعلاء على متع الدنيا بحيث تأخذ منه بقدر ، وتتصرف عنه متى شاء !

ويؤسفني التصریح بأن الشعوب الإسلامية ، حتى يومنا هذا ، لم تبدأ نهضة صحيحة ، وأن مظاهر التقدم التي نراها أو نسمع عنها هي امتداد لنشاط القوى الكبرى أكثر مما هي تطلع المتأخرین للتقدم ..

فالغرب الصليبي يصطنع شعوباً شتى لخدمة مأربه ويمدها بكثير من عونه المادي وقليل من تقدمه لحضارى .

والشرق الشيوعي ينافسه في ذلك الميدان ، ويحاول الاستفادة من أخطائه ، أو يحاول ميراثه إذا انتهی في مكان ما ..

وجمهرة المتعلمين أوزاع ، وبعضهم يؤثر النمط الغربي في الفكر والسلوك وأخرون قد أعجبتهم الماركسية فاصطبغوا ظاهراً وباطناً بذرعتها ..

اما الذين يتسبّبون بالعقائد والفضائل الإسلامية ويريدون بناء المجتمع الكبير على دعائم الوحي الحمدى فقلة غامضة من الناس ، ولا أقول منكورة الوجهة منكودة الحظ ..

هل أن ثورة قامت في جنوب اليمن تجعل الحياة الصينية أو الروسية مثلها الأعلى، تكون هذه الثورة نهضة إسلامية؟ أم تكون نجاحاً للفكر الشيوعي العالمي؟

من أجل ذلك قلت : إن الشعوب الإسلامية لم تبدأ بعد نهضة صحيحة، تكون امتداداً لتاريخها، وإبرازاً لشخصيتها أو نماء لأصلها وتبنياً للامتحنها ..

ومن الغلط تصور أنى أحرم الاستفادة من تجارب الآخرين ومعارفهم !! كيف وهؤلاء الآخرون ما تقدمو إلا بما نقلوه عن أسلافنا من فكر وخلق ووعي وتجربة ..

إن دولة الخلافة الراشدة اقتبست في بناء النظام الإسلامي من مواريث الروم والفرس دون غضاضة ..

وعندما أكل أطعمة أجنبية أنا بحاجة إليها فالجسم الذي نما هو جسمى ، والقوى التي انسابت في أو صالة هي قوائى !!

المهم عندي أن أبقى أنا بشخصياتي ومقوماتي !!

المهم أن أبقى وتقى في كيانى جميع المبادئ التي أمثلها والتى ترتبط بي وأرتبط بها، لأنها رسالتى في الحياة، ووظيفتى في الأرض ..

هذا هو مقياس النهضة، وأية صدقها أو زيفها، فهل في العالم الإسلامي نهضات جادة تجعل الإسلام الحنيف وجهتها والرسول الكريم أسوتها ؟

إنا هنا شديدو الحرص على جعل البناء الجديد ينهض على هاتيك الدعامات ..

واذا كنا نستورد من الخارج ثمرات التقدم الصناعي ، ونتتفع من خبرة غيرنا من أفاق الحياة العامة ، فليكن ذلك في إطار صلب من شرائعنا وشعائرنا ..

فإنه لا قيمة لأحدث الآلات إذا تولى إدارتها قلب خرب ، ولا قيمة لأفتك الأسلحة إذا حاول الضرب بها فؤاد مستوحش مقطوع من الله مولع بالشهوات ..

إن بناء النفوس والضمائر يسبق بناء المصانع والجيوش وهذا البناء لا يتم إلا وفق تعاليم الإسلام ..

تنشئة تصوغ الأجيال الجديدة، وتقالييد تحكم العلاقات السائنة، ورعاية ظاهرة وباطنة للعبادات المفروضة، ومعالجة جازمة بما في الدين من أهداف ، ومقاطعة حاسمة لما يعترضه من مسالك ..

وكل بناء معنوى للأمة ينكر للإسلام، أو يخافت بذكرة، أو يغض من شأنه، فهو مرفوض جملة وتفصيلاً ..

ولقد جربنا جعل مظاهر المدينة فوق باطن فارغ مظلم فماذا صنعنا؟

صنعتنا ناسا : ﴿إِذَا رأَيْتُمْ تَعْجِلُكَ أَجْسَامَهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا نَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَانُهُمْ خَبْرٌ مُسْنَدٌ بِحُسْنَونَ كَمَا صَحَّةُ عَلَيْهِمْ﴾^(١)

وهذا اللون من الناس فاشل في سلمه، مخذول في حربه، ماتسانده إلى غاية أرض ولا سماء ..

البناء الحقيقي للنقوش يستهدف أمراء جليلين . .

أولئما إسلامي بحث يحرك المسلم من يقظة الفجر إلى هدأة الليل بحماس العقدة، وظهر الصلاة، وشرف الأخلاص وحب الله ورسوله .

وكلتا الجهات الشرقية والغربية تكره ذلك الأمر ، وتتأبى أن يأخذ الإسلام طريقه في الحياة بهذا الوضوح .

والامر الآخر حيوي بحث، أساسه التفوق العلمي والتفوق العملي في كل أفق امتدت اليه الحضارة الحديثة من استصلاح التربة إلى غزو الفضاء !

ولنكن صرحاء ! إن هذا التفوق لا يولد من تلقاء نفسه ، إن التبريز في هذا المجال يتطلب رغبة في المعرفة . وشوقا إلى المجهول ، وعزمًا على اقتحام كل عقبة ، وهذه المشاعر لا تلدُها إلا عقيدة مكينة !

وإذا كانت الحاجة أم الضرر كما يقولون فإن العقيدة المسيطرة أقوى من الحاجة في الاندفاع والتحمل واستشراق الغريب !

إن الجندي المؤمن يرمق الظلام في جنح الليل بطرف يكاد يخترق سدوله،
ويبحث عن ألف حيلة لمقاومة العدو ودحره ..

والعامل المؤمن بجف العرق، وينفي عن نفسه التعب، لأنه ببراعث الحب لا
القهر، يزيد خدمة أمته وأعلاه رسالته ..

والمحزن في شتون المسلمين أنهم من عشرات السنين لا يمكرون من الحياة وفق إيمانهم الأثير، وأنهم - أيضاً - يلقطون كل ما يعرض عليهم من إيمان بدليل . . . ! ونرجع عن ذلك أن أعمالهم الخاصة ونهاياتهم العامة نولد ميتة، وأنهم إن تحركوا هـ مكانته !!

وقد تحركت اليابان منذ قرن في موكب نهضة صناعية عارمة، وبحثت حركتها من هذا التدافع اللعين بين ما يفرض على الشعب من خارج، وما يهفو إليه من داخل فماذا كانت النتيجة؟

٤) الماقفون

أضحت أمّة من أنجع أمم الدنيا، ولا تزال برغم هزيمتها في الحرب الأخيرة أمّة مُرْهوبة العزم، إن لم يكن في صناعات الحرب ففي صناعات السلام ..

أما العالم الإسلامي خلال هذا القرن فقد رزق بحكام يريدون محو دينهم أو تشويه صلته بهذا الدين، فكانوا شوما على يومه وغدو ..

إن النهضة الحقيقية هي التي تفلح في استئارة قوى النفس، وفي جعل الأمة على اختلاف طوائفها كخلية نحل نشطاً ونظمًا.

ولنزيد الموضوع جلاء . .

لقد نشأ عن الانفكاك بين العقيدة والعمل عجز رهيب في أداء الأعمال العادلة حتى ليخيل إلى أن عوام المسلمين أصبحوا دون غيرهم من الخلق في نواحي الانتاجيين المادي والأدبي ..

وكثيراً ما كنت أذكر قول أبي الطيب المتنبي :

إنا لفينا زمان ترك القبيح به
من أكثر الناس إحسان وإجمال

فأحسن مقدار هبوطنا عن المستوى الإنساني الرفيع في الاتقان والإجادة !!

إن النجاة من السقوط قد تكون شيئاً مقبولاً، ولكن ليس كل نجاح يحسب
تفوقاً . . قد يبدأ إنسان من العرج ويستطيع السير، ولكنه لا يمكنه جائزة بتاتاً في العدو
ل مجرد القدرة على المشي . .

والمنتسب يحترق أهل زمانه لأنهم فقدوا ملائكة الإجاده ولا يحسنون فعل العظام !!

فكيف لو رأى المعاصرین لنا من موظفين وعمال في كل شأن دق أو جل .

إن هؤلاء - لأنعدام بوعث الإيمان والتقوى - تعرج في أيديهم الأعمال المستقيمة

فلا يصلون بها إلى المستوى المقبول به مستوى النبوغ والعبقرية !!

رأت يوماً بعض الناس الذين تكرر دعاؤهم ولا تؤمّن بلايهم، ثم عدت من نظرت إلىهم وأنا أضع يدي على سبب مبين من أسباب تأخرنا . . .

نظرت إليهم فوجدت العمل يخرج من بين أيديهم ناقصاً غير نام، شأنهم غير جميل، ووجدتهم لا يأسون على ذلك، ولا نحركهم أشواقاً إلى إدراك ما فاتهم، وبلوغ مرتبة أفضل.

فعلمت أنهم أناس تقصهم موهبة الإتقان، وأن أمأهم أشواطاً واسعة من التدريب والعلاج حتى تكسب أيديهم المهارة المطلوبة وتستحب نفوسيم الإجاده والتلوق ..

وأعدت النظر مرة أخرى في سلوكهم فرأيتمهم يطلبون على عملهم انفاقاً ثمناً كثيفاً ويتقون من غمّة التقدير المضاعف.

أو هم يفرضون على الآخرين مطالبهم مهما فدحت دون تقديم مقابل معقول . . . !!
فاحسست أن لهم طبعاً جشعًا كثير التطلع إلى طيبات الحياة، ولبيتهم يتسلون إلى
مطامعهم بجهد مبذول مقدور .

كلا، إنهم من الناحية النظرية ضعيفو الكفاية، ومن الناحية النفسية ضعيفو الأمانة،
فأى يلاء هذا ؟

أمثال هذه العلل هبوط حقيقى بالمستوى الإنساني ، ونزول مؤكد من مرتبة
الإحسان التي يفرضها الدين ، وبينى ترتيبه على تحصيلها .

إن الحصاد الغائى للجهد البشري بعد طول الكدح في هذه الحياة، أن يخرج
الإنسان من هذه الدنيا بشمرة واحدة هي « العمل الحسن » .

وذلك ما أكدته القرآن الكريم عندما قال : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمُوتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبَلُّوْكُمْ
أَيْكَمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾^(١) .

وقال ﴿ إِنَا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوْهُمْ أَيْهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾^(٢) .
فأى عمل حسن لامرئ تخرج الأعمال من بين أصابعه وكأنما أحجهض عنها فهي
كالسقط الذي لم تكتمل ملامحه !

وأى عمل حسن لامرئ منطلق الرغبات كالطفل المدلل يطلب فقط وعنى الدين أن تلبى !!
إن النجاح الكبير في هذه الحياة الدنيا وعند الله أن ننمى عقولنا وقلوبنا تنمية توفى
على الحياة، والله جل شأنه يقول : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ
آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^(٣) .
الإيمان والإصلاح قرينان لا ينفكان .

وليس من الإصلاح المنشود المفروض أن يكون الإنسان غير مأمون على إجادته
واجب أو غير مأمون - إذا أجاده - على المعالاة فيه، وطلب مكانة لا يستحقها
عليه !!

ومرة أخرى نقول : إن إعادة الحياة إلى العقيدة الإسلامية لتحتل مكانها في الضمير ثم
إلى الشريعة لترسم خط السير في المجتمع الكبير، هو وحده طريق التهوض الصحيح .

* * *

(١) - الملك ٢ .

(٢) - الأعام . ٤٨ .

(٣) - الكهف ٧ .

القيم الروحية..كلمة عامة مبهمة

شاعت كلمة «القيم الروحية» على ألسنة الكتاب والخطباء في الأيام الأخيرة. وهي كلمة جدت في الأدب العربي الحديث ولم نقرأها في أساليب الأولين .. ولم نشعر عندما سمعناها لأول مرة بإنكار لمدلولها المبادر إلى الأذهان. إذ كانت - فيما فهمنا - تعنى التسامي بالنفس، والعناية بالخلق، والاعتراض على التفكير المادي، ورفض وجهة في السلوكين الخاص والعام .. وتلك جمیعا معان مأنيوسة مستلطفة، تقبلها نحن المسلمين، ونراها بعض تراثنا الديني بلا ريب.

لكن الكلمة تكررت في مواطن متى، وأحاطت بها ملابسات مقصورة ! بل يمكن القول بأنها أصبحت مصطلحا سياسيا له مفهومه وغايته عندما يطلق هنا وهناك ..

والظاهر أن هذه الكلمة، كلمة القيم الروحية، تعنى مجموعة الأديان الأرضية والسماوية التي تعتنقها جمahir مكثفة من البشر، وتصبغ وجهتها في الحياة بطابع غبيّ بارز، وضرورب من العبارات مقررة، وأنماط من السلوك يستمسك بها الأتباع ولا يحيدون عنها أبدا .

أى أن هذه القيم تشمل البوذية والهندوكية واليهودية والمسيحية والإسلام وكل ما يتقرر في هذا الميدان التقليدي المأثور ، ميدان الدين والمتدينين ومن إليهم .. !! وضم هذه التزعيات كلها تحت عنوان القيم الروحية اختصار حسن، كما أن كلمة «المشروبات الروحية» تعنى جميع السوائل المسكرة مهما اختلفت الأسماء في شتى الأقطار !!

وتعبر «القيم الروحية» بهذه المفهوم الجامع تستحق دراسة متمهلة كي نحدد منه موقفنا .

فإن طى الحق والباطل تحت عنوان واحد أمر نرفضه ابتداء !
ومن هنا فنحن نستبعد الأديان الأرضية من نطاق هذه القيم ولا نعترف بدين إلا ما
كان له أصل سماوي محترم .

أى أن الأديان في نظرنا لا تعنى إلا الإسلام ، فالنصرانية ، فاليهودية .
أما الفلسفات الأخرى التي تحولت بين أيدي أتباعها إلى دين فهى في نظرنا
ضرورة من الوثنيات مبتوطة الصلة بالله الواحد ، مصروفة بطبيعتها عن الاستمداد منه
والاستعداد للقاءه .

وقد تتعصب لهذه التحليلات مؤلفة من البشر ، ليكن قلها ما تشاء ..
لكن ليس لنا أن نسلك هذه المذاهب مع الأديان السماوية في نظام واحد .
ثم إن الشرق الأوسط لا يعرف هذه المذاهب ولا أتباعها ، ولذلك لن يضار أحد
من إطلاق هذا العنوان المستحدث على الأديان السماوية وحدها - أعني به تعبير القيم
الروحية .

بقى أن نتساءل : ما السر في ابتداع هذا العنوان ليشمل الأديان الثلاثة ؟
والجواب لعلهمحو ما يشاع في أوروبا من أن التدين والتتعصب صنوان ، وأن
الخلاف الدينى يضر بالقضايا العامة للأوطان ..

ونحن نكره ضيق الأفق ، وانحراف العاطفة ، اللذين يسيطران على بعض القاصرين
ويسئنان الإساءة كلها إلى حقيقة الدين .
ييد أن ذلك الوهم لا مكان له في حياتنا ولا في تاريخنا .

ويمكنتنا أن نقول بقوه : إن التتعصب الوطنى والعنصرى والدينى رذيلة تتسلق فى
المجتمعات الأوروبية من قديم ولا تعرفها مجتمعاتنا العربية .
إنها هناك وباء مقيم ، أما فى بلادنا فقد تبدو أعراض المرض على أفراد محصورين
ثم يتلاشى الداء العارض كما يتلاشى غيمة دخان أمام رياح متتجدة .

ومن ثم فإن هذا العنوان لا يجتلب لهذا السبب ، ونحن نرفض إنشاء مصطلحات
سياسية جديدة للرد على تهم أنشأها لفيف من الكذبة ..

هل هناك قصد آخر من وراء تعبير القيم الروحية ؟
لعله منع استغلال طوائف الإقطاعيين والرأسماليين والكهان لفطرة الدين .

والجواب أننا نرفض كل استغلال للدين وانحراف به عن هدفه .

ومن الحق الذى لا يمكن جحده أن ثورات التحرر الكبرى فى بلادنا كانت دينية ،
وآخر هذه الثورات سنة ١٩١٩ ، فإن ساحة الأزهر كانت مصدرها ووقودها ، وكان
 رجال الدين المسيحي مع علماء المسلمين فى القيام عليها ..

أما التحرر الاجتماعى ، فإن رواده الأوائل من المفكرين الإسلاميين .

ومعروف أن علماء الأزهر قاطبة من أبناء الفلاحين والعمال ، وأنهم ما كانوا فقط
طبقة إقطاع في هذه البلاد .

ومن ثم فإن هذه الشبهة مردودة كسابقتها ، ولا تقبلها أساسا لفرض هذا المصطلح
السياسي الجديد ..

بقي شيء آخر هو أننا نحن المسلمين نرى فى وصف الإسلام بأنه قيمة روحية
وحسب بخسا لحقيقة ، وانتقادا لتعاليمه ، وانسياقا مع التفكير الاستعماري فى هجر
شرائعه ، ودك شعائره ، وإبعاده عن الحياة العامة ..

أهوا إثبات على الاسم بعد الإثبات على الجوهر .

ومن الإنصاف أن أذكر هنا تفسيرا للدكتور عبد العزيز كامل شرح فيه كلمة القيم
الروحية شرعا حسنا .

فقد رد المعنى المراد إلى قوله تعالى : « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من
يشاء من عباده » (١) .

وقوله : « وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمننا » (٢) .

وبهذا التفسير اعتبر كلمة القيم الروحية شاملة لتعاليم الإسلام كلها وأن المناولة بها
تعنى رجع المسلمين أصول دينهم وفروعه ..

ولا شك أن هذا تفسير ذكي ، يوائم بين العنوان المجلوب والرغبة المنشودة ، ولا
اعتراض لنا عليه من هذه الجهة ..

وإنما نعترض على كلمة القيم الروحية من ناحيتين آخريتين !
أولاًهما أن هذا التفسير الصحيح لا يدركه إلا الأقلون ولا تؤيده التصرفات
الملازمة للنطق به .

(١) التحلل : ٢ .

(٢) الشورى . ٥٢

والثانية أن عنوان ديننا معروف من عشرات القرون. هو الإسلام : « هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم ونكونوا شهداء على الناس » (١) .

فلم إذا ترك عنوان ديننا الأثير المقرر ونثارى تحت عناوين غامضة وشارات مبهمة ؟

إذا نظر إلى أتباع الأديان الأرضية والسماوية في كل قارة فنرى كل واحد منهم يملا فمه بالاتساب إلى دينه والانفواء تحت لوانه .

واليهود الذين شاركوا في تمجير الذرة لم يشعروا بغضاضة من إحياء اسم إسرائيل والمكابرة الواقعة ببناء دولة له ..

فلم يتوارى اسم الإسلام وحده ؟ ولماذا يطالب المسلمون وحدهم بالتحفي والاستذاء ٤٩

لقد قيل من زمان بعيد : إن الدين لا صلة له بالدولة ،
ثم قيل لا صلة له بالاقتصاد .

ثم قيل لا صلة له بالقانون .
ثم قيل إن الأخلاق المدنية أهدى من الأخلاق الدينية .
ثم قيل إن العبادات وسيلة ترکية ليست مقصودة لذاتها .
وطبق هذا القول المنكر على الإسلام .
فماذا أصبح الإسلام بعد هذا البر والتطويق ؟ .

وعندما يطوى الاسم الذي اختاره الله لنا من خمسين قرنا فقال : « هو سماكم المسلمين من قبل » ويدرك بدله تعبير « قيم روحية » فعلام يدل هذا ؟ ألا يدل على تهرب وكراهة ؟

كراهية للاسم بعد إضاعة المسمى !!
من أجل هذا المحذور أرجو إحياء الإسلام موضوعا وشكلًا، وحقيقة وأسماء .
فذلك أحق وأولى ..

لما حفَّلوا وماذا استفادوا؟

الحديث عن رسول الله حبيب إلى كل قلب ، فإن صنائع معروفة طوقت أعناقنا ،
وثرارات جهاده الشاق هي التي تحبس ضمائراً وتمسك كياننا .. .
وإذا كان المثل الساندر « من علمنى حرفاً صرت له عبداً » فكيف بمن هيا لنا الرشد
في الدنيا ، والنجاة في الأخرى ؟
إن دينه في رقابنا ضخم وجميله في أفقتنا مغروس .

ومع ذلك فقد كنت أقدم رجلاً وأآخر أخرى عندما كنت أدعى إلى أحفال المولد
الشريف لأنتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ! !
كنتأشعر بأن هذه الأحفال صلة مفتولة بين المسلمين ونبيهم ، وأن الخطب التي
تلقي فيها دعاوى حب لا يساندها دليل ، ولا يزیدها واقع . . .
كانت هناك مداعن للنبي منظومة ومنشورة ، وشارات فرح بذكره مطوية ومنشورة
ولكن لم يكن هناك ما يدل على صدق الأتباع وحسن التأسى ، بل لقد هرع إلى
سرادقات الموالد بين المغرب والعشاء ناس لم يصلوا المغرب ولا العشاء !!
إن الأمر لا يعدو المشاركة في تقليد مكرر مألف .

وذكرت أبياتاً للبوصيري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخيل إلى أن الرجل
كان يعني جماهيرنا عندما قال في بردته :

فبان فضل رسول الله ليس له حد في عرب عنه ناطق بضم !
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته قسم نيات تسلوا عنه بالحلم ؟

نعم ، كيف يدرك هذه الأفواج النائمة الهائمة حقيقة النوة التي أيقظت العقل من
سباته ، وبدلت ليل العالم إلى نهار ، وفككت أغلال الذل عن أجيال طالما عاشت في
الذل ، وقضت أعمارها في الهوان . . . ؟

لقد كنت أُفَقْنَ وَأَنْقَلَ الْخَطُوطَ هَنَا وَهُنَاكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَا يَعْرِفُونَ حَقْيَةَ النَّبَوَةِ، وَلَا يَفْقَهُونَ مَعْنَى الرِّسَالَةِ، وَلَا يَدْرِكُونَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ بِإِذْاَهَا، إِنَّهُمْ - كَمَا عَبَرَ الْبَوْصِيرِيُّ - قَوْمٌ نَيَامٌ يَتَسَلَّوْنَ عَنِ الْحَقَّانِيَّةِ بِالْأَحَلَامِ .
وَالْيَامُ الَّذِينَ يَدْوُونَ فِي صُورِ الْأَيْقَاظِ كَثِيرُونَ.

وَأَسْمَعَ إِلَى أَبِي الطَّيْبِ يَصْفُ فَرِيقًا مِنْهُمْ، وَكَانَهُ مَعْنَا فِي هَذَا الْعَصْرِ، يَصْفُ الْمَجَمِعَ الْإِسْلَامِيَّ الْمَعْتَلَ :

أَرَابَ فِيْرَ أَنْهُمْ مُلُوكٌ مَفْتَحَةُ عَبِيْوْنِهِمْ نَيَامٌ !
بِأَجْسَامٍ يَحْرُّ الْفَتْلَ فِيهَا وَمَا أَسَافَهَا إِلَّا الطَّعَامُ !

تَأْمَلُ هَذَا الْوَصْفَ لِعَبِيدِ الشَّهَوَاتِ، وَصَرْعَى الْمَلَذَاتِ، إِنَّهُمْ يَظْلَمُونَ مُنْكِبِيْنَ عَلَى دُنْيَاهُمْ حَتَّى يَخْتَقُوا دَاخِلَهَا كَمَا يَخْتَقُ دُودُ الْفَزْرَ بِالْأَفْرَازَاتِ الَّتِي يَسْجُهُا ..
وَالْأَمْمَ الَّتِي تَسْتَلِمُ لِدُنْيَاَهَا عَلَى هَذَا النَّحْوِ لَا تَصْلُحُ لِلْحَيَاةِ، وَلَا تَتَنَصَّرُ عَلَى عَدُوِّهِ أَنْ تَصْدُرَ الْقَافِلَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ وَتَخْدِمَ رَسَالَةَ عَالَمِيَّةِ !!

وَهَذَا الْفَرِيقُ مِنَ الْمُخْدِرِيْنَ فِي مَشَاعِرِهِمْ، الْمُتَبَلِّدِيْنَ فِي أَفْكَارِهِمْ، عَبَءُ عَلَى الْعَقَانِدِ الَّتِي يَعْتَنِقُهَا، إِنَّهُ يَشِينُهَا وَلَا يَزِينُهَا، وَيَلْقَى عَلَيْهَا أَوزَارَهُ بَدْلَ أَنْ يَدْعُهَا تَغْسِلَ عَنْهُ أَوْسَارَهُ ..

وَمِنْ حَقِّ كُلِّ ذَيْ لَبِّ أَنْ يَسْأَلُ : هَلَّ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يَحْتَشِدُونَ لِلْوَفَا لِتَحْيِيَةِ الْمَوْلَدِ النَّبَوِيِّ مُنْطَقِيُّونَ مَعَ أَنْفُسِهِمْ وَمَبَادِئِهِمْ ؟
مَا أَظَنَ الْوَاقِعَ وَلَا الْخَيَالِ يَحْيِيَانِ بِالْإِيْجَابِ ..

إِنَّ احْتِفَالَاتَ الْمُسْلِمِينَ بِمِيلَادِ نَبِيِّهِمْ مَعَ تَرْكِهِمْ لِأَرْكَانِ دِيْنِهِ، وَصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِهِ،
مَرْضُ نَفْسِيٍّ وَاجْتِمَاعِيٍّ يَحْتَاجُ إِلَى الدُّرُسِ وَالشَّرْحِ !! ..

وَقَدْ لَاحَظْتُ فِي تَجَارِبِيِّ مَعِ النَّاسِ، أَنَّ الْبَعْضَ يَكْتَسِي فِي إِثْيَاتٍ وَلَاَهَ لِأَهْلِ الصَّدَارَةِ وَأَوْلَى الْأَمْرِ، بِكَلْمَاتٍ مُلْقِيَّةٍ بِزُورِهَا، وَمُظَاهِرٍ زَلْفِيٍّ يَجِيدُهَا .. !!

فَإِذَا تَقْضَاهُ الْوَلَاءُ الْمُزَعُومُ مَوْقِفًا صَارِمًا، أَوْ مَغْرِمًا ثَقِيلًا، كَانَ أَوْلَى الْفَارِينِ !
وَكَمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَنَاسٍ يَخْدِعُونَ الْآخِرِينَ بِهَذَا الْأَسْلُوبِ الْمَيْسُورِ، يَقْتَرِبُونَ مِنْهُمْ مَا دَامَ الْاقْتَرَابُ رِحْيَصُ الشَّمْنِ سَرِيعُ النَّفْعِ، فَإِذَا بَهْظَ الشَّمْنَ أَوْ عَزَّ النَّفْعَ لَمْ تَجِدْ لَهُمْ أَثْرًا !!

وقد يمتنع المنافقون بالاقتراب - البدني - من رسول الله، وذكروا أنهم يؤمّنون به^(١)

ونزل الوحي الأعلى يقول : «إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكافرون»^(٢).

وشهادة الله على المنافقين بالكذب إنما جاءت بعد أن فضحت مواقفهم وسرائرهم، فما صدقوا في جهاد فرض عليهم، ولا اطمأنوا الحكم صدر في قضاياهم، ولا بادروا إلى صلاة جامعة، ولا سارعوا إلى نفقة مطلوبة ..

إنهم مؤمنون عندما يكون الإيمان كلاماً، أما عندما يكون جداً وإقداماً فلأمر وجه آخر !! : «بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لهم عاملون»^(٣).

وقد كثرت الأحداث الرسمية والشعبية بميلاد الرسول الكريم، أحياها مسلمو هذا العصر الذين هزمتهم شراذم اليهود، وأنزلت بهم خزياً ليس لسواده نظير في تاريخ المسلمين أجمع ..

فأى علاقة مفتراء بين أولئك المسلمين وبين نبيهم المجاهد الشجاع الصبور ؟

إن العلاقة الوحيدة المقبولة بين المسلمين ونبيهم هي التأسي به ، والسير تحت لوائه ، والتزام سنته القوية ، وصراطه المستقيم ..

فمن فعل ذلك فهو أولى الناس به في الدنيا والآخرة وإن لم يحيي لمولده ذكرى ! ومن شرد عن هذا الهدى ، فقد انقطع بالرسول سببه ، وإن أقام لمولده عشرات السرادقات ..

في أيامنا هذه التي نلتسم فيها أهل الفداء والنجدة ، ليذودوا عن العقائد والحرمات ، أرمق بالإجلال العميق الصحابي الذي يقول : إنه لا يبالي على آية صورة يموت !

سواء كسر رأسه ، أم مزق صدره ، أم شق بطنه ، أم قضم ظهره ، إن صور الهاك كلها لا تقلقه .

إنه معنى بشيء واحد فقط ، أن يموت وهو مسلم .

فإن اطمأن إلى هذا المصير مات مستريحاً على أي جنب وبأى جرح .

(١) - المنافقون : ١ .
(٢) - المؤمنون : ٢٣ .

ورجاؤه في الله أن يتقبل ذلك الفداء، وأن ينزل بركتاته على أشلاء قطعت في سبيله .

ولست أباً حين أقتل مسلماً
على أي جنب كان في الله مصرعى
يبارك على أوصال شلو ممزع
وذلك في ذات الإله وإن يشا

هل نفرست في ملامح هذا الشهيد النبيل؟ هل تسمعت إلى هذا النغم المروقن الجليل؟ أولئك هم الرجال الذين رياهم محمد وتعلموا منه كيف يحييون لله وكيف يموتون لله، وأولئك هم الرجال الذين دمروا معاقل الظلم، وتركوا اليهود وغير اليهود بولون الأديبار في أقطار الأرض !

والاتصال الصحيح بمحمد إنما يكون بمعونة ربها، وإحياء وحيه، وإحلال حلاله، وتحريم حرامه، وتوقير حكامه، وتكون الأجيال الجديدة على خلقه وعبادته وجهاده .

إن محمدا هو الكتاب الذي تلقاه وعاش به وله .

فما تكون حالنا إذا قال الرسول عنا : « يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا » (١) .

لقد أحسست كربلا شديدة وأنا أسمع قائد جيوش اليهود يقول : نحن نقاتل من أجل التوراة واليهودية وأرض المعاد !! يقولها دون غموض ولا استحياء ولا توجس على حين تطبق شفاه الزعماء العرب والمسلمين فلا يجررون على إرسال مثل هذا التصریح في الدفاع عن القرآن والإسلام والأمة الكبرى المحروبة تحت وطأة ألف هاجم من الشرق والغرب ..

هل ذكر التوراة شرف وذكر القرآن جرم ؟

هل يتبع الناس بياطفهم ونثارى نحن بحقنا ؟

إن محمدا النبي الأمين هو أجدر إنسان في العالم بأن يقتفي أثره ويشارد بتراثه، وإن كتاب محمد هو الوحي الصادق الذي تلمس النجاة في آياته، ويرتقب الخبر من اتباعه، ويشرف الساسة بتلاوته وتديبه، والتنويه به، وجمع القلوب عليه ..

إن ميلاد محمد ليس سوقا اقتصادية لجر المنافع بالبيع والشراء، وليس استجلاء تاريخيا لبعض ما في المتاحف من آثار وأخبار ..

(١) - الفرقان : ٣٠

إن أمر محمد ودينه وأمته أعظم عند الله وعند الناس من هذه الأحوال الرخيصة
دينية أو دنيوية . . .

وإذا لم نقرر بناء مجتمعنا على عقيدة محمد وشرعيته فلا داعي للاحتفال بموالده،
 وإظهار ولاء مكذوب له ..

وبقيت كلمة حاسمة تتصل بمستقبلنا مع اليهود، ولا نسام من تكرارها.

إن الاعتقاد الديني يشد زناد النشاط الإنساني شدّاً هائلاً، ومن ثم يخرج العمل وكأنه قذيفة لا يقفها دون مداها شيء.

فإذا قرر اليهود أن يعتنوا حرباً دينية، وأبینا نحن إلا أن نجعل الدين مظاهر لا تعم
قلباً، ولا تصوغ خلقنا، ولا تسوى صفاً ولا تحكم معاملة، ولا تصنع مثلاً أعلى
فالويل لنا في القريب والبعيد ..

إن السبات الموجعة إذا لم تفلح في إعادة الرشد إلى الزاغين فستتبعها فوارع فاجعة، وهزائم فاضحة.

فهل يؤمن قومنا ويغدو إلى الله، أم تمضي فيهم ستة الأولين أولئك الذين لم
يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ٤٩..

非
✿
✿

أجيال التصرّف وأجيال المزحة

ليس الانتصار والانكسار حظوظاً عمياء تصيب الأمم وهي غير مستحقة لها، أو تفجّرها على غير توقع منها، أو تلتوى بمسيرها فتفتّرها على وجهة كانت تؤثّر سواها ..

كلا فإن الأمور تندفع إلى نهايتها وفق سنن كونية دقيقة ..

وحواتيم الصراع بين الأمم لا تقع خبط عشواء، ولا تكيلها الأقدار جزافاً، بل تجيء وفق مقدمات منتظمة، كما تجيء النتائج بعد استكمال الأسباب .. !!
وربما كان ما يصيب الأفراد أحياناً من نوازل مبهمة سبباً في عدم المصائب جملة أقداراً قاهرة ..

وريما كان ذلك ما جعل المتنبي يقول :

فما بطيشها جهلاً ولا كفها حلماً
الا أرى الأحداث مدحاً ولا ذماً

وهذا الكلام من نزوات الشعراء، ومما قد يتسلّى به الغافلون عندما تؤدي بهم السماء ..

والحق أنّي عندما أتأمل في هزائمنا المتلاحقة أمام البهود خلال العشرين سنة الأخيرةأشعر بأن الغزو الثقافي قد حقق مراده وفق ما يشتتهـ .

وأن ما فرمـهـ في بلادنا قد أتـى ثمارـهـ العـرـبةـ كلـهاـ .

وأن جهودـهـ المـاكـرـةـ في مـيـادـينـ التـعـلـيمـ وـالـإـلـاعـامـ مـنـذـ اـسـتـعـمـرـ الـأـرـاضـىـ وـالـعـقـولـ لـمـ تـضـعـ سـدـىـ !!

من عشرات السنين والأجيال الجديدة تزداد عن القرآن الكريم ذوداً، وتجهلـ في آياته تجهيلاً ..

من عشرات السنين والتاريخ الإسلامي تعكر منابعهـ، وتقلـلـ حصصـهـ، ويلحقـ تـارـيـخـ بالـتـارـيـخـ الـقـومـيـ، وـتـارـيـخـ الـأـجـنـيـ، حتـىـ لاـ يـحـسـبـ مـحـمـدـ وـأـصـحـابـ إـبـاءـنـاـ الرـوـحـيـنـ وـالـفـكـرـيـنـ !! ..

من عشرات السنين وعلوم العقيدة والفقه والتربية والأدب تطارد من التعليم العام
لتكون بضاعة بعض الأزهريين المغومصين .

وأخيراً تزوى البضاعة وحملتها فى ركن بعيد عن الأصوات لستلاشى على مر
الأيام ..

من عشرات السنين والأوضاع المقلوبة التى تشبه عوامل التعرية تحت مقوماتنا من
الإيمان والصلة والتقوى . وتطلق أسراب الديدان لنتهم كل نبت يجدو للشرف
والوفاء والحياة ..

فلما التقى الجمعان فى سيناء وغير سيناء وقع ما كان الاستعمار يمهد له من قديم ،
ويسوق الأمور إليه بتؤدة وصبر !!

إن كل القوى الناقمة على الإسلام اختبأت وراء الاستعمار الحديث لتناهى منه بشتى
الأساليب ، فإذا احتاج الأمر إلى المكر لانت ، وإذا احتاج الأمر إلى القسوة بطشت .

وهي في لينها تدس السموم ، وفي شدتها تحترف الهمجية والجبروت وفي كلتا
الحالتين لا تقام عن غايتها أبداً .

إنها ت يريد بناء مجتمعات منسلخة عن الإسلام ، مرتدة عن هديه في البيت والشارع
والمدرسة والمحكمة وسائر مناحي الحياة العامة ..

وقد وصل الغزو الثقافي إلى غاية المنشودة ، وانعكس ذلك كله على معاركنا مع
بني إسرائيل ..

ذلك أن المعارك يربحها طلاب التضحية من أصحاب العقائد ، ولا يربحها عباد
الشهوات من أبناء الدنيا ..

وبيني أن أجيب هنا عن شبهة روجها القاصرون ..

إن العلم سلاح عظيم في إحراز النصر . هذه حقيقة لا يحتاج كشفها إلى عبرية ،
ولا يمارى فيها إلا مجنون .

وبناء الدولة على العلم هو وظيفة كل حكم راشد ، وخصوصاً العلم التجربى
والتطبيقى ..

لكن العلم أداة تستخدم لنصرة من يمتلكها .

والجهات المتصارعة في العالم اليوم تتنافس في تحصيل العلم وتعرف أسراره
وتكثير رجاله .

الشرق الشيعي والغرب الصليبي كلاهما يتوصلان بالتفوق العلمي لدعم موقفه ومد سلطانه .

فالعلم هنا أو هنالك وسيلة لإنجاح المعتقد أو تغليب المذهب ..

فكيف يجيء في هذه الأيام العجاف من يريد تزهيدنا في العقيدة باسم الحاجة إلى العلم ؟

وفي أي بلاد يقال هذا الكلام ؟ في بلاد الإسلام الذي احتفى بالعلم من أول آية نزلت فيه ! .

لقد لاحظت أن ضعف العقيدة خلق في بلادنا صفتين من المتعلمين كلاهما لا خير فيه .

الأول: صفت يكتفى من العلم بكتابه، أو إجازاته الرسمية فهو لا ينفذ إلى لباه، ولا يستفيد أو يفيد من حقائقه.

والآخر: صفت اغتر بالقدر الذي أحرزه، ويريد أن يحيى به ملكاً غير متوج، وكأنه تعلم ليستكبر ويطغى !! ..

والصفتان يكثران حيث يضعف الإيمان، وتهي الأخلاق، وتفحش الأثرة .

وأصحاب العقائد حين يقولون على العلم يوجدون فيه، لأن طلب الكمال غايتها،
ولأن العلم وسيلة رائعة - كما شرحا - لإعزاز مبادئهم وقوتهم .

وفي فراغ الجو من الإيمان الباعث على الحركة، وجدنا ناساً ثرثراً من أكثر من إنتاجهم ! ودعواهم أكثر من حقائقهم ! وشهواتهم أملأ لازمتهم ! مع أنهم تخرجوا من شتى الجامعات المدنية أو العسكرية ..

ماذا أرى الآن بعد الهزائم المخزية التي نكست رؤوسنا ؟

أفاما يضحكون ولا ي يكونون ! ينطلقون إلى القهورات والأندية ليسموها ويعيشوا، أو إلى الشواطئ ليلهوا ويلعبوا !!

كان ينبغي أن تكون هذه الجباء مقلبة لكنها مسوطة !

كان ينبغي أن تكون هذه الشفاه ممزومة لكنها منفرجة !

وماذا أقرأ الآن ؟ خليطاً هائلاً من الأخبار والبحوث كأنما حشدتها أمرؤ يريد أن يسرق عقلي حتى لا أفكّر ! وأن يسرق ضميري حتى لا يستيقظ ! وأن يملاً أذني بطنين مزعجاً من الأحداث المفتعلة حتى يختفي صوت المعركة القائمة ..

فإذا فرض الواقع الأسيف نفسه. سمعت من يرجع الهزيمة إلى ألف سبب غير سببها الحقيقي ! ومن يتلمس نها ألف دواء إلا دواءها الصحيح .

ويستحيل أن يتكون جيل النصر في هذا الجو الأغبر ..

لقد اجتهد الاستعمار خلال قرن من الزمان أن يعودنا ترك الصلوات وحب الشهوات .

فلماذا لا يتتصدر الرؤساء والوزراء والمحافظون صفو المصلين ويحرصن على مرضاة الله ؟

ولماذا لا تحل المشكلات « الجنسية » بالاستعفاف وتسير الزواج بدل إشاعة التبرج وتوطيد أركان الفحشاء ؟

ولقد استمعنا إلى خصومنا يغالون بوصايا الأنبياء، ويتمسكون بتعاليم كتبهم، ويصرح وزير حربية إسرائيل دون خجل ولا وجل بأنه يحارب من أجل التوراة واليهودية وأرض المعاد كما روت ذلك الصحف .

على حين يخجل روّهاء العرب ويوجلون من الانساب إلى القرآن والتثبت بأياته. لأن الغزو الثقافي أثّم علاقاتهم بالدين والنبي والصحابة والتابعين !!

لو كان العرب مجتمعات من المدراوיש الطبيين هزمتهم التخلف العلمي الشائن لقلتنا: إن التنويه بالعلم فريضة، وهذا التنويه لا يتطلب عقريّة في المناداة به .

إن محمد على الأمى وابنه إبراهيم استكملاً لهذا النقص واستطاعا بالجيش المصري أن يكسبا معارك عظيمة في القارات الثلاث ..

إن جيئتنا من خيرة جيوش الأرض عندما يرثق القيادة الصالحة ..

لكن العرب هزمتهم أزمة الإيمان في قلوبهم، والقطح الرهيب في المثل والأخلاق .

لقد فتكت بهم فوضاهم الداخلية قبل أن تفتّك بهم سيف الأعداء .

وهذا المصير الحقير هو ما خطّط له الاستعمار الفكرى الضائق بالقرآن والرسول ومنهج الإسلام كله منذ ظهر الإسلام

إنه صنع أجيال، فيجب علينا نحن أن نصنع أجيال النصر ..

وأنّ جيال النصر لا يصعبها قوم انحلوا عن دينهم ! وتنكروا للتاريخ لهم ..

إن الأيدي المتوضّلة لا الأيدي المبوّنة هي التي تصنع هذه الأجيال ..

* * *

اذكروا .. واحذروا

في مطالع القرن الثالث عشر للهجرة، والتاسع عشر للميلاد، كان العالم الإسلامي يخضع للخلافة العثمانية في وحدة سياسية جمعت أطرافه تقريباً ما عدا أندونيسيا التي احتلها الهولنديون، والهند الإسلامية التي احتلها الإنجليز.

وكان هذا الكيان الضخم مسراً حا لعلل فاتكة أكلت عقله وضميره وبنده.

كان العملاق - الذي ألت إليه مواريث الراشدين والأمويين والعباسيين - يترنح في الميدان الدولي، ويتنزع خطاه بصعوبة فوق أرخص توشك أن تكون مقبرته !

وكان لقب الرجل المريض هو الاسم الذي شهر به في طول الدنيا وعرضها . . . لأن مرضه آفة فلقة تستحق الذبوع والتذر !!

ل لكن المريض الكبير لم يسلم الروح بسهولة، فقد صرخ ألامه الداخلية والخارجية صراغ دل على تشبيه بالحياة، وقدرته على المقاومة، ولم يستسلم للموت إلا بعد مائة وخمسين سنة بدأت بعد حملة فرنسا على مصر، ثم الجزائر، وانتهت في أعقاب الحرب العالمية الأولى بعد ما اقسم الحلفاء التركية الهائلة، وبعد ما أوعزوا المكماليين أن يرموا بالخلافة في البحر . . . !!

ومع الألم الذي يستشعره المسلم لتمزق أمه، وذهب خلافته، وضياع وحدته، فلا بد من الاعتراف بالحقيقة المهينة . . وهي أن الخلافة التركية لم تكن جديرة بالبقاء لأن ناحية الدين ولا من ناحية الدنيا . .

فهي عهدها بعد الشقة بين المسلمين والإسلام بعدها رهيباً بل لقد حال الإسلام أثراً بعد عين . . .

وإذا كانت حضارته الأولى قامت على الحقائق والفضائل، فإن العالم الإسلامي أجمع في ظل السيادة التركية كانت تذرعه الخرافات والتفاهات جبنة وذهوباً بين المحظيين الهادررين

ووسعت الضفافن الفجوة بين العرب والترك، فكان ظلم هؤلاء وكانت خيانة أولئك، سر الاستعمار الذي أطبق بليله الحالك على أمم ضريرة مهيبة، حاثرة . . !!

وفي الوقت الذى كانت دولة الإسلام تحدى فيه إلى الغروب ، كانت هناك حضارة أخرى تولد في أفق عريض ، وتأخذ طريقها إلى امتلاك أزمة الأمور في أرجاء الأرض كلها ..

والحضارة الأوروبية الوارثة قادتها أول الأمر نهضة عقلية مادية ناشطة جريئة ، وقد نشب بينها وبين النصرانية خصام دام مر ١٩٠٠ ..

إلا أن رجال الكنيسة سرعان ما واعموا بين ما لديهم وبين هذه اليقظة الجديدة ففطروا منها بحق الحياة ، ثم بحق المشاركة والتوجيه ..

وهذا الأزدواج اصطحب معه الأحقاد الدينية القديمة ، فإذا السياسة الأوروبية الحديثة - برغم الجو العلمي الذي نبت فيه - تملّيها سياسات ناقمة جائرة ، تؤثر الباطل على الحق ، والجور على الإنصاف ، والتعصب على السماحة ، وتحاول بتزّع غريب أن تدين الإسلام وأمته في كل مكان !

و قبل أن نشرح تفاصيل هذا السلوك نحب أن نلفت النظر إلى أن الجو العلمي الذي نبت في الحضارة الحديثة لم يكن من صنع أوروبا ولا أمريكا.

وما كانت تربية القارئين خلال الأزمة الماضية بهذا الجو.

لقد ازدهرت الحضارة الإسلامية في القرون الهجرية الأولى ، وحمل العرب والمسلمون المشعل الحضاري في هذا الدور من أدوار التاريخ الإنساني ، فأضاء للغرب ظلمات عصوره الوسطى ! هذه حقيقة تاريخية اعترف بها الغربيون أنفسهم ، وأنقر مؤرخوهم - من أمثال ويلز ، وديورانت ، وتوبيني - بأن النهضة الحديثة في أوروبا تدين بوجودها لما تلقت من الشرق العربي الإسلامي ، الذي كان يقود البشرية على درب الحضارة في العصر الوسيط ..

يدأن البغضاء الكامنة على الإسلام أهالت التراب على اليد التي أسدتها ..

ولم تلبث إلا قليلا حتى جعلت الدول الكبرى ، تتحرك وراء هدف واحد ، هو الحيلولة دون قيام دولة إسلامية كبيرة ، وتعزيز الجراحات التي أصابت الأمة الإسلامية لعلها تنتهي بها إلى التلاشي والفناء ..

وهي ترى أنها أفلحت خلال القرنين الماضيين في تقطيع أوصال الخلافة وتمرير كرامتها في الوحـل ..

فلتمضي في الطريق نفسها !

ولتعلّم ظاهراً وباطناً على تشديد الخناق حول رقبة الإسلام وأماله في الحياة !
ولتستخدم العيلة والسلاح جمعياً في خذلان كل قضية إسلامية وتلبيب أي خصم
ضدّها .

وفي سبيل القضاء على الإسلام ، ومنع الاتجاه إليه ، أو التجمع عليه ، وضفت
أوروبا هذه النقطة الثابتة ، وجعلتها محور سياستها مع مختلف الحكومات والشعوب
الإسلامية :

١ - تمثل الخلافة الإسلامية أبوة روحية وثقافية ، وقوة اقتصادية وعسكرية
وسياسية ، وقد حرصت أوروبا على تجريد المسلمين من هذا اللواء الجامع وذلك
الرمز المهيّب ، وأوحت بهالة التراب على كل كلام في موضوعه ، حتى لا يظفر
الإسلام في حاضره أو مستقبله بنظام يلم شمل المسلمين في مختلف القرارات ويحدد
فأقلتهم وهي تسير مع الزمن !

ذلك في الوقت الذي يدعم فيه السلطان الروحي والثقافي السياسي للبابا ،
وتستقبل كلماته وكأنها وحي مصون .

ومما لا يمكن تجاهله دلالته أبداً أن بابا روما أصدر قرار حرمان ضد رئيس حكومة
الأرجنتين فقط الرجل سقط طرفاً مدوياً لم يتم منه إلى الآن ، وهو قد مضت عشرة أعوام
وهو شرييد طريد .

أما حالات الإسلام الذين هم مظنة التجميع العام لأمتهم أو التجميع المحدود ،
فدون بروزهم وثباتهم مصاعب وأهوال .. !!

٢ - واجهت السياسات الاستعمارية في قتل الأخوة الإسلامية ، ووضفت خطتها
لكى تجعل من « المواطنة » ومن « القوميات الضيقية » بدليلاً وحيداً للجامعة
الإسلامية .

وبذلك تبعثر المسلمون على نحو سبعين جنسية كل جنسية معزولة عن الأخرى ،
أو محبوسة وراء قواصل مادية وأدبية لا حصر لها ..

وعندما قامت الجامعة العربية رحباً بها على أساس أنها جزء من كل ، أو خطوة
على الطريق .

ولكن الإنجليز الذين أوزعوا بتكوينها كانوا يريدونها عروبة مقطوعة عن الدين ،
منتكرة للإسلام !

والغريب أن دعوة القومية العربية تأثرت بهذا الإيحاء الأجنبي، فكان السر الأهم وراء تجمعهم طلب الحياة وحسب، في عالم يلتهم الكبار فيه الصغار .. !
أى أن انتقام الحضرة الذى يتعرض له الضعاف هو أساس التنادى بالقومية .

وفي ذلك يقول المازنى : « لو أن هذه القومية العربية لم تكن إلا وهما لا سند له من حقائق الحياة والتاريخ لوجب أن نخلقها خلقا ! فما للألم الصغيرة أمل في حياة مأمونة ، وما بخبر مليون من الناس مثلًا ؟ ماذا يسعهم في دنيا تموح دولها بالخلق ؟ وكيف يدخل في طوقيهم أن يحموا حقيقتهم ؟ ويندو دعا عن حوضهم ؟ إن أيام دولة تناح لها الفرصة تستطيع أن تثبت عليهم ، وتأكلهم بلعهم وعظمهم ، ولكن مليون فلسطيني إذا أضيف إليهم مليونا الشام . ومتلايين مصر والعراق مثلًا يصيرون شيئاً له يأس يبقى » .

والمازنى - غفر الله له - يقول ذلك سنة ١٩٣٥ .

فكيف لو عاش ورأى العرب وحدهم أعجز من أن يوفروا الأمان لأنفسهم أمام أعداد ضخمة من الخلق تكيد لهم ، وتعمل على استئصال شأفتهم ؟
إن العرب ما يزيدون عن ١/٨ المسلمين ، وإن الجامعة الإسلامية ، ببوعاث الإيمان الواحد ، والذداء الواجب هي التي تستطيع وحدتها أن تدفع عنهم الضر .. !
ولكن الاستعمار شديد الحرث على إخفاقات صوت الإسلام في معركة البقاء العربى ذاته .. !!

٣ - وعندما أفلح الاستعمار فى تقسيم الأمة الكبرى إلى عشرات الأمم فرض على كل أمة وحدتها ما يأتى :

(أ) - أن تقصى التربية الإسلامية عن برامجها وهى تكون الأجيال الناشئة .

(ب) - أن تمحو التقاليد الإسلامية في ميدان العلاقات العامة .

(ج) - أن تقطع الصلة بين قانونها وبين الشريعة الإسلامية .

وبهذه الضمانات الفجرة اطمأن الاستعمار الغربي إلى أن الإسلام سوف يتلاشى يقيناً ، وأن بقائه في الأنفس والبيئات كما قيل :

تنخلع الآثار عن أصحابها حيناً ويذكرها الفناء فتبיע !!

وما مستقبل دين يحيا بنوه دون تربية فاضلة ، أو تقاليد عاقلة ، أو أحكام عادلة ؟ إن الفتنة الظاهرة والباطنة التي تلف أحوال الناس في هذا الانحلال الهائل لا حصر لها ولا حد لضررها ..

وذلك ما نرى أثره في كثير من البلاد الإسلامية التي تحسب نفسها متحررة لأن جيوش الاستعمار جلت عن أرضها، وهي في الحقيقة مجرورة وراء هذا الاستعمار بعيال أكثرها خفي وأقلها مكشوف !!

٤ - والاستعمار العالمي ضائق باللغة العربية ودائب على حربها، وقد أفلح في جعلها لغة ثانوية في الميدان الدولي ، لا ، بل بين أهلها أنفسهم .

وفي الوقت الذي تج lia في اللغات الميتة فتشط الصهيونية في بعث العبرية ، وتشتت الهند في تمزيق الأكفان عن لغتها البالية ، في هذا الوقت تبعد اللغة العربية عن ساحات العلم . وتصر الجامعات الحديثة عندنا على رفض التعليم بها ، وكذلك تبعد لغة التخاطب في أكثر الإذاعات عن الأسلوب العربي مؤثرة اللهجات العامية .

إنهم يحيون الموتى ونحن نحي الموتى !!

ومنذ ربع قرن كان الأزهريون يلتزمون قواعد النحو ومخارج الحروف . فما زالت بهم السخرية ، وما زال الاستهزاء بكلماتهم وعمامتهم في الشارع والمسرح ، حتى تركوا اللغة العربية وقرت عين الاستعمار .

٥ - والتاريخ الإسلامي ! إن التجهيل فيه والاستهانة به ، والإزراء عليه ، خطأ رسمت بعناية ومكر ، وذلك كي تنشأ الأجيال المحدثة وهي مقصولة روحياً وذهنياً عن آبائها الأصالة ، وقد لاحظ شوقى ذلك ، فقال :

مثل القوم نسوا تاريخهم كلقط فى الناس انسابا
او كمسغلوب على ذاكرة يشتکى من صلة الماضي انقضابا

إن الشعب الأمريكي يتصدى له ماضياً ، حتى يحس أن له جنوراً في دنيا الناس ، وهو الآن ي sist جناحيه في حماية الصهيونية والصلبية ، ليتتصق بالتاريخ العام .

أما نحن فإن الاستعمار ختلنا عن تاريخنا العريق ليفقدنا الشقة بأنفسنا ، ورسالتنا ، وما نستطيع إسداءه للحياة من حق وخير .

فهل نلين معه ؟

أيها المسلمين . . ذاك بعض ما نستطيع اليوم إثباته ، فاذكروا واحذرموا . .

اذكروا ما يریدكم عدوكم .

واحذروا أن تعينوه على أنفسكم .

* * *

هذه البقایا النجسة

عرفنا على وجه اليقين أنه عندما احتل الفرنجة أقطار الشرق الإسلامي في القرون المتأخرة كانوا يحملون معهم أحقادهم القديمة على الإسلام وأمته لم ينفع سوادها ذرة.

إلا أنهم جاءوا هذه المرة أوسع حيلة وأعظم مكرًا، واستطاعوا بطرقهم الجديدة الخبيثة أن يلتحقوا بالإسلام وأمته هزائم فاضحة وضربات مهينة ما كانوا ليقدروا عليها لو جاءوا سافرين !.

وقد تفاوتت مدة بقائهم في أراضي الأمة المغلوبة على أمرها، إذ مكثوا في بعضها عشرات السنين، وفي بعضها الآخر مئات السنين.

والبعض أنهم لما اضطروا تحت ضغوط كثيرة للجلاء عن بعض هذه البلاد لم يجلوا عنها إلا بعد أن خلفوا أجيالاً ترتو إلينهم، وتعلق بهم، وتعمل معهم ضد دينها، وتاريخها، وأمتها، ورسالتها .. .

وقد ذكرت في الموضوع السابق كيف حرص الاستعمار، في فترة حكمه المباشر أن يجرد الأمة من التربية الحافظة والتقاليد المرعية، والأحكام الرادعة، وأن يميت الإسلام في هذه الأرجاء كلها حتى ينشأ من بنين وبنات وهي إلى الحيوان أقرب منه إلى الإنسان .. .

وحتى تفقد المجتمعات الإسلامية وحدة الشعور والهدف، وتنحل من رباط العقيدة وأدب السلوك .. .

ولكي يدرك القارئ مبلغ تجاه الاستعمار الأوروبي في إدراك مازبه أنقل إليه صورة من النشاط الصحفى في القاهرة عاصمة العروبة والإسلام !!

والصورة من مجلة آخر ساعة. العدد الصادر في ٣١ / ٧ / ١٩٦٨ .

فتحت عنوان خادع « دعوة إلى الفساد » نشرت المجلة رسالة لمكاتبها في لندن يقدم فيه المراسل اللندنـى كتاباً صدر هناك (عن الجنس والمجتمع) ..

وقد قرأت خلاصة وافية لهذا الكتاب الفذر، تقدمها مجلة آخر ساعة لفرايها في معرض من البرود أو القبول، وفي إطار من الإغراء أو الدفاع .
ويتم هذا كله واليهود في بلادنا يطئونها دون محاذرة، ويضررونها دون رد ..
تحت العنوان الماكر يقول الكاتب - العربي المسلم - : «العالم على حافة فساد جنسى رهيب ، ومع ذلك فضمام الأمان ما زال في أيدينا .. .
يمكنا أن نضفط عليه قليلاً فتنفذ العالم ، وتفادي هذه الثورة الجنسية التي تهدده ..

وفي سبيل إنقاذ العالم يجب علينا أن نتنازل عن بعض القيم والمبادئ الأخلاقية والمثل العليا .. !!
وبعد ذلك ستراح نفوسنا وسنعيش حياتنا في هدوء، ولن تهددنا أى ثورات جنسية في المستقبل .

فأولاً لكي نحقق كل ذلك يجب أن نترك لبناتنا شيئاً من الحرية الجنسية، ونضع أعصابنا في ثلاثة فلا تثور ولا تنقض، أو نحاول الشأن لشرفنا إذا اكتشفنا أن الفتى ليس علراه قبل الزواج ..

شيء آخر علينا أن نفعله، إذا أردنا إنقاذ العالم من الثورة الجنسية التي تهدده ، وهو أن نترك لزوجاتنا أيضاً الحرية الكاملة بعد الزواج ، فلا نمانع ، أو نتعرض ، أو حتى نعلق بأى كلمة إذا اكتشف أحدنا أن لزوجته عشيقاً أو صديقاً .. !
ومقابل ذلك يكون من حقنا نحن الرجال أن نفعل ما نشاء علينا بعد الزواج بعد أن كنا نفعله سرا ..

فحما نفعل الزوجة يمكننا نحن أيضاً أن نفعل نفس الشيء .
يقول الكاتب الغير على دينه وشرفه وأمهه (!!).

هذه الآراء الجريئة قرأتها في كتاب صدر أخيراً في لندن بعنوان : (الجنس والمجتمع ، نظام جديد للعلاقات الجنسية) ومؤلفة الكتاب دكتورة « هيلين رايت » وهي من أشهر طبيبات النساء ، وعمرها ثمانون عاماً ، وما زالت تمارس المهنة حتى الآن .. !

إلى جانب ذلك فقد يهمك أن تعرف أنها مسيحية متدينة ، وعملت مبشرة لمدة خمس سنوات في الصين لحساب الكنيسة الإنجيلية .

وتأكد «هيلين رايت» أنها ليست إباهية ولم تفعل في حياتها شيئاً يخالف تعاليم الدين، وأنها وضعت في كتابها هذا خلاصة تجربتها في عالم النساء والطب طوال هذه السنوات التي عاشتها والتي ما تزال تعيشها.

نقول : ولعل من ندires الكاتبة وتأثرها بتعاليم الكنيسة هذه القصة التي تحكيها، فهي تروى قصة سيدة متزوجة جميلة وشابة لتؤيد نظريتها الخاصة بالسماح بالعلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج .

نقول هيلين :

ذات يوم زارتني سيدة صغيرة وكانت مضطربة أضطراباً شديداً، لأنها أصبحت غير قادرة على الاستجابة لرغبات زوجها الجنسية نتيجة للملل والمستولية.

ووجدت هذه السيدة الصغيرة صديقاً، ثم أصبحت عشيقته ! وبعد فترة شعرت براحة نفسية، وبدأت تتجاوب مع زوجها تجاوباً كاملاً . !!
في أول الأمر شعرت بالذنب، ولكن زوجها لم يعرف بهذه العلاقة، وسعد سعادة كاملة بتجاوبها معه .

وطال الحال على هذا المنوال حتى الآن، ولمدة ست سنوات ! وعلاقتها بزوجها وحبيبها في متنبي القوة والجميع يعيشون في سعادة . . !!

هكذا عرضت المجلة العربية ما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الرجال والنساء في منطق امرأة وضيعة، وإن زعمتها طيبة وراهبة !!

وفي هذا المكان غرائب شتى نقف عند كل غريبة منها لحظات . .

أولى هذه الغرائب الجملة الأولى منه ! «العالم على حافة فساد جنسي رهيب » !!
فما الواقية من هذا الفساد المحظور . وكيف ندفع شره عن العالم ؟ !؟

العلاج هو إباحة الزنا لكل امرأة تزوجت ألم لم تتزوج ، وإباحة الزنا لكل رجل تزوج ألم يتزوج . . !!

إذالم نفعل هذا وقع العالم في فساد جنسي رهيب !!

ويتساءل أولو الآليات : أى فساد يتوقع العالم بعد هذا الانطلاق الفاجر الداعر ؟ !

والجواب عند الرجال الفضلاء المشرفين على تحرير مجلة «آخر ساعة » !!

وغريبة ثانية في هذا الكلام هو وصف الكاتبة بأنها سيدة فاضلة اشتغلت مبشرة في الصين لحساب الكنيسة الإنجليزية، وأنها لا تفعل ما يخالف الدين . .

وأية التدین في سلوك هذه المرأة أنها ترحب بجريمة الزنا ترحيباً حاراً، وأنها ترضي بها في بيتها كما ترضي بها في بيوت الآخرين !

ومعنى وصف هذه المرأة بالتدین أن شرائع السماء لا ترى في الزنا عملاً فاحشاً، وأن الزنا من الجنسيين ناس صالحون !!

أو كما يقول الأستاذ يوسف الساعي رئيس التحرير في توسيع بيع الجسد الإنساني والارتفاع من المتع الحرام : « صاحب ماكينة الطحين وصاحب عربة التاكسي يتعاملان بما يملكان، ولو كانت تلك ماكينة طحين أو عربة تاكسي لتعاملت بهما مع الناس ، ولكنك يا مسكونة لا تملكون غير هذا الجسد وسيلة للتعامل » !!

هكذا يجري منطق البغاء على لسان إحدى المؤمنات في رواية « نحن لا نزرع الشوك » .

وهي رواية قذرة تتبع فصولها بانتظام في المجلة العربية الشهيرة ..

ونحن نعلم أن بعض الناس يعيش أغلب أوقاته في شبكة « المجاري » .

ويبدو أن بعض الأدباء ألف الحياة في مجاري المجتمع ومساريه السفلي .

والمدهش أنه يريد جر الآخرين إلى مستوى الخلقي .

أو أنه يريد نقل روانحة المستنة إلى ظاهر الحياة محاولاً طمس ما بنت فوقها من حدائق ، وما فاج منها من عطورة ..

كذلك يصنع كتاب الجنس في بلادنا وفي أكثر أقطار الدنيا ..

وغريبة ثالثة في المقال المنشور ، إنه « رسالة لندن إلى المجلة » .

في هذه الأيام العجاف ، والعرب جاثون على أقدامهم أمام عدوهم الألد ! وسود الهزيمة يكسو وجوه الأقربين والأبعدين ! والعالم أجمع ينظر شزاراً إلى الكثرة المسحورة أمام سلالات القردة والخنازير ! .

في هذه الأيام العجاف قد نرسل رجال صحافتنا إلى لندن ، ليدافعوا عن قضيائنا المخدولة ، أو ليحيطوا بمحاولات بني إسرائيل ، أو ليبعثوا إلينا بجديد في ميادين العلم والصناعة ، أو ليرشدوا أبناء حنسهم إلى تجربة نافعة أو كشف مفید !

لكن الرسالة التي تجده من لندن لنقرأها الناس في القاهرة المهزومة ، وليرقرأها العرب الكاسفو البال في كل مكان هي هذا اللغو الحقير ..

وغريبة رابعة : أن هذا الذي تنشره دار أخبار اليوم ، هو نفسه الذي نشرته دار الهلال

لسيمون دي بفوار، وهو الذى تدور من حوله روزاليوسف، وهو الذى تبته جريدة الأهرام عندما استقدمت جان بول سارتر وعشيقته وفرضتهما فرضا على الحياة العامة فى بلادنا ..

فما سر هذا التلاقى؟ .. «أتواصوا به بل هم قوم طاغون»^(١) ..

الواقع أن المنبع الذى استقى منه هؤلاء كلهم واحد. والوجهة التى ينطلقون إليها، ويشدون العرب معهم نحوها معروفة ..

إنها الانسلاخ الشام من الإسلام كتابا وسنة، ونبذ الماضى العربى لأمتنا، والتقليل الصغير لماديات الغرب المنحل، ول يكن ما يكون !!

وغرية خامسة، لقد قيل : إن صوت المعركة يجب أن يعلو كل شيء، وألا يزاحمه فى ضمائير الناس وأفكارهم شيء ..

فأين صوت المعركة في هذا السفة الفاشي وهذا الذهول الغالب؟

لكان هناك مؤامرة على إخفاقات هذا الصوت، وجعله أئن امرئ محضر، أو همس الضمير المهزوم في صدر مجرم آخر ..

أين صوت المعركة في هذا الهزل المغرى بالعصيان، والجرأة على الله، ونسيان الفضائل والولوع بالملذات ..

عندما انهزم المشركون في بدر، قالت امرأة أبي سفيان : لا أمس طيبا حتى أدرك ثأري من محمد.

وتملك المرأة جنون الثأر فاعافت المتع الحلال وصدت عن اللهو والتسلية. وما أرضها إلا أن تجىء في غزوة أحد لتأكل كبد حمزة بعد مقتله، تنفيسا عن حقدها لما أصاب قومها ..

أريد من رجال صحافتنا أن يكونوا كهذه المرأة في الشعور بمرارة الهزيمة وضرورة الثأر.

إنهم متبلدون عمياء لا يرون مصابينا، ولا يحسون الحسرة لمانزل بنا.

وهم الآن يقومون بعمل هائل ، هو تدويع الأمة، وبلبتها، وبعثرة أفكارها، وإضعاف أعصابها ..

(١) - الذاريات : ٥٢ .

ومن المستفيد من هذا كله ؟ الصهيونية والاستعمار !!
وغربيّة سادسة، أو حقيقة سادسة وأخيرة هي :

هل هؤلاء الكتاب مسلمون عرب ؟ لا ، فما هم عرب ولا هم مسلمون !
لقد سحب الاحتلال الأجنبي جيشه بعد أن صنع أولئك الأمساك وفق مواصفات
ترضى ضعفه على الإسلام وتملاً بالضباب حاضره ومستقبله .
انسحب تاركاً أزمة الأمور بين هذه الأيدي الشريرة لتنازل من ديننا وأمتنا ، أكثر مما
نال هو ، وتلحق بنا أشنع مما أحق هو .. !! ..
فهل تحررنا حقاً من الأنفال التي أدت ظهورنا ، وأعجزت خطونا ؟ .. اللهم ،
لا ..
حتى ينقرض هذا الصنف الملتح من عبيد الغزو الثقافي المنتشرين في كل مكان
والذى تمتلىء بهم شتى وسائل الإعلام ..

* * *

بأعث الحق على لغتنا

اهتمامى باللغة العربية ناشى عن اهتمامى بالإسلام نفسه ، وألوان الهجوم عليه ، وضروب التقصير فى خدمته ، وهذا الاهتمام قد يجعلنى أغفل البصر فى أشياء قد تبدو مستغربة لأول وهلة . أجل ، ربما عجب القارئ عندما يعلم أنى أقرأ ما يسمونه الشعر المرسل ، وأنظر اتجاهات الفكر الحديث فى كلماته الملموسة من هنا وهناك ..

ومن بين الفصائد التى استوقفتني هذه القصيدة التى نشرتها الأهرام للشاعر محمد الفيتورى ، أنقلها هنا على استحياء ، لأن تسمية هذه الأنطاط شعراً كتسمية البصل رمانا ، والطمطم جواهر ، والتغول لوزا على نحو ما يصنع الباعة الجائلون فى أزقة القاهرة !

نار خطيبانا

تسيل فى حنابانا

فلتكتى على عظام موتانا

ولنصمت الآنا .

برج كنيسة قديمة وراهب قلق

وغيمة تشد قدميها وتعبر الأفق

ورجل بلا عنق ..

وامرأة على الرصيف تنزلق

وقطة فى أسفل السلم تختنق .

وصوت ناقوس يدق

يرسم دورة على الفضاء ، ويدق .. إلخ .

ودعك من أضفاف الأحلام التي ينطلق إلى جوها هذا الكلام المفكك ..
ودعك من تقطع الروابط العقلية بين هذه الألفاظ المتصددة، فهي كما قيل:
سمك، لين، قمر هندي ..

ولكن الشيء الذي لا تدعه، والذى يثير انتباحك حتماً، هو جرائم الاستعمار
الثقافي، أو الغزو الصليبي الذى سيطر على هذا الشاعر الهائم ..
 فهو في القاهرة المدينة المعروفة بشمسها الصاحبة، وما ذناها السامة، وصبغتها
الإسلامية الأولى .

ولكن التبعية الفكرية والنفسية الغالبة على هذا الشخص الثاني، جعلته لا يرى إلا
الغيم وأبراج الكنائس والرهبان القلقين، وربين النواقيس، وكأنه في لندن أو روما لا
في مصر !!

إن هذا الإنسان مثل الآلوف من الخلق سلخهم التحرر الجديد من ماضيهم
وحاصرهم فهم يعرفون كل شيء إلا دينهم ولغتهم وقومهم .

ولست أكتب هذا الكلام نقداً للشعر المرسل، فأمره أنه من ذلك !!
ولكنني أشرح الأحوال النفسية وراء البغضاء الكامنة ضد اللغة العربية وقضائها في
شتى الميادين ..

إني فرق على مستقبل لغتنا ومتبنى للمؤامرات الخفية والمشروعات الخبيثة التي
تستهدف إماتة هذه اللغة آخرًا، بعد جعلها الآن لغة ثانوية في مجالات العلوم
والصناعات، وفي مجالات الحديث العام والخطابة الرسمية ..

والقضاء على العربية مخطط تبشيري مدروس بعناية وينفذ تزدة وإصرار، وقد بدأ
هجوماً على الحروف العربية التي تكتب بها بعض اللغات الإسلامية، فأمكن خلال
الخمسين السنة الأخيرة إماتة هذه الحروف في أندونيسيا وมาيلزيا وتزانيا ونيجيريا
وغيرها.

وذلك حتى تقطع العلاقة بالمؤلفات الدينية التي كتبها الأسلاف خلال ألف سنة.
ونجحت هذه الحركة، وثبتت الناشئة المسلمة في عشرات السنين الأخيرة، وهي
لا تحسن قراءة ما كتب الآباء، أى شبت جاهلة بدينها، متوجهة لثقافتها.

فإذا علمت أن اللغة الساحلية، ولغة الهاوسا - وهو اللغتان الشائعتان في نيجيريا
وماليزيا، هما لهجات عربية وأن أكثر الكلمات منقوطة عن لغتنا عرفت أى خسار لحق
بالإسلام من شاطئ المحيط الهادئ إلى الهندى إلى الأطلسي ..

وقد أطمع الاستعمار هذا النجاح الذى أصابه غنيمة باردة، فحاول أن يلغى الحروف العربية فى مصر نفسها، وحمل لواء هذا الارتداد عبد العزيز فهمى باشا .. رئيس محكمة النقض والإبرام، وهى أعلى هيئة قضائية فى البلاد، ولكن الله سلم فساحت الفتنة فى مهدها ..

بيد أن الاستعمار لم يتأسى من بلوغ مأربه فشرع يقص أطراف العربية بصور شتى، ويجعل النطق بها عورة !

وسخر بعض الحكماء فى الدواوين وبعض الممثليين فى المسارح، ليوصلوه إلى ما ييفى .

وإن المريض الآن ليذهب إلى طبيبه فى حى السيدة زينب مثلا، فيخرج من عنده بورقة قد كتب عليها بالإنجليزية دواذه، دواذه، وكأنه يعيش فى روسييا، أو فى جنوب إفريقيا، ولا أقول فى لندن أو واشنطن !!

وربة البيت فى بيتها وصاحب العمل فى مصنعه لا يعرفان إلا مئات وألوف الأسماء والمصطلحات الغربية، لأن العربية معزولة عزلا عن هذه الآفاق .. !

وبدھي أن قتل اللغة العربية قضاء على الإسلام نفسه، وردم للمنابع التي ينبجس منها، ويسيل فى المشارق والمغارب .. !

وقد نشطت المقاومة الإسلامية لهذا المصير الهائل، وبين يدي الآن نداء لأخ كريم من رجالات التعليم يصرخ فيه بضرورة تعريب التعليم كله ويقول:

«إنه لا توجد أمة حرة في العالم كلة تمارس العلم بلغة أجنبية.

ولو استعرضنا أمم أوروبا وأمريكا جميعها، وكذلك الأمم الحرة المستقلة في آسيا كاليابان والصين وتركيا والشعبين العربين سوريا والعراق، لما وجدنا أمة تتداول العلم بلغة غير لغتها.

فقد نقلت الأمم المختلفة العلم إلى لغاتها لتيسيره لأبنائها، ولتصير العلوم من أهم دعائم ثقافتها، ومقومات حضارتها وتاريخها، ولكن يحيا العلم في الأمة وتحيا الأمة بالعلم.

ولذلك سمي عصر نقل العلوم إلى اللغات القومية بأوروبا «عصر إحياء العلوم» كما سمي أيضا «عصر النهضة، والثورة العلمية».

ثم إن لغة الأمة هي لوازها الذى ترفعه فى مجالى الحضارة والمعرفة، فإن حرمنا

هذا اللواء من بعض العلوم كان لواءً متداعياً ضعيفاً يدل على التأخر أكثر مما يدل على الرفعة.

ولقد كان درس العلوم كلها بلغتنا العربية منذ عهد محمد على حتى جاء الاحتلال المشوم، فأصدر الإنجليز قراراً سنة ١٨٨٩ يرغمون فيه المصريين على أن يتلعلموا باللغة الإنجليزية، بدلاً من اللغة العربية.
وذلك لتحقيق أهداف استعمارية قاتلة.

منها قصر التعليم على طائفة خاصة وطبقة معينة، تدين لهم بالولاء وتتولى الوظائف الحكومية.

ومنها إضعاف الروح القومية بين المتعلمين، لأن اللغة الأجنبية التي يتعلم بها المرء، تؤثر في عقليته وتفكيره، وتوجه ولاءه توجيهها بعيداً عن أهداف أمنه، مما يمكن للاستعمار في النفوس والقلوب.

لذلك قاوم المصريون المخلصون هذا القرار الاستعماري الغاشم واستطاع رجال القانون أن يتمدوا تفاصيله في مدرسة الحقوق فظل القانون^(١) بلغتنا لم يمسهسوء.

ولما تولى سعد زغلول نظارة المعارف سنة ١٩٠٦ أصدر قراراً قومياً، يلغى القرار الاستعماري السابق، ويقضى بتعريب التعليم في جميع المراحل التعليمية.

ولكن الإنجليز حاربوا تعريب التعليم العالي بكل قواهم حتى إنهم أخرجوا سعداً من نظارة المعارف، إذ رأوه ممراً على التعريب ..

ثم استطاع الزعيم المالي طلعت حرب أن يعرب علوم المال حين أنشأ بنك مصر.

ولما جاءت حكومة الثورة ودرست هذه المسألة، واطلعت على نظم التعليم في العالم كله، لم تتمالك أن تصادر قراراً يقضى بتعريب ما تبقى من التعليم الجامعي، وبدأ تفاصيل القرار، وسار التعريب بطريقنا حتى تم تعريب مقرر عامين دراسيين، ولو ظل التعريب على هذا المنوال لتم الآن تعريب كل شيء ..

ولكن الحزب^(٢) المتعلق باللغة الإنجليزية المناوى لحركة التعريب، انتصر أخيراً فأرجع إلى لغة الإنجليز سيدادتها في الجامعة، وتم بإعاد لغتنا عن هذه الكليات، كما أبعدها الإنجليز عن التعليم بقرار سنة ١٨٨٩، وذلك رغم قرار التعريب الذي صدر،

(١) - نعم، ظل عربي اللغة، ولكنه أجنبى الموضوع.

(٢) - إن هذا الحزب ليس متخصصاً للغة الإنجليزية وحدها، إنه كاره للإسلام وما يمت إليه من قرب أو بعد

ورغم أن نقل العلم إلى لغة الأمة هو الأمر الطبيعي الفطري، الدال على تمام الاستقلال، واتكمال الحرية وسيادة الأمة سيادة حقيقة في كل شؤونها، ورغم أن بقاء العلم باللغة الأجنبية في أية أمة من الأمم دليل تبعيتها لغيرها وهو بصمة الاستعمار الباقي على جيئها.

وقد ألفت كتب ومراجع عربية في المقادير التي تم تعريبها حديثاً، فألفت كتب في الطب والهندسة والكيمياء والزراعة وغيرها، واستطاع ثلاثة أطباء من المجمع اللغوي ترجمة الموسوعة الطبية الأمريكية وهي موسوعة قيمة تقع في اثنتي عشر جزءاً. ولكن هذه الحركة العلمية التأليفية وفت الآن بوقوف التعريب في الجامعات، وهذا دون شك خسارة كبيرة تصيب الأمة في حضارتها وثقافتها، وفي كيانها العلمي والفكري.

من أجل ذلك وغيره مما لا يتسع المجال لذكره، يمكن أن تدارك الدولة هذا الأمر الخطير قبل فوات الأوان، فتكلف لجان متخصصة في كل علم بإتمام تعريبه، والتأليف فيه وترجمة كل ما يستجد من نظريات ومبادرات أولاً فاؤلاً فذلك من أهم عوامل تقديم الأمة ورقبيها.

والذين يستطيعون التعريب كثيرون، منهم:

- ١ - أساتذة الجامعات.
- ٢ - أساتذة جامعة الأزهر.
- ٣ - علماء المجمع اللغوي.

٤ - العاملون في الوزارات والمصالح كأطباء الصحة والمهندسين ورجال التربية والتعليم.

ولاشك في أن تعريب العلوم من مقومات المعركة الحالية. ومن عوامل الإعداد لها ولما بعدها، فإن ذلك هو الطريق السوى إلى توحيد المشاعر، وتمكين الولاء للقومية في النفوس، كما أنه النبيل إلى جعل العلم مفتوحاً للمجتمع، ممراً للجميع، فيستطيع أن يتفتح به العامل والمصانع والفللاح، يستفيد منه أبناء الأمة جميعهم تقدماً في عملهم وفهمها لإمكاناتهم.

كما أن هذا هو التحول الاشتراكي في العلم الذي سارت عليه كل الأمم الحرة المتقدمة.

وإلا فكيف تتحقق اشتراكيّة العلم مع بقائه في تلك الأطر الفولاذية التي فرضها علينا الاستعمار تحقيقاً لأهدافه الهدامة.

وليس تعريب العلوم صعباً ولا عسيراً، إنه ميسور للغاية، جالب لأكبر المنافع للأمة.

بل هو الوسيلة الفريدة لاستقلالها السياسي وقدرتها على أداء رسالتها العظيمة هنا وهناك.

فهل يصدر قرار حاسم كهذا الذي أصدره سعد زغلول من ستين سنة؟

* * *

قرأت هذا المنشور الذي كتبه رجل غيور على العربية والإسلام، وتبينت فكرته لأنني أبصر ما فيها من سداد، وما يتبع عنها من خير.

ولأنني أعرف أنها صيحة ستذهب سدى، مالم يدركها النصراء المخلصون ..

لكن هل سيحتفى بها سدنة القومية عندنا؟

لا .. لأنهم دعاة العامية، وحراس التبعية الفكرية والعاطفية لأوروبا بقسميها الشرقي والغربي !! ..

* * *

تفتت الحقيقة بذريعة التحول عنها

أصاب جهاز «التلفزيون» عندى عطل مبهم فلم تظهر الصورة المرفقة. ونظرت إلى الجهاز الجائع فى مكانه لا يزدلى عمله نظرة استغراب ! وتحسست بيدي فدخل إلى أنه لا ينقص شيئاً من آلاتة الجلية والخلفية ..

وأخير، جاء العامل المتخصص فى إصلاحه، واستبدل بجزء تالف منه جزءاً صالحـاً، واستأنف الجهاز عملـه، وشرع بتحقق الفائدة المرجوة منه !!
وقلت فى نفسي : إن الجهاز كله ترتفع عن أداء رسالته حتى تعاونت أجزاءه الصغار والكبار على تحقيق وظائفها المنوطـة بها !!

ولا عجب فقد توقفت الدبابة عن السير والقتال لقطعة تنقصها فى مقدمتها أو مؤخرتها ..

وقد يتعطل مصنع عن الإنتاج تكلف إنشاؤه الألوف المؤلفة من الجنبيـات لأنـه يفتقر إلى تكمـلة لا تساوى مائة جـنيـه ..

وهكذا شئون الحياة المادية والأدبية قد يصيبها عطل فادح لأنـ شطـرـها أو أغلـبـها موجودـ، وبقيـتها الأخرى مفقودـة عن خطـأ أو تعـمدـ.

ومن ثم قدرتـى أمامـكـ أشيـاءـ صالحـةـ، ولكنـهاـ قـليلـةـ الجـدوـىـ لأنـهاـ مـبـورـةـ، وماـ تـمـ قـيمـتهاـ وـتـبـرـزـ ثـمـرـتهاـ إـلاـ إـذـاـ دـارـتـ الحـيـاةـ فـيـهاـ وـفـيـماـ يـكـملـهاـ، وـعـنـدـ يـنـطـلـقـ التـيـارـ فـيـ دـاـئـرـتـهـ المـغـلـقـةـ فـيـسـطـعـ النـورـ ..

إنـ تعالـيمـ الـإـسـلـامـ كـذـلـكـ، لـاـ تـصلـحـ الـحـيـاةـ وـتـقـامـ الـمـجـتمـعـاتـ إـلاـ عـلـىـ النـحوـ الذـىـ شـرـحـناـ ..

وعـنـاصـرـ الـرـوحـىـ تـشـبـهـ عـقـافـيرـ الأـدوـيـةـ لـاـ يـتمـ الشـفـاءـ بـهـ إـلاـ إـذـاـ أـخـذـنـاـهاـ كـمـاـ جـاءـتـ.
أـمـاـ إـذـاـ طـرـحـناـ عـقـارـاـ، وـتـنـاـولـناـ آخـرـ فـلـنـ يـذـهـبـ لـنـاسـقـاـ ..

وقد وجدت أن كثيرا من علل المسلمين الفكرية والنفسية، بل عللهم الاقتصادية والسياسية ترجع إلى أنهم يجدون مع بعض النصوص وبهزلون مع بعضها الآخر، فلا يحصلون من هذا التناقض إلا ضياع النصوص كلها .. !

ولا يفيدون من النصوص التي عملوا بها - فيما يزعمون - شيئا طائفلا !

لأن وجودها المنقوص في المجتمع كوجود جهاز «التلفزيون» الذي سقت لك خبر عطله أول هذا المقال .. .

تأمل معى هذا الحكم الشرعى في فرع من فروع الفقه الإسلامي .. .

يقول الله تعالى : «إذا طلقت النساء فبلغن أجلهن فامسكونهن بمعروف أو سرحوهم بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً العتدوا .. »^(١) .

إلى هنا يمكن تقدير الحكم العملي في شأن يتصل بكيان الأسرة، وربما لا يشغل العلمن أفسفهم عند تقرير الحكم بأبعد من ذلك عند إيراد النص .. .

أفهذا ما فعل القرآن الكريم ؟ لا، لقد أعقب ذلك بخمس جمل تتضمن فتوانا من النص وتأديب والتربية يضع المجتمع إن أضاعها.

فقال جل شأنه :

(١) - « ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ». .

(٢) - « ولا تخذلوا آيات الله هزوا ». .

(٣) - « واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة بعظامكم به ». .

(٤) - « واتقوا الله ». .

(٥) - « واعلموا أن الله بكل شيء عليم ». ^(٢) .

وعندما توجد في بلادنا أحكام الطلاق ولا توجد معها نقية المعانى التي صاحبتها في هذه الآية فسوف يلعب بكتاب الله، ولن تزيد الأمة إلا خبالا .. !!

خذ مثلا آخر، لقد نهى الإسلام عن السرقة وأمر بقطع يد السارق، ييد أن هذا الحد من حدود الإسلام يكون خيرا وبركة مع إحياء أوامر الله كلها وإقامة شعب الإيمان الكثيرة التي تسد يقيننا كل ثغرة، وتنمنع أي غبن، وتطارد أفات البطالة والجوع عند البعض، وأفاث النهب والوحيف والسرف عند البعض الآخر.

. (٢) - المفردة . ٢٣١ .

(١) المفردة . ٢٣١ .

أما مع رفع كل رقابة عن طرق الالكتساب وإتاحة الشراء من شتى الوجوه الحرام ،
وإيقاع الضعاف في عقابيل البأساء والضراء ، فالأمر يحتاج إلى تبصر في التطبيق .
ومعاذ الله أن نترى في إقامة حد من حدود الله ، ولكننا نقول مقالة الحسن ، وقد
رأى الشرطة تقبض على لص فقال : سارق السر يسعى به إلى سارق العلانية . . !
وما كذلك دين الله . .

وسمعت محدثاً في الدين يذكر أنه لا حدود للمهر ، ويستشهد بقصة المرأة التي
اعتبرت عمر بن الخطاب لما أراد تقيد المهر .
والقصة صحيحة ، ولكن المحدث قليل الفقه في الإسلام ضعيف الشعور ،
بمأساة المسلمين اليوم . . !

إن الجمهرة من الشباب ألفت أن تقضي صدر عمرها ، ولا أقول شطره ، في التسول
الجنسى والانحراف الشائن ، وكل تعسير للحلال سببه حتماً تيسير الحرام .

فكيف يلقى فقيه ربه بإقرار هذه الحال ، أو إقرار ما يؤودي إليها يقيناً ؟؟

إن قصة عمر مع المرأة المعتبرة تفهم في جو كان الرجل يستطيع فيه الزواج مثل
وثلاث ورباع . . وكان الحرام فلتات نادرة أو استثناء من قاعدة عامة . .

أما اليوم فإن العرف السائد بين جماهير المسلمين في الزواج والمهر والهدايا ، لا
صلة له بتقوى الله ، ولا إشاعة الاستعفاف . ولا إقرار الطهر النفسي والطهر
الاجتماعي .

إنه عرف يقوم في جملته على رذائل الرياء ، والكبرباء ، ورغبة أسر كثيرة في
الانتقام والتعاظم . .

إن الإسلام كل لا يتجزأ ، والشبكة التي تسنج تعاليمه تفقد جدواها عندما تخرق من
جانب واحد ، فكيف إذا تعددت فيها الخروق ، وتanaxش الإهمال والتلف ؟؟
والواقع أن هجر بعض الأحكام الإسلامية ، وإن بعضها الآخر هدم لمبدأ السمع
والطاعة المأخوذ على جماعة المؤمنين .

فيإن تقسيم الوحي الإلهي على هذا النحو لا يعدو أن يكون تحكيمـاً للهوى
الشخصـي فيما ورد ، فـما أـعـجبـنـا قبلـناـهـ وما لـمـ نـسـغـهـ رـفـضـنـاهـ . .

وهذا قريب من مسلك المشركـينـ أنـفـسـهـمـ معـ رسـوـلـ اللهـ ، فـإـنـهـ لـمـ يـرـدـواـ كـلـ ماـ

جاء به، بل وافقوه على البعض، وحاربوه على البعض الآخر، ولذلك أمره الله بالشبات على الكل وقال: «فعلمك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل»^(١).

وابداع الهوى في استبقاء حكم واطراح آخر معناه أن ما استبقى ليس لأن الله أمر به!^(٢)

فقد أمر بغيره كذلك، فلماذا ترك؟

معناه أن ما استبقى ظفر بالحياة لأنه أرضي رغباتنا فقط . . .

ولو صادمها الطوحا به هو الآخر . . .

وقد نبه القرآن الكريم إلى أن فساد بنى إسرائيل نشأ مع هذا العوج فقد أخذت عليهم المواثيق بأمور سواء، فعلوا بعضها وتناسوا بعضها، لأنهم يتصرفون وفق شهواتهم، ولا يرتبطون بأمر الله ونفيه !!

فكان التعقيب الإلهي على هذا السلوك: «أَفَتُؤْمِنُونَ بِعِصْرِ الْكِتَابِ وَكُفَّارُونَ بِعِصْرِ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خَرَقَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرْدُونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ»^(٣) . . .

«الأمة الإسلامية اليوم موزعة على عشرات الدول، وأمر الإسلام في كل دولة منها يستحق الدراسة، ويعزفني أن أقول: إنني لم أره مكتمل الشكل والموضوع في قطر من أقطار الفيجة . . .

هناك مجتمعات لا تعرف بالحدود والقصاص، ومجتمعات لا تعرف بدسائير الحريات والحقوق، ومجتمعات لا تعرف بالحلال والحرام، وأخرى ترك الصلة والصيام وأخرى . . . رائح.

وأعداء الإسلام كلما رأوا جزءاً منه أصابه الشلل، سارعوا بالتدخل الماكر ليزيدوا الطين بلة، أو ليزيدوا المريض علة . . .

ونحن نصرخ بأولئك المسلمين المفترطين أن يرجعوا إلى دينهم كله، لا يدعون منه شيئاً، ولا يفترطون في جانب، ولا يأذنون لعدو سافر، ولا لصديق جاهل أن يصرفهم عن كتاب ربهم وستة نبيهم، فذاك وحده طريق الصفة والانتصار . . .

بن شعب الإيمان التي تبلغ السبعين موزعة توزيعاً دقيقاً على الدائرة الرحبة التي تمتد إليها وظيفة الإيمان وتنتشر فيها أشعته.

ولما كان الإسلام علاقة تشمل النفس والمجتمع والدولة وتتناول المعاش والمعداد في إطار من معرفة الله ورقبته فبن تعاليمه تشبه شبكة الأعصاب المنسوجة في الكيان الإنساني كله لا تخلي منها جلدة بين الرأس والقدم.

قال تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيءٍ وهدى ورحمة وبشرى لل المسلمين »^(١).

ومن الخطأ تصنيف تعاليم الإسلام على أساس فني ، وتصور أن بعضها يقوى وينمو ، في حين بعضها الآخر يذبل وينمو .

إن ذلك قد يجوز في عالم الدراسات النظرية حيث ينبع الطالب في مادة ويرسب في أخرى لأنه استوعب الأولى وأهمل الثانية .

أما في المجتمع الكبير فإن اعتلال بعض الإسلام ينقل العلة إلى البعض الآخر على عجل أو على مهل ما لم تسارع بالاستفساء والتقصي وإنفاذ أوامر الله في كل مجال .

فضعف العقيدة مثلاً ليس بترك أثره الرديء في صلة المسلم بربه بل يتعدى ذلك إلى موقف الفرد من الجماعة ، وموقف الدولة من العالم أجمع .

وترك الصلاة ليس معصية خاصة فقط بل هو ذريعة إلى انهيار الأخلاق وانتشار الآثام .

وإهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس برواية في عاطفة التدين فقط ، ولكنك أيه على موت الضمير الاجتماعي وتلاشى رسالة الأمة .

والاستعمار الحديث في حملته على الإسلام لا يقوم بهجوم شامل على كل شيء ، إنه أذكى من ذلك وأدهى .

إنه يصر على إماتة بعض التعاليم أو سرقتها من الوعي العام عالماً أن ما بقى سيتبع ما أخذ .

ترى هل سنخدع عن ديننا أم ندافع عن كل ذرة منه .

* * *

جَهَادُ الْفُرْسَارِ

كان التاريخ الإسلامي يتدرج خلال الأعصار الأخيرة لفساد الحكام، وعجز العلماء، وذوول الأمة جموعاً عن وظيفتها ورسالتها .. !

لكن تسجيل هذه الهزائم والاعتراف بتناجها لم يقع إلا منذ خمسين سنة تقريباً، فقد انسحبت الجامعة الإسلامية من الميدان العالمي بعد تنكيس رأي الخليفة، وأخذت الثقافة الإسلامية بعدها تضمحل .. .

لقد كانت هذه الثقافة زاحفة في الماضي، ثم توقفت مكانها أيام الفسف، ثم تراجعت وانكمشت أيام الهزائم، تاركة وراءها فراغاً تملأه الثقافة الأجنبية والأفكار الدخيلة .. .

وفي رسالة وجيزة عن الأدب والحياة قرأت هذه السطور :

هزمت الفكرة الإسلامية في الحرب العالمية الأولى، ثم انتهت دولة الخليفة بعد ذلك بقليل، وبرز دعاة الحضارة الأوروبية بوجوههم سافرة، ولقيت دعوتهم رواجاً، خاصة عند الشباب الذي عاش في جو الثورة المغربية بالتمرد على كل قديم، والذي وجد في بريق الحضارة الأوروبية ما ينادي شبابه إلى مراضن الهوى، فأخذ يشارك في المجتمعات المختلفة، وأقل على تعلم الرقص الغربي، ويمنع نفسه بالمشاركة في احتفال الأوروبيين بأيام الآحاد، وبرأس السنة الميلادية خصوصاً في المدن الكبيرة كالإسكندرية والقاهرة حيث كانت تحتل المجالس الأجنبية مكاناً بارزاً في الهيئة الاجتماعية، بما تملك من مصانع ومتاجر وفنادق، وبما لها من معاهد وأندية، وبما كانت تكتله لها الامتيازات الأجنبية من مزايا .. .

وتربى الناس في حمى التقليد للأجانب في كل شيء، في لباسهم وفي طريقة حياتهم وفي كلامهم وملابسهم وأصبح الرجل يخجل إن أخطأ في ذلك، ولا يخجل إن جهل أمور دينه أو جهل لغته أو عبشت الدنيا بتقاليده .. .

يقول الدكتور طه حسين بعد أن يسرد ما اقتبسه مصر من نظم الغرب في مختلف

مظاهر حياتها الحديثة - وذلك في كتابه: مستقبل الثقافة في مصر - : «وانني لأنتخيل داعياً يدعو المصريين إلى أن يعودوا إلى حياتهم القديمة التي ورثوها عن آبائهم في عهد الفراعنة، أو في عهد اليونان والرومان وفي عصرها الإسلامي، أتخيل هذا الداعي وأسأل نفسي ، أترأه يجد من يسمع له؟ فلا أرى إلا جواباً واحداً يتمثل أمامي ، بل يصدر من أعماق نفسي ، وهو أن هذا الداعي - إن وجد - لم يلق بين المصريين إلا من يسخر منه ويهزأ به ! ..

هكذا يقول الدكتور الأوروبي الثقافة والوجهة !! ..

وهو في مقالته البينة الدلالية يرى الدعوة إلى الحياة الإسلامية مدعوة إلى الهراء والسخرية ، ثم هو يضم العصر الإسلامي إلى عهود اليونان والرومان والفراغنة الأقدمين أي إلى العهود التي بادت وانقضى أجلها ولا سبيل إلى بعثتها ..

وهذا الكلام المحقور هو قرة عين الاستعمار ، وهو ما يذل الغزاة الجدد جهوداً مضنية لإشاعته ، وإقناع الجماهير به حتى لا يكون إسلام ، ولا مسلمون ..

لكن الأمة الإسلامية في المشارق والمغارب قاومت القتلة وأجراءهم !!

ومع أننا لا نزال ضعافاً في جبهات شتى ، ومع أن وساوس الجريمة لا تزال تغلي في أفتدة خصومنا ، ومع أن المخلصين لدينهم تحملوا مغامراً فادحة وهم يدفعون عنهم وعن ذلك كله فإن الواقفين بجانب الإسلام صامدون أملون .

وقد التقطوا الراية التي سقطت على الثرى من نصف قرن وهم بسبيل رفعها سياسياً وثقافياً بإذن الله .

وأولى بشائر الخير أن جمهرة المسلمين لم تزهد في دينها ، ولا أساءات الظن بأصالته وصدقه ، ولا هي خدعت بالأديان والمبادئ الأخرى فحسبتها أذكي مما لديها ، إن الأمر - في الإسلام وغيره - كما قيل :

أمامك فانظر أى نهجيك تنهج طريقان شتى، مستقيم وأعوج !!

والمعركة تزداد على الأيام حدة ، وبقدر ما يبدى المسلمون من صلابة ينمو نشاط خصومهم وتتسع دائرة هجومهم .

بل إن القوى المتناقضة تناسب ما بينهما - ولو إلى حين - ل تستطيع إصابة الإسلام في مقاتلته ، وفض الأنصار المتحمسين عنه .

وذلك يكشف عما يتعرض له المجاهدون الصادقون من متاعب وأحزان ، على أننا لن نخون الله ورسوله ما حيينا ، حتى نورث الإسلام أبناءنا كما ورثاه عن آبائنا .

بل حتى نمسح أثار الهازئم الشائنة التي لحقت به في غير ميدان ..
ولقد شكا إلى صديقه ما يلقاه العاملون للإسلام من غمط وهوان . قال: إنهم
يتجاهلون في حياتهم، وتسحب عليهم أذىالنسينان بعد مماتهم .
فمحمد فريد وجدى صاحب دائرة المعارف الإسلامية، ورئيس تحرير مجلة
الأزهر، والأستاذ محمد الخضر حسين الإمام الورع والأديب والمؤلف والشيخ
محمد عبد الله، والشيخ عبد الوهاب خلاف . و . . . و .

هؤلاء تناستهم المحاولات الرسمية، وطوت ذكراهما في الوقت الذي تفرد فيه ليالي
لتكرير ذكرى سيد دروش وزكرياً وأحمد وأبراهيم من بروزها في ميادين التسلية
واللهو والفناء والموسيقا

قلت: يا صديقي إن المجتمع الذى يزدرى أبا حنيفة ويكرم أبا نواس مجتمع تافه !
ولكن هذا المجتمع هو الذى صنعته الغزو الثقافى ليجعل الناشئة الإسلامية تشتبه
وهي مرخصة للحق مغالية للباطل ، صادة عن الإيمان عاشقة للهزل . مستهيبة برجال
المعرفة الإسلامية معظمها للأقزام أو العمالقة فى آية معرفة أخرى

وقد مات منذ فترة العلامة محمد فؤاد عبد الباقي فما شعر بماهاته أحد ولا تحدثت
عنه فى مصر صحيفة ، وهو الرجل الذى ألف المعجم المفهرس لالफاظ القرآن ،
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث - وقد طبعت منه هولندا ٤١ جزءاً - حتى وفاته ،
وال المؤذن والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، وموطاً مالك ، وعشرات من البحوث
والمقالات

وقد كف بصر الرجل الكبير وهو يخدم الثقافة الإسلامية ، فلم يأت أهل عليه
التراب فى صمت ، ومضى لا يلوى على شئ . . .

ومشيته بنفسه فى جنازة المجاهد المؤمن صالح حرب « باشا » ولو شئت أن أعد
المشيعين لجثمان الرجل الطيب لعددتهم .

إن عشرات السنين فى خدمة الإسلام نسيتها القاهرة السكرى من غير خمر ،
المشغولة بغير شيء ، الشاردة فى الحياة لا تعرف لها وجهة !!

وأسارع إلى أن العاملين لله ما يعنיהם رأى لناس فىهم ، وما يربط هممهم أن يجدوا
الإنكار والازورار ، فإن نشدهم لوجه الله وحده ، وتطلعهم إلى ثوابه الدائم هما
غرضهم الأعلى .

ولتكن آسى لما قصصت من عقوق ، لما فى ذلك من دلالة على سقوط المجتمع ،
وهبوط قيمه ، ورavage الباطل فيه ، ووحشة الحق بين أهله . . . !!

وإذا كان المجاهدون للإسلام في مجالات الثقافة يلقون هذه الجهامة، فهم في مجالات الحكم لا يستطيعون أن يضعوا قدما !!
ذلك أن العداوات العالمية الرهيبة لهذا الدين استطاعت بواسطتها الباطنة والظاهرة أن تملأ هذا الطريق بالضحايا .

ولقد تسائلت: لماذا قتل « عدنان مندريس » في تركيا ؟
فقيل لي إن الجريمة التي استحق بها الشنق محاولته الخفية أن يعود بتركيا إلى الإسلام !

وقد بدأ ذلك في إعادته الأذان باللغة العربية إلى المساجد .
إن اليوم الذي سمع فيه الآثار كلمة « الله أكبر » تشق أجواء الفضاء من ذرى المناثر كان يوماً مشهوداً، وبلغ جيشان المشاعر بالناس في السكك، أن الدموع غلبتهم، وصرخات الإيمان والاستبشار عمتهم .

فهل تدع الصليبية العالمية هذا الجرم يمر من غير عقاب ؟؟
وكذلك كان مقتل الزعيمين الإفريقيين المسلمين أحmedo بللو، وأبى بكر تفاوة ..
إن الجريمة التي استحقها بها القتل هي سيرهما بالإسلام في وسط إفريقيا سيراً حثيثاً عاقلاً متداً ..

كيف يسكت خصوم الإسلام على ذلك ؟
وقتل الرجال وعشرات آخرون في مجردة أعقبها صمت مفتعل مقصود .
ولكن الله العدل تتبع القتلة بالقصاص . ومنذ عشرين شهراً والدماء تراق بغزاره في نيجيريا .

وتحاول الكاثوليكية العالمية بتعصب وغضب أن تقسم نيجيريا قسمين ، وأن يجعل من « بيافرا » أداة لها في تنفيذ مآربها .. تلك المآرب التي بدأت بسفك الدم الإسلامي دون ماسبب ..

إتنا نشعر بأن العمل للإسلام مثار قلق وأذى .. وأن المجاهدين في سبيل الله لا يرون إلا النظر الحانق، والجو الخافق .. !!

ليكن، فلن ندع الإسلام أبداً، محتملين بالله مما نجد ونحاذر !! : « وما لنا إلا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمنا وعلى الله فليتوكل المتوكلون »^(١).

* * *

(١) - إبراهيم : ١٢ .

الذين اتخذوا دينهم عباداً ولهوا

نظرت في الطريقة التي يؤدي بها المسلمين عباداتهم فوجدت أنها متوافقة مع موقف المسلمين العام من تعاليم دينهم، ذلك الموقف المنطوي على الإهمال والإضاعة . . . أمن القريب ودع المسلمين رمضان واستقبلوا أشهر الحج فهل استفادت الأمة من صيامها وهل تستفيد من حجها ؟؟
لقد كنت أضحك ضحكتا مرا وأنا أسمع أغاني رمضان، والاستبشار بقدومه، والحزن لفراقه !!

كنت موقنا أن المغنى مفطر، وأن المغنية لم تفكر يوماً في صيام !
كنت أسمع الألحان والأنفاس وأنا استغرب كيف تحول الدين إلى طبل وزمر وصياح ومجون . . .

كنت أعرف أن شهر الصيام والقيام قد غابت عنه معانٍ الرفيعة، وتحوله الطابع المرضي إلى شهر طعام وشراب وتسال وألغاز وضجيج طويل أبعد ما يكون عن الجد والصدق . . .

وعرفت يقيناً أن المسلمين حكموا على بعض تعاليم دينهم بالموت، وحكموا على البعض الآخر بالمسخ والتشويه . . .

إن الله لما شرع العبادات شرح الحكمة المقترنة بها، والشمرة المرجوة منها .
فإذا أديت هذه العبادات تأدية عقيمة أو صورية فإن هذه التأدية لا تزيد عن الإهمال والترك إلا قليلاً . . .

إذا كانت غاية الصوم التقوى كما قال الله تعالى : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »⁽¹⁾ ثم جاء من صام ولم يستفد من طاعة التقوى المنشودة فما قيمة صومه ؟ . . .

(1) - البقرة : ١٨٣ .

وإذا كانت الصلاة طهارة للقلب ووضاءة للخلق، وانتهاء عن المناكر، ثم جاء من يصلى دون أن يتحقق في روحه أو سلوكه شيئاً من ذلك فما قيمة صلاته؟

نعم، ربما كان هذا الأداء دليلاً على خيط يربط المسلمين بدينهم على نحو ما ..
ويستطيع المربون أن يهدوا هذه العلاقة، ويتفوها من عللها.

وهذا صحيح .. وأحب أن أشير إلى أن مراصد التبشير الغربي تنشر صوراً عن المجتمعات الإسلامية في رمضان، وتثبت إحصاءات عن عدد الصائمين ونسمتهم في الأمة، وتستنتاج من ذلك كم يبقى على المسلمين لينسلخوا من دينهم نهائياً؟ كلما رأوا عدد المفطرين يزيد باطراد !!

فهل يدرك ذلك المشايخ الخربو الذمم الذين يصدرون فتاوى عاممة بالإفطار، لجماهير غفيرة من الناس، بعد أن يحرفوا الكلم عن مواضعه، وبعد أن يغمضوا عيونهم عن الملابسات المحيطة بالسؤال والسائلين؟

أعجبني عندما كنت في الكويت - خلال رمضان - أنى لم أر مجاهراً بفطر، فمن كشفت سوءته رمى به في السجون.

لبيت شعرى لماذا لم يطبق ذلك النظام في مصر؟ ولكن كم في مصر من مفاسد اجتماعية تتطلب مipseع العبراح ليشفى ويكتفى ..

وها قد خرج المسلمون من رمضان لتطالعهم أشهر الحج ..
وأغلب عشاق الحج من الفقراء الذين لا تلزمهم الفريضة، ومع ذلك يزحفون موسمه !

وجمهور القادرين الواجبين مصروف القلب عن هذا الركن الجليل.

وذلك بعض نتائج الغزو الشقى لبلاد العيلية في المشارق والمغارب ..

ومع هذا الحساب للمقبلين والمديرين فإن الموسم العظيم يبع بالآلاف المؤلفة .

وتعودنا الذاكرة إلى الماضي البعيد عندما كان الحج شعيرة حية من شعائر الإسلام الحى.

شعيرة تتقرر فيها سياسة المسلمين نحو أعدائهم، وتوجه هذا الفيضان البشري من شئ الأجناس والألوان ليمحو ويثبت من صور الحياة ما يشاء !!

في حجة مضت إبان العهد الأول، وقف على بن أبي طالب يصك آذان المعتدين

وال مجرمين بهذا الإنذار الإلهي : «واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين »^(١) .

لقد تحمل المسلمون الكثير من غدر خصومهم، وخبث مؤامراتهم، وطول تجحيم !!

وها قد آن أوان القصاص والتأديب، وانتهت عهود المطاولة والتربت : «وإذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم »^(٢) .

فهل يوجد اليوم بين الحكام المسلمين من يستغل الحشود المائحة يوم الحج الأكبر، ويلقى الخطبة نفسها التي ألقاها على بن أبي طالب ؟

إن الإسلام في خطير مقترب، ووجه مكتب ..

وكل يوم يمر تسقط من بنائه لبنة، ويضيع من أرضه قيراط، فهل يذهب الحبيب ويعودون، لتقام لهم الأحفل، وتترجي لهم التهاني، وتستند إلى أسمائهم ألقاب ! وأمر المسلمين في إدبار، وتاريخهم المعاصر يلف به إطار من العار ؟؟

أ تلك هي الغاية من فريضة الحج ؟

وذلك هو الريح الذي يحصله الحاج لدينه ولدنياه ؟

كيف هو المسلمون بشعائر دينهم إلى هذا الدرك ؟

ولحكمة عليا شاء الله أن تكون المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال في هذه المنطقة في الشرق الأوسط .

إنه في هذا الشرق درجة الديانات، وفيه تقع الأماكن المقدسة .

وفي هذا الشرق أقام الإسلام للعرب دولتهم الكبرى، وجعل منهم أمّة مرموقة بعد أن لم يكونوا في التاريخ شيئاً مذكوراً ..

لكن العرب خانوا تعاليم الإسلام عدة مرات فأصابهم من ضربات القدر، وخزي الأيام ما أصابهم !!

خانوه أول مرة في أواخر القرن الرابع الهجري عندما أوهنا أمرهم، وقطع بينهم، وتبعوا أهواءهم .

(١) - الثورة ٣٠

(٢) - الثورة ٢

ونفرقوا شيعاً فكل قبيلة

وعندئذ جاء أول فوج للصلبيين، واكتسح المقاومة الواهنة وأرخص الدماء في القدس المهزومة حتى خافت في مجريها سبات الخيل ..

وكما كانت هذه البقاع من أرض الله لا تعنى العرب وحدهم، وإنما تعنى المسلمين من كل جنس وبلد، فإن فساد العرب أصلحته الأجناس الإسلامية الأخرى !!

فتقدم الأكراد والأتراب باسم الإسلام ونشروا العرب من وهم.

ومازالوا يقاتلون الصليبيين حتى أجلوهم عن المواطن التي احتلوها، وما زالوا كذلك يجالدون التتار حتى كسروا شوكتهم.

وعاد العرب والمسلمون إلى فلسطين بعد ما طهرها الإيمان المجرد والأخلاق لله والعمل لدینه ..

وخان العرب الإسلام مرة ثانية في الأندلس، يوم غرقوا في الملاهي، وملثوا أنفواهم فخرا بعصبيتهم القبلية، ونزعوا عنهم العنصرية، ونسوا أن الإسلام محا كل هذه الدعاوى؛ وطمسوا مأثر الجاهلية، واستحيوا فيم الإيمان والفضيلة وحدها في موازين البشر.

فماذا كانت العقبي؟

لقد دخلوا بالإسلام أرض الأندلس، فلما جحدوه وتذاكروا عروبتهم ونبضت عروق الجاهلية في سيرتهم، طردوا من هذه الأرض شر طردة وأفقرت منهم معان طالما عمرت بشيئهم وشباهم.

كأن لم يكن بين الحججون إلى الصفا أنيس ولم يسمى بمكة سامر !

واليوم يعيد التاريخ نفسه، فهل نتعظ قبل أن تدور علينا رحاه فتضطختنا كما طاحت من قبلنا من المفترطين واللاهين ؟؟

إن القدس سقطت في يد اليهود .. والزحف الجديد يضمّر في طوایه السود إبادة أمة وإزالة تاريخ ..

والعرب في أوضاع الهزيمة التي وقع فيها من قبل أسلافهم المفترطون أولئك الذين انسحبوا من الأندلس، واندحروا أمام الصليبيين القدامى !!

نعم في الأوضاع نفسها ..

فرقة بين الأماء والرؤساء لا تجمع قلبا على قلب.

نهمة إلى الشهوات هبطت من الكبار إلى الصغار، وجعلت الكل يطلبون الدنيا بخس، ويركضون وراء مأربها ركض الوحش في البرية، بلا عقل ولا نقوى ..

وزاد الطين بلة بلاء جد على التاريخ العربي، لم يعرف يوما في صحائفه الأولى !!
هذا البلاء، قوم يجردونعروبة من الإسلام، ويقطعنها عن أبيها الروحى
والفكري والحضارى وال العسكري، ويريدون إفهام الأجيال الناشئة أنهم أولاد أئف
الناقة وتابط شر وأمثالهم من قادة الفكر فى عالم الأساطير !!

﴿ الا لعنة الله على الظالمين * الذين يصدون عن سبيل الله ويسعونها عوجا وهم
ب الآخرة هم كافرون ﴾^(١).

إنى أحذر العرب من هذه البلايا التي تجمعت عليهم !!

وما أرى الوقت يتسع للتلذذ في العودة إلى الله ..

ولا يزال يرن في سمعى قول صديقى المجاهد المسلم محمد على الغتيبة « إن
الشعوب التى لا تبصر بعيونها سوف تحتاج إلى هذه العيون لتبكى طويلا »

* * *

(١) - هود : ١٨ ، ١٩ .

أمانة الإسلام هي الهدف الأخير

لهم ينقض عهد النبوة الخاتمة والخلافة الراشدة حتى كانت ألوية الإسلام ترفرف على جنبات الشرق الأوسط كله، وحتى استطاعت شعوبه العانية أن تكسر أغلال الأسرى الرومانى والفارسى وتتنفس الصعداء بعد ذل طويل !!

أجل تحررت مصر والشام بعد استعباد قرون، وتحررت عن اليمن والشمال، أقطار رحبة في إفريقيا وأسيا.

واستوطن الإسلام هذه البلاد كلها بعد ما ارتسأه أهلها ودخلوا فيه أفواجا وجماهير ..

والشرق الأوسط وما حوله مجتمع القارات المعمورة، ومهد الديانات والحضارات الكبرى، ومهب رياح التغيير في العالم كله.

والآمة المهيمنة عليه تملك مفاتيح الشرق والغرب، وتقدر على فرض نفسها في كل مجال، أو على القليل أمة لا يجوز تجاهلها وإسقاط حسابها !.

فكيف إذا اعتنقت رسالة سيادة تمتد من قلب إلى قلب، وتنقل من شبر إلى شبر ؟ إن هذا الوضع يتبع لها فرصا زائعة، ويرشحها لالمكانة مرموقة ويلقى بين أصابعها بامكانات ضخمة !! ..

واباؤنا الأوائل عندما طوروا رايتها الروم والفرس، وخلفوها في هذه البقاع رسخوا أقدامهم فيها بالعدل والرحمة، وجعلوا منها منطلقا لأداء رسالتهم الكبرى فكانوا يصدرون للعالم الشرائع والمثل، والأخلاق والأفكار كما نتصدر نحن الآن النفط والقطن وأشياء أخرى !! ..

ولا ريب أن هذه المكانة الجغرافية كما تمنع الكثير تكلف الكثير وبقدر ما تعين الأصدقاء تولب الأعداء ..

ومن هنا فإن خصوم الإسلام بذلوا على مير العصور جهوداً متابعة لحرمانه من هذه الميزة، وشنوا الحروب صريحة وغادرة لنزعزة هذا الكيان وزحزحة أصحابه عنه.

وإننا لنكون على حظ كبير من العباءة إذا أضتنا أعداءنا سبّر كوننا نعيش بديتنا كما نشاء في تلك الأوطان الطيبة الغالية ..

وما العروب الصليبية في صورتها القديمة ثم في صورتها الحديثة إلا ترجمة دقيقة لرغبات خصومنا في الخلاص منا ومن ديننا ..

إنهم يودون أولاً الاستيلاء ولو على موضع قدم !! فإذا تم لهم ذلك كان المعبر الذي تتساح منه جيوشهم في أحشائنا لتجهز علينا برسالة أو بأخرى !! ..

وليس المهم أن يكون هذا الموضع مصر أو الشام أو كلٍّ لهما أو قطعة منها.

المهم هو الحصول على رأس العجس الذي يمر منه العدوان !!

وليس المهم أن يكون هذا الهجوم عسكري الطابع، فقد تكون الأساليب الأخرى أجدى وأنكى وإن طال المدى !! ..

ولأننا نستطيع هنا التأريخ للمحاولات الثقافية والاقتصادية والسياسية التي سلكها الغرب للقضاء علينا، وإنما نكتفي باختصار تلك المحاولات وأدّها وأقسّها ..

لقد قفز الأوروبيون في الأعصار الحديثة إلى مقدمة القافلة البشرية، واستغلوا خطط المسلمين وخطاياهم فنحوهم بقوّة عن مكان القيادة، وتولوا هم تلك الوظيفة !! ..

وشهدت الدنيا الأمتين العربية والإسلامية تنحدران إلى السفح بعد ما كانتا في القمة، كما شهدت الأوروبيين الذين كانوا عظماناً في القرون الأولى يتأنقون في مدنيةٍ جديدة، ويدلون بها على الآخرين !! ..

ومن السفة أن ألم يوم خصّى على مهارته وتفريطي، لقد كنا وما زلنا سبب ما ألم بنا من كوارث !! ..

وفي قيادة الأوروبيين للعالم أخذوا يضعون الخطط في آنٍ ودهاء للقضاء على خصومهم الأقدمين، وضمان بقائهم إلى آخر الدهر قادة الدنيا وسادتها !

ولكن كيف والدهر قلب ؟ وللحضارات والدول أعمار كما للأفراد ! ..

هنا شرع العقل الاستعماري الذكي يفكّر، ويقلب الأمر على وجهه، ويحتال للبلاء قبل وقوعه ..

من أين يمكن أن يجيء الخطر ، وكيف يتم تلافيه من الآن ؟؟

لقد تألفت لجنة دولية بأمر « السير هنري كامبل باترمان » رئيس الوزارة البريطانية ،

وتمثلت فيها كبريات الدول المستعمرة، واستمع أعضاؤها إلى الرئيس البريطاني وهو يقول : « إن الإمبراطوريات تتكون وتنمو وتقوم ثم تستقر حيناً من الدهر ، ثم تبدأ طريقها إلى الغروب رويداً رويداً ، ثم تلاشى وتزول . وال تاريخ مليء بهذه الأطوار والأدوار التي انتسبت على شتى الأمم والنهضات ، دون استثناء .. . »

فهناك إمبراطوريات روما وأثينا والهند والصين ، وقبلها بابل وأشور ومصر . فهل لديكم أسباب أو وسائل تجنبنا هذا المصير ، وتحول دون انهيار الاستعمار الأوروبي بعد ما بلغ ذروته اليوم ؟

لقد أصبحت أوروبا قارة قديمة ، استنفذت مواردها ، وحالت معالماً بينما الآخر لا يزال في شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية .

هذه مهمتكم أيها السادة وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وتنبغي سيطرتنا . ونحن نلحظ أن السياسي البريطاني تعمد ألا يذكر في الدول القديمة الغاربة العرب أو الترك .

كما نلحظ أنه بنوه بفرض التقدم والوثوب المتکاثرة في أرجاء العالم الآخر ، هذا العالم المحذور النهوض واليقظة !!

ترى ماذا يعني بالضبط ؟

على كل حال لقد باشرت اللجنة مهمتها بعد ما استمعت إلى توجيهات مؤلفها الكبير درست الوسائل المستطاعة لحماية الاستعمار الغربي وتوفير ضمانات البقاء الأبدى له ، ثم انتهت في تقريرها الذي صدر سنة ١٩٠٧ إلى ما يأتي :

أولاً : استبعاد أي خطر على السلطان الأوروبي من المستعمرات التي تحررت بعد ما غلب عليها البيض مثل أستراليا وكندا وجنوب إفريقيا وغيرها . . . والتقليل من خطر استقلال الهند والملايو والهند الصينية وغيرها لأن المشكلات الدينية والطائفية ستشغل هذه البلدان ، إن هي استقلت ، لأجل غير محدود .

والتشديد كذلك من خطر منع الاستقلال للمستعمرات الإفريقية أو البلدان المعاشرة في المحيطين الأطلسي والهادئ . وذلك لتطرفها وانعزالها الجغرافي .

ثانياً : وهذا الجزء المهم في التقرير - ترى اللجنة أن الخطر على الاستعمار يمكن في منطقة الشرق الأوسط ، فهذه المنطقة مهد الحضارات والديانات ويسكنها شعب

توافق له من وحدة تاريخه ولغته ومثله وأمثاله كل مقومات التجمع والترابط علاوة على ثرواته الطبيعية ونزعه أهلها إلى التحرر .

ولمواجهة هذا الخطر اقتربت اللجنة على الدول ذات المصالح المشتركة ما يأتى :
(أ) - السيطرة على البحر الأبيض لأنه الشريان الحيوي للاستعمار والقنطرة الموصلة بين الشرق والغرب ..

(ب) - استبقاء هذه المنطقة مجزأة ، وفرض التفكك المستمر على شعبيها ومنع كل محاولة لعودة هذا الشعب إلى وحدته الطبيعية ، والحلولة بأى طريقة دون أى ارتباط فكري أو روحي أو تاريخي يسودها .

(ج) - فصل الجزء الإفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الأسيوى باقامة حاجز بشري قوى وغريب يملاً الجسر البرى الواسع بين القارتين ، بحيث يشكل في هذه المنطقة وقرباً من برشلونة السويس قوة صديقة للاستعمار الأوروبي وعدوا لأهل البلاد !!

هذه هي مقررات لجنة باترمان (١) .

وظاهر أنها طوقت بالعالم كله تحسس مصادر الخطر على الاستعمار فلم تجد أمة تخشى نهضتها ، ويختلف على مستقبل الاستعمار من يقطنها ، إلا الأمة الإسلامية ، أو بطريق التحديد العرب الذين هم دماغ الإسلام وقلبه .

فوضعت أصبح الاستعمار على مكمن القلق ، وقالت له : عليك به !!
وعندى أن اللجنة الموقرة لم تأت بجديد حين استارت أحقاد العالم الصليبي على الإسلام وأمته ، إنها أكدت مشاعر كانت منتشرة مستقرة في كل مكان .

إن الجديد الذي جاءت به هو ما اقتربت عليه قومها من تبني أمانى اليهود ، والعمل على ضرب العالم الإسلامي بالصهيونية الحديثة !!
وقد استجاب الساسة الأوروبيون والأمريكيون - وبين الجميع قاسم مشترك - لهذه الدعوة .

فمهدت إنجلترا بإصدار وعد بلفور مقررة إنشاء وطن قومي لليهود .
ثم ثنت أمريكا ببسط وصايتها وحمايتها على الدولة المفتولة قاتلة : إن إسرائيل خلقت لتبقى !!

(١) من محاضرات معهد الإمامية « الاستعمار الحديث » لأستاذ عبد الفتاح أبو العضل تصرف يسبر

و ظاهر أن اليد التي تضررت يد صليبية، وأن الآلة التي استعملت في ضربنا
يهودية ..

و من العبث الكلام فيما يحرك اليد الآثمة من حقد و غضب و خسارة وعدوان ..

و إنما يجب الكلام في الطريقة التي تم بها غرس هذه الشوكة في جانبينا، والطريقة
التي تستيقى بها هذه الشوكة لتؤدي وظيفتها القذرة ..

إن المعارك العسكرية التي أدت إلى قيام إسرائيل هي أتفه ما هبّه الاستعمار لبلوغ
هدفه ..

أما ما سبق هذه المعارك ولاحقها من تدابير ثقافية، واجتماعية، واقتصادية،
وسياسية، فهو العمل الحقيقى الذى أنتج قيام إسرائيل ..

استطاع الاستعمار تقسيم العرب وحدتهم إلى نحو عشرين دولة وإمارة ..

و جعل لكل شلوا من أشلاء المنطقة المحروبة قومية خاصة وعلمها ملوكنا !! ..

ولقد سئل وزير مصرى من أربعين سنة ماذا صنع لفلسطين؟ فقال: إنه مسئول عن
مصر لا غير.

أى لاعروبة ولا إسلام !!

فهل يريد الاستعمار تمهيداً أفضل من ذلك؟ .

فلما أمكن توحيد العرب وتجميل شملهم كان الاستعمار قد سرق الإيمان من
قلوبهم وصوفوهم، فإذا هم يجتمعون دون عقيدة وغاية ..

فلا جرم أن تهزّهم أية جماعة يلمها إيمان حار !!

وتجمع الأصفار لا يتعدّ عدداً، ولا يجلب مداداً ..

إن الدين من وراء اليد المصاربة والآلة المستخدمة، فكيف يفقد المدافعون عن
أنفسهم وكيانهم؟ .

يقول الدكتور « وايزمان » في مذكراته : « ينسبون إلى فضل الحصول على تصريح
« بلفور » ولكن الحقيقة أن السبب الرئيس لفوز اليهود بتأييد بريطانيا لهم والموافقة
على إنشاء وطن قومي في فلسطين يجمع شتانهم هو إيمان الإنجليز بالعهد القديم
وتأثيرهم بتعاليمه، وأن رجالاً من أمثال بلفور وترشيل ولويド وجورج كانوا متدينين
من أعماق قلوبهم ومؤمنين بما ورد في هذا الكتاب ..

وقد نظروا إلينا عشر اليهود على أننا نمثل فكرة يعتقدونها اعتقاداً تاماً^(١) .
هذا هو تدين الساسة الذين حاربوا وهم نموذج لتدين ترومان وجونسون
وغيرهما ..

فهل آمن الساسة العرب ب المقدساتهم الإسلامية إيمان هؤلاء ب المقدساتهم اليهودية
والنصرانية؟؟؟

كلا .. كلا، بل أكثر هؤلاء ما قرأ القرآن، ولا اطلع على السنة، ولا درس تاريخ
سلفه الأول ..

إن الغرض من إنشاء إسرائيل، كما رأيت قتل دين، وتمزيق أتباع ! وإذا لم يعي
العرب قواهم المادية والأدبية على هذا الوعى فلن يزدادوا من النصر إلا بعدها ..

* * *

(١) - فارن بين تو صع هذا الذهاب من سادة إسرائيل بالعمق والتصحية، وبين كثرياء الرعماه العرب الذين
تصدرموا بلا موهبة ولا معرفة، ولا حماس لدين .

حَدِيثُ ذُو شَجْوُنْ

أفت كثيرا من الأيام التي قضيتها في السودان، وشكوت لجامعة أم درمان الإسلامية فرص اللقاء التي يسرتهاى مع طلاب المعرفة في العاصمة والأقاليم. إن السودان ينمو بقوة، وملامحه الإسلامية تتضح وتكتمل، واعتقادي أنه كفء لعمله الفراغ الديني وسط القارة التي استيقظت من رقادها، وإن كان ذلك يحتاج إلى جهود ضخمة، فإن حدود السودان المترامية تصله بشمالي دول، بعضها يعد من خمسين سنة ليكون مركز الاستعمار التبشيري، ومصدر الإزعاج والتعويذ لكل حركات التحرر في القارة !!

ولذلك فإني بقدر ما سرت لطلاع النهضة الإسلامية التي وجدتها أحسست بوادر قلق^(١) لما قد يتم陃ض عنـه المستقبل.

إن الجهات المعادية للإسلام شديدة الخبث محذورة الشر، ولابد من التيقظ لها حتى لا نلدغ وننحن غارون مسترسلون.

والسودانيون عرب أصالة، بل هم أوغل في العروبة وأدنى إلى ملامحها وشمائلها من مجتمعات عربية أخرى في إفريقيا وأسيا ..

وقد تسألني : لماذا أصدر هذا الحكم الغريب ؟

والجواب : أسلوب المعاملة بين الحاكم والمحكوم ..

رأيت شابا ينادي أحد الوزراء باسمه المجرد، وغلبتني الدهشة أول الأمر ، ولكنني كتمت ما بي حتى أعرف ما سوف يتم ، وتنفت الوزير عندما سمع اسمه، دون أن يدري عليه شيء وجرى حوار سريع في الموضوع الذي نودي من أجله .. ثم ذهب كل إلى حال سيله ..

(١) - شر هذا المقال بصحنة نوء، الإسلام، فل وقوع ثورة العسكرية سقطة شهور، كان الانباء العام الرسمى والاتجاه الشعبي إلى إدانة دستور إسلامى، ويرحى أن يطال هذا الاتجاه فالمما

ونظرت إلى صديق لي نظره تنطوي على الدهشة، فقال لي مبتسماً:
هنا يستطيع أي مواطن أن يقول للسيد إسماعيل الأزهري رئيس مجلس السيادة:
أزهري ! ماذا فعلت في موضوع كذا ؟
وسيجيبه الرئيس بما عنده دون نكر أو هجر !!

لقد زرت بلاداً عربية كثيرة، ومنذ شهرين اثنين كنت في الكويت، وهناك يستطيع
رجل الشارع أن ينادي صاحب أكبر منصب دولة بقوله، أباً فلان .. .

ويجيب أبو فلان هذا - سواء أكان وزيراً أكبر أو أصغر - يجيب داعيه بمودة
وبشر .. .

إن بقايا الإسلام لا تزال لاصقة بأفتدتهم .. .

أما في مصر فقد ألغيت الألقاب على الورق فقط ، والوبرا لمن ينادي كتاباً أو إدارياً
باسمه أو كنيته .

إن حاجته لن تقضي ، وما أحبه ينصرف سالماً .. .

إننا ألغينا الألقاب لنعيد الصحة النفسية إلى جماعات أكلها الذل والتفاوت ، لكن
العلل التي يتاذى منها الأحرار لا تزال دونها قلاع وأسوار !

والتحقت بأحد الدعاة العائدين من جنوب السودان ، وبادرته بالسؤال : كيف الحال
هناك ؟ فقال : في طريق الاستقرار وإن كان مشغولاً الفتنة لم يزولوا .. .

واستوضحته الخبر ، فعرفت أن جماعات المبشرين - وهم يعملون وفق سياسة
مرسومة - وضعت بذور شر مستطير في هذه البقاع .

إن الإنجليز في أثناء حكمهم عزلوا الجنوب عن الشمال عزلاً تاماً ، وتمكنوا
الكتائس الغربية أن تولى كل شيء في المجالين الثقافي والاجتماعي .

فلما استرد السودان حريته وجد نفسه أمام شعور طافح بالبغضاء من الجماعات
التي صننها أولئك المبشرون .

ولكن ما جبل عليه المسلمون من احترام للحرفيات الدينية جعلهم يلقون الأمر
الواقع بشيء من الرضا ، ووضعوا خطتهم على أساس تعاون شتى الأديان في مجتمع
تذوب فيه الفوارق المفتعلة .. .

غير أن المبشرين رفضوا هذه الخطة ، وأعلنوا الحرب عليها وعلى منفذيها ،

وفجروا ثورة جائرة، وقتلوا عدة آلاف من المسلمين بينهم جمهور من النساء والأطفال ..

قلت: وماذا يبغون؟ قال: إن عدد المسيحيين هناك ربما بلغ ثلاثة ألف من جملة السكان وهم نحو ثلاثة ملايين يتبعون عقائد بدائية وثنية.

ويظهر أن المشرفين على التشhir يخشون أن يتحول الوثنيون إلى الإسلام عندما يتيسر الاختلاط بين المسلمين والجنبس، ومن هنا يصبح المتنصرون قلة، ويفقدون الحديث باسم الجنوب كله.

ومع لهذه التسديدة أعلنت التمرد وكن رجال التشhir يلعنونهم أن الإسلام دين التفرقة العنصرية، وأنه هو الذي خطف إيمانهم وباعهم في أسواق النخاسة. وأنه سيوقع بهم في القدماء لآبائهم في الماضي ..

على أن العصابات المتمردة قضى عليها، وأمكن من الأداد التي تجيتها من وراء الحدود وأمكن بإشعار هؤلاء المخدوعين أن المسلمين لا يأكلون لحوم البشر كما كانوا يسمعون في عظات الأحاديث من التمرسين الأوروبيين .

قلت، وأنا أهمس إلى نفسي: الله المسئول أن يجنب السودان مؤامرات الاستعمار الحديث ..

إن هذه المؤامرات أغرتني بترك الدم، وقد قضت على زعامات إسلامية فارعة، ولا تزال جراحات التدخل الأجنبي تسيل، وهي مصممة على ضرب الإسلام في صميمه، والله وحده يعلم كيف مستقر الأمور هناك ..

والتفيت في أم درمان برجلي من زعماء المسلمين في «ماليزيا» وهششت لمرأهما وقتلت: أتعرف على أحواز إخواننا في الشرق الأقصى، فمن الشقة بيتنا وبينهم بعيدة. وكان الرجالان قد اطلعا على بعض ما أكتب فكان حرصهما على شرح الأمور لي بعض ما يطوفان البلاد الإسلامية من أجله.

واستمعت إليهما وكان الأسى ينشر ضبابه في أقطار نفسي رويداً رويداً، فلما أتما حديثهما خيم الصمت على مجلسنا وسرحنا مع خيالات قابضة ..

كنت أعلم أن المسلمين في الملايو كثرة فإذا هم اليوم قلة تبلغ ٤٥٪ من جملة السكان فكيف حدث هذا؟

يرجع ذلك إلى أمرتين مهمتين:

الأول أن الصينيين يهاجرون إلى البلاد في أعداد كبيرة، ويكتسبون الجنسية الملاوية بسرعة.

والآخر أن التنازل بين الصينيين يزداد دون عوائق، والأسرة الصينية العادمة تكون في المتوسط من خمسة عشر شخصاً.

وليس غريباً في البيئة الصينية أن يتبع الأم عشرين^(١) ولدالها !!!

والكثرة تفرض وجوديها المادي والأدبي طوعاً أو كرهاً ..

والمسلمون شرعاً ينكسمون من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية فإن التجارة تقاد تكون حكراً على الصينيين، وقد استطاع هؤلاء وفق نظام ربوى رهيب أن يشددوا الخناق على الفلاحين المسلمين، وأن يستولوا على نتاج الأرض بالشمن البخس.

وقلت لمحذني: لكن رئيس حكومكم مسلم، وأظن أنه دعا إلى مؤتمر إسلامى عالمى يعقد خلال هذه الأيام.

فقال لي في لهجة مشوبة بالمرارة: إن حكومتنا تنفذ السياسة الإنجليزية بدقة، وهي شديدة الالتزام لخطتها وجهتها.

ولعلك تعلم أن الحكومات الأوروبية متفرقة على معاداة الإسلام.

غير أن للإنجليز أسلوباً خاصاً في قتل هذا الدين يتحقق غرضهم دون ضجة .. إنهم يقطعون شرياناً حيوياً له ثم يدعونه ينزف في صمت ويموت على مهل.

أو هم يرسلون عليه غازاً مميتاً كالغاز الذي يصيب المغتسل داخل الحمام، فإذا هو يدخل في غيبة مخدرة لذينة إلى أن يقضى نحبه، كذلك يفعل الإنجليز مع الإسلام، إنهم يقتلونه بين أيدي أهله، وأهله مسحورون، وقد يبتسمون وهم يموتون !!

أما قصة المؤتمر الإسلامي الذي تتحدث عنه، فهي لا تعدو قصة تمثيلية مبنية على الإخراج سائرة مع الهدف المرسوم لا تحرف عنه قليلاً ولا كثيراً.

ما قيمة مؤتمر لا يناقش قضياباً الموت والحياة لأمتنا الكبرى، ويشغل نفسه برؤية الهلال واختلاف المطالع، كان هذه المسألة قضية المصير، مع أن أركان الإيمان وبقاء أمته في مهب الريح.

(١) - تأمل على ضوء هذا أثر الدعوة إلى تحديد التسل

إننا في ماليزيا نرى هذه المؤتمرات دعاية انتخابية يحسنها الحكماء المتسبون إلى الإسلام الخارجون على أحکامه^(١).

وطويت هذا الحديث المليء بالقصص فقد كان على أن أسافر إلى «الأبيض» لألقى بعض المحاضرات في هذه المدينة الكبيرة.

واكتشفت وانا أستمع إلى الأسئلة المعروضة على أن هناك حربا قد تألف في العاصمة وامتدت له بعض الفروع في الأقاليم يدعو إلى ترك السنة والاكتفاء بالقرآن الكريم ..

فقلت للجمهور: هل وصلتكم أنتم الآخرين هذه الدعوة؟ إنها انتشرت بينا حينا ثم تلاشت، وكنت أحسب صاحبها مجذونا، ولكنني وجدت هذا النشاط الغريب قد امتد إلى الهند شرقا، وإلى تونس غربا، وأن كتابا عديدة تحمل جرائمه، فلعلت أن مؤتمرات التبشير والاستشراق المتخصصة في إفساد الفكر الإسلامي مستخفية وراء بعض هؤلاء الأشخاص المخدوعين أو الخداعين ..

وإذا كانت هذه المحاولات السمجة تموت في أماكنها لتفاهم موضوعها، وانصراف الجميع عنها، فإن تكرار ظهورها هنا وهناك يدل على أن أعداء الإسلام لا تنتهي لهم لجاجة ..

وأنهم ما يزالون يجدون مطابيا لهم في كل بلد، فاحذروا أيها الأخوة تلك المطية الجديدة التي ظهرت في بلدكم !!

واستوقفني مني شامخ، مدید على الأرض، ذاهب في الأفق، يتوسط المدينة الكبيرة، ويرى من أغلب شوارعها.

فتساءلت: ما هذا المبني؟

فقبل لي: الكنيسة التي شادها المسيحيون أخيرا !!

فقلت في نفسي: تلك سياستهم في ربوع العالم الإسلامي كله، يبنون المعابد، لا لأداء الشعائر الدينية فقط، بل لإظهار المسيحية وكأنها الدين الغالب الذي يضع طابعه على الأرض في رسوخ واعتداد بالنفس دون أي اكتراث بمشاعر الكثرة الموجودة التي تعتنق دينا آخر.

(١) شر هذا المقال قبل انعقد المؤتمر بالفعل، ولعل مبدل - بعد - في توجيهه كان محاولة لنفع المسلمين به ..

ثم خاطبت رفيقى : إنها لا شئك تسع لجمهور كثيف من المصلين ! .. كم نسبة
المسيحيين هنا فى السكان ؟

فقال يبلغون ٢ !!

فقلت : حسنا ، لقد بنيت كما لو كان السكان ٤٠٪ لعل فى ذلك ما يخرس بعضات
التبشير التى تهم المسلمين بالتعصب .
لكن ، هل يسكنون ؟

لا أتوقع ، فإن ضعف المسلمين المزري سيسمح للأئمة الكذوب أن تفترى
عشرات التهم ، أولها العجب على الآخرين !!
ولن يجد ضعيف نصفة فى عالم يسوده منطق الغاب ونهم الذئاب .

* * *

تزوير التاريخ

للاستعمار الحديث براعة منكرة في تزوير التاريخ، وإخفاء بعض معالمه، وإبراز البعض الآخر، بعد تشويه المفاهيم، وتحريف الكلم عن مواضعه . . .
وغرقه من هذا هو خداع الأجيال الناشئة عن أصلها، ولئن زمامها عن وجهتها . . .

وكما ينتقل مجرى النهر لتتسكب مياهه في مصب آخر، أو يتذهب بددًا في أرض عمياء، ينقل مجرى التاريخ، وتحول أحدهاته وأحكامه حتى يصبح لها معنى بدل معنى، وتوجهه غير توجيه . . .

وقد تصافر المستعمرون على تمزيق التاريخ الإسلامي وتحريفه خلال الفرنسيين الآخرين ليكون في سياقه الجديد المختلق عوناً على الغزو الثقافي الواسع المنظم، وليمكن على إيحانه المصطنع صب الأمة الإسلامية الكبرى في القوالب الكثيرة التي أعدت لها . . .

وهي قوالب شكلت بعنابة ودهاء، كي تتبدل خلالها رسالة القرآن، وتتلادى في طول العالم وعرضه أمهه الواحدة . . .

وقد ساعد على نجاح هذه الخطة إلى حد ما الضعفان الخلقي والعلمي اللذان صارت إليهما الأمة أيام العثمانيين

وأبرز مظاهر هذا النجاح وجود جماعات غفيرة تعتقد أن الدين لم يكن وراء حركات المقاومة للحملات الأجنبية على البلاد . . .

أي أنه - خلال القرن الماضي - لم يكن له دور في مدافعة الاحتلال الفرنسي ثم الاحتلال الإنجليزي الطويل . . .

كانت المقاومة نابعة من بواعث أخرى مادية، أو محلية، أو عنصرية، أو أي شيء آخر . . . إلا الدين !!

وبناءً على ذلك الفهم عزل الدين مستقبلاً عن حركات التحرر، ومبادرات المقاومة . . .

ومن يدرى ؟ فقد ينموا هذا الوهم ، ويوجل في الشرود ليتهم الدين نفسه بأنه قيد على حركات الشعوب ، وأمالها في حياة أرقى وأرغد !!
ولا يطلب الاستعمار الثقافي أكثر من هذا الفضال ..

ونرى لزاما علينا أن نكشف الحقائق التي يراد طمسها ، وأن تقطع هذه السلسلة من الترهات والأباطيل التي راجت بين القاصرين والأغارار .
عندما احتل الفرنسيون مصر ، كان الإسلام وحده ، ولا شيء غيره هو الذي أشعل نار المقاومة المسلحة والمقاومة السلبية .

لقد استمات المسلمون في مناضلة الغزاة وتعويق تقدمهم ، وأرخصوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله . ولم يجبنوا أمام تفوق الفرنسيين العسكري ورجحان كفتهم في كل شيء ، ولا أمام الخيانات المفاجئة من بعض المواطنين .. !!

وقاد الأزهر حرب الدفاع المقدس ، فحكم الفرنسيون على عشرات من علمائه الشبان بالقتل ، ونفذ فيهم حكم الإعدام فرادى وجماعات .. !
كما نفذ حكم الإعدام بطريقه بشعة قدرة في سليمان الحلبي قاتل الجنرال كلير ،
ودخل الغزاة بخيлем ورجلهم صحن الأهر .. .

ولكن الثورة التي اشتغلت في القاهرة والأقاليم لم تنطفئ جذوتها ، وظلت جثث القتلى تفوح روانحها في القاهرة وحدها أكثر من ثلاثةين يوما .. .

ويقدر عدد المسلمين القتلى في مقاومة الغزو الفرنسي بنحو نصف مليون قتيل في مدن الوجهين القبلي والبحري والقاهرة .. .

ولكن الغريب المخزى أن صور هذه المقاومة الباسلة طويت طياب ، بل محبت محوا من صحائف التاريخ المدرس بين جماهير الطلاب والمثقفين .. !

وسيطر فصوص المأساة نفس يارد ميت !!
وقام جهد مزوري التاريخ على أمرین :

أولهما سحب ذيول النسيان على دور الإسلام في المعركة وإغفال تصريحات المسلمين الجسيمة وخسائرهم الفادحة في الأرواح والأموال .
الأمر الآخر - وهو ما يطيش له اللب - إبراز الحملة الفرنسية على أنها خير وبركة لمصر والمصريين !!

فأى زور هذا الزور ؟ وأى هوان هذا الهوان ؟؟

* * *

وcameت الثورة العربية في مصر، وهي من ناحية الوزن التاريخي لتراث المبادئ
تشبه الثورة الفرنسية.

إذ هي حركة تمرد على مفاسد بعض الملوك ومظلومهم، وتحرير للشعوب
المضطهدة، ورد لحقوقها المسلوبة.

والفارق بين الثورتين، أن الفرنسيين قاموا بداعم إنسانية مجردة ضد التحالف
الجائز بين النظام الملكي ورجال الدين على افتراس الجماهير وانتهاب حقها ..

أما الثورة العربية فقامت بداعم إسلامية ضد طغيان ملك مستبد، وعصبيات
جائحة، ولذلك قادها علماء الأزهر، ودعوا لها، ودافعوا عنها وحوكموا من أجلها.

بل إن أحمد عرابي كان أزهرياً يستمد ثقافته العامة وحكمه على الأمور من تعليمه
الديني ..

وقد دعم الثورة العربية الفريقان المتبayanان من علماء الأزهر.

رجال الفكر الحر وفي طليعتهم الشيخ محمد عبد ومدرسته.

ورجال التربية والتصوف وفي طليعتهم الشيخ علیش، والشيخ أبو عليان، وسائر
شيوخ الطرق

ومعنى هذا أن رجالات الإسلام على اختلاف مشاربهم كانوا ظهيراً للثورة
العسكرية الشعبية ضد مظالم الأسرة المالكة، والافتياض على الأمة ..

وأن الإسلام كان موقد هذه المقاومة العامة، وباسط أداتها، ومضرم مشاعرها.

وأن لم يستورد مبادئ من هنا أو من هناك لتتشحن قلوب المصريين الفارغة أو
تعلّمهم ما يجهلون ..

وتدخل الإنجليز لقتل الثورة في مهدها، واستطاعوا بخبثهم الاستعماري أن
يستتصروا فتوى من الخليفة التركي بأن عرابي عاص، ثائر، لا تجوز مساندته.

ولكن علماء الأزهر سارعوا فكذبوا الخليفة المضلّل، وأصدروا فتوى بأن عرابي
على حق، وأن العمل معه جهاد ..

وشاءت الأقدار أن تنهزم هذه الثورة، وأن يحتل الإنجليز مصر .. وبدأت مأساة
تروير التاريخ ..

فأهل التراب على دور الإسلام والأزهر في كفاح المظالم السياسية والاقتصادية، وأطبق الصمت على ما فعله رجال عظام - ببراعة دينية خالصة - لإنفاق الحق وإبطال الباطل ..

والغرض من هذا التأمر المرrib غمز الدين وأهله، حتى يجدوا الإسلام وكأنه مخدر للشعوب !!

وإنها الخسفة محقورة منكورة أن يجرد الشريف من فضائله، ثم تطرح عليه معابر الآخرين ..

ولكن ذلك ما وقع، فقد محبت الصبغة الدينية عن هذه الثورة وعرضت في الكتب المدرسية وغيرها مجردة من طابعها الإسلامي، كما يجرد الدم من كراته الحمراء والبيضاء، فماذا يبقى منه ؟؟

لقد أصبحت وكأنها قصة قائد ثار على الحكومة في شيلي أو كمبوديا !! وكفى ..

* * *

واستعملت نيران الثورة ضد الاحتلال الإنجليزي سنة ١٩١٩ وجاء هذا الغليان المحلي بعد أن أفلح الاستعمار العالمي في تقطيع الأمة الإسلامية الكبيرة سبعين قطعة لكل قطعة منها لواء مخطط ، وجنسية مقررة ، وتاريخ خاص !!

ولكن المسلمين حيث كانوا، أتوا أن يفهموا الوطنية على أنها عبادة التراب، أو يفهموا القومية على أنها التعصب لجنس ..

لقد واجهوا الأمر الواقع بتغييب منطق الإيمان وروح الأخوة، وأفهموا مواطنיהם من أتباع الأديان الأخرى أنهم مرعيبون الذمam محفوظون العهود والمصالح حتى لا ينخدعوا بالدس الأجنبي .

ولم تشذ ثورة سنة ١٩١٩ عن سبقاتها، فكان الأزهر وفروعه في الأقاليم حطباً الجزء، وكان الجهاد في سبيل الله حاديهما المسروع، وكان الأمل في جنة الرضوان عزاء الشباب الذي صارع الغزاوة حتى الموت ..

إن نداء الدين لم تضعفه المنسيات والملهيات التي صنعتها الاستعمار بدھاء وأناء خلال عشرات السنين .

ولعل الثورة الجزائرية التي قدمت مليونا ونصف مليون شهيد لإتمام طرد الفرنسيين من البلاد شاهد صدق على هذه الحقيقة .

فبعد مائة وثلاثين سنة بقيت جذوة الإيمان متوقدة تحت التراب، ما إن وجدت النفس الذي يضرمها، حتى التهبت نارها، واندلعت ألسنتها، واحترق الاستعمار في سعيرها . . .

ييد أن محاولات الكيد للإسلام لم تنته، وأحسبها لن تنتهي، ولعل أسوأها الآن إبراز التاريخ السابق والتاريخ اللاحق، أو القريب والبعيد، في صورة مأفوكة الملامح مزورة التقسيم توهם الناظر أنه ليس وراء حركات المقاومة الوطنية دين دافع ولا عقيدة موروثة . . !

وصحافت لا غفر الله لها تشيع هذا الكذب^(١).

ورأى أن ذلك يحدث لخدمة أعداء العرب والإسلام، فإن عزل الدين عن روح المقاومة، في الوقت الذي يمتزج الدين فيه بطلائع الهجوم ليس إلا توهينا للمدافعين وتشييطاً لهم، وحرماناً لهم من أفضى أسلحتهم . . .

وليت شعرى لماذا يقبل العالم تحمعا على أساس اليهودية يقوم بالعدوان، ويرفض تجمعا على أساس الإسلام يقوم بالدفاع ؟؟

ولماذا تشوّه الأحداث وتلتف الواقع لإخفاء الوجه الإسلامي الشجاع وهو يكافح بشرف وفاء لحماية نفسه وأرضه ؟
ولحساب من يقع هذا كله ؟

إن المستفيد من هذا المسلك النابي هو الاستعمار والصهيونية، ونحن وحدنا الخاسرون !

ويحصل بجحد الدين وإنكار أثره اختلاق التهم لأهله، أو انتهاز خطأ يقع من أحدهم ليحمل أوزاره جماعات المتدينين في كل مكان، بل ليحاسب الدين نفسه بهذا الخطأ ويحكم عليه بالإبعاد والإهمال !!

منذ أيام كنت أقرأ كلمات لشاعر معروف، شاعر اشتهر بالغزل في نعال النساء وجواربهن ومساتينهن، وفوجئت أنا أقرأ بحملة على الدين والخطباء والمنابر فتساءلت : ما هذا السخف ؟ وما سره ؟

لقد كان هذا الشاعر يشدو لجillet الخنافس، ويلهب الشهوات الهاجعة كي تنطلق لا تلوى على شيء . . .

(١) - لندنور «لوبس عوص رئيس النسخة الأولى في جريدة الأهرام» جهد عرس في هذا المحن، أحقر الزعم بأن كلمة «القاهرة» ليست عربية، بل هي هيروغليفية !

فهو وأمثاله من أسباب الكارثة التي أصابت العرب أمام اليهود !

ثم سمعناه يتألم للهزيمة النازلة ، فقلنا لعلها توبة ، وجدير بالمنحرفين أن توقيفهم
وخزات الهزيمة التكراه التي ألمت بنا . . .

ولقد صحت ضمائر شتى ، وتذاكرت ضرورة العودة إلى الدين والإبانة إلى الله بعد
الذى قع . . .

ولكن سماسته الاستعمار تحركوا على عجل ليمنعوا التعلق بالإسلام ، ويسدوا
الطرق المفتوحة إليه ، إنهم يريدون تطويل الغيبة التي وقعت فيها الأمة ، إنهم يريدون
تكثير الضباب الذى يحجب الرؤية ، إنهم يريدون بقاء الزور الذى استخفت وزراءه
الحقائق . . .

من أجل ذلك يكتب أحدهم أن الإسلام لم يصنع ثورة شعبية ، ويكتب ثان أن ضياع
الإيمان لا مدخل له في الهزيمة ، ويكتب ثالث أن الدين يكتفى بإرسال الدعاء العاجز
على الأعداء ، ويكتب رابع عن ضرورة إصلاح فوانيين الأسرة !! فهى قضية
المصير . . .

وتتنافس الأقلام العمبلة لإلقاء الجماهير ، وتعمية السيل أمام السائرين !

لا شك في أن من المتصلين بالدين ناسا لهم أغلال وسیئات .

وتأديب هؤلاء حق . . .

ولو أن الذين يضيقون بهؤلاء المنحرفين يغذبرن لله لشاركتناهم غضبهم
وعذرناهم في حكمهم . . .

لكنى رأيت من يتهم علماء الدين بطلب الدنيا ، فلما تأملت فى سيرته ، وجدته
مجنونا يحب الحياة واصطياد أطبيتها ! ووجدته يزدرى علماء الدين كما يزدرى
لصوص العمارات لصور الصاذقة ، أى أن لصا ذكيا يسخر من لص غبي !

ووجدت هذا الذى يندد بالتحريف المتدلين إذا رأى مؤمنا شريفا ذكيا نابها ضاق
به ، وعمل على هدمه ، واجتهد في إخفاق صوته وإزالة أثره . . .

لم ذلك ؟ ولحساب من ؟

إن الإجابة ليست بعيدة، إن المقصد هو النيل من الإسلام نفسه، والحفاوة بما يرخره والكراهة لما يقدمه ..

ونسأل مرة أخرى: من المستفيد من هذه الأحوال؟

والجواب الفذ الاستعمار والصهيونية فإن العودة إلى الإسلام مفتاح التغيير للموقف المستغلق في الشرق العربي كله ..

* * *

نُجُجُ الْأَعْرَارِ وَرَأْسَتِيَّةِ الْمُطْلِّ

فِي السَّهُولِ الْمُسْتَوَيَّةِ يَنْدَاهُ السَّبِيلُ حَتَّى يَلْغَى مِنْتَهَاهُ مَا يَعْتَرِضُهُ شَيْءٌ ..
وَفِي حَقولِ الْأَرْزِ وَالْقَمْحِ تَهُبُ الْرِّيَاحُ، فَتَمْلِئُ السَّيْقَانَ الْفَضْلَةَ كُلَّهَا، مَا يَنْتَصِبُ مِنْهَا
عُودٌ ..

وَبَيْنَ جَمَاهِيرِ الْدَّهْمَاءِ، يَنْتَشِرُ التَّقْلِيدُ الْخَاطِئُ أَوِ الْعَرْفُ الْسَّيِّئُ، فَمَا يَرْدِهُ ذَكَاءُ ..
أَوْ تَمْتَرِرُهُ سُلْطَانُ الْمُسْتَبِدِ وَسُطُونُ الْمَلْكِ الظَّائِشِ فَمَا يَقْعُمُهَا تَمْرِدُ ..

وَلَكِنْ هُنْكَ رِجَالًا مِنْ مَعَادِنِ فَرِيدَةٍ تَشَدُّدُ عَنْ هَذَا الْعُوْمَمِ الْمُبَيِّنِ !
فَهُمُ الْجِبَالُ الَّتِي تَرْقُفُ مَدُ السَّيْلِ، وَالْأَشْجَارُ الَّتِي لَا تَتَشَنَّى مَعَ هُبُوبِ الْعَاصِفَةِ ..
وَهُمُ الصَّاحِحُونَ بَيْنَ السَّكَارِيِّ، إِذَا شَاعَ خَطْأُ تَعْرِضُوا هُمْ لِهِ بالْنَقْدِ، إِذَا أَلْفَ
النَّاسَ مَسْلِكَ الْمَلْمَعِ يَعْجَبُهُمْ تَصْرِفُوا هُمْ مَنْفَرِدِينَ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَعْرِيِّ حِينَ قَالَ :

تَنَابَّ عُمُرٌ وَإِذْ تَثَابُ خَالِدٌ بَعْدُو فِيمَا أَعْدَتِنِي التَّؤْيَاهُ

وَإِذَا رَكِعَ النَّاسُ بَيْنَ يَدِي مَلْكٍ ظَالِمٍ، أَوْ اسْتَكَانُوا الْأَوْضَاعَ مُزَرِّيَّةً، لَمْحَتْ فِي
أَبْصَارِهِمْ بَرِيقَ الْأَنْفَةِ، وَفِي سِيرَتِهِمْ شُرْفُ الْحَرْبِيَّةِ، فَمَا يَسْتَرِيحوْنَ حَتَّى تَنْجُو الْبَلَادُ
وَالْعَبَادُ مِنْ آثارِ الْفَسَادِ، وَقِيُودِ الْعِبُودِيَّةِ.

أُولَئِكَ هُمُ الْشَّوَارُ الَّذِينَ يَعْتَزُ بِهِمُ الْإِيمَانُ، وَتَسْتَقِيمُ بِهِمُ الْحَيَاةُ.

وَإِذَا كَانَ اللَّهُ جَلَّ شَانَهُ قَدْ صَانَ الْعُمَرَانَ الْبَشَرِيَّ بِالْجِبَالِ، وَقَالَ فِي
كِتَابِهِ: « وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَّاً أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فَجَاجَا سِبْلَا لِعَلِيهِمْ
يَهْتَدُونَ »^(۱) فَقَدْ افْتَضَتْ حُكْمَتِهِ الْعُلَيَا أَنْ تَصُونَ الْمَجَمِعَ الْإِنْسَانِيَّ بِهَذَا النَّفَرِ مِنْ
حَرَاسِ الْحَقَّاقِ الرَّفِيعَةِ وَحَمَّةِ الْمَعَالِمِ الْفَاضِلَةِ ..

(۱) الْأَنْيَاءُ : ۳۱

فهم الدواء الخالد لكل ما يفسر في الدنيا من علل ، وهم الأمل الباقي لبقاء الخير في الأرض ، وإن ترافت النوب وأكثروا الآفاق .

ربما كان عشق الحق خلية فيهم فطرهم الله عليها كما قال سبحانه : « وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَهُوَ يَعْدِلُونَ »^(١) .

ولعشق الحق أعباء مرهقة ، أولها الصبر على تبليط الخاذلين ، وكيد المغوغين والمخالفين بيد أن طبيعة الثورة على الباطل لا تكترث لشئ من هنا وفي الحديث الصحيح : « لَا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لَا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة - أو حتى يأتي أمر الله - وهم على ذلك » .
وأكثر الناس يعرف الحق معرفة حسنة ، غير أنه لا يأسى لهزيمته ، ولا يأسف لضياعه !

أو لعل إحساسا من الضيق يخامر لهذلان الحق ، إلا أن هذا الإحساس يصطدم بمصالح النفس وضرورات العيش ، ومتطلبات الأولاد ، فيتراجع المرء رويدا رويدا عن هذا الشعور النبيل . ويؤثر الاستسلام على المقاومة ، والاستكانة للواقع عن تغييره وإنكاره ...

وهذا السلوك لا يتفق مع طبيعة الإيمان . ويستحيل أن تتقبله نفس ثانية لله ، مؤملة فيما عنده ...

فالغضب لله ورسوله يذهب في سورة يفيهه عما يحرض عليه الجبناء من حياة ومتاع ، ولا يرى أمامه إلا نصرة الحق ورفع لوانه ول يكن ما يكون ...

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من ولده ووالديه والناس أجمعين » .

على أن من العيب انتظار التفاني في الحق من عبيد أهواهم . وصرعى نزواتهم ، إن الأمر يحتاج إلى تربية وتبصرة حتى يكون مذاق الإيمان أحلى في فم الإنسان من كل لذة عاجلة .

وعندما يشعر أمرؤ بالسعادة لأن واسى محروم ، أو نصر ضعيفا ، أو أمن قلقا ، أو أوى هائما ، أو أحسن عرضا ، أو حقن دما ، فهو إنسان كبير ...

ومثله أهل لأن يقتدي عناصر الإيمان بالنفس والنفس !

(١) الأعراف ١٨١

والثائرون ضد الظلم والناقمون من أعنوانه رجال من ذلك المعدن الصلب،
وأندفاعهم لتقليم الأظافر الشرسة ضرب من الإصلاح العام للحياة والأحياء « ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .^(١)

حيث يكون العسف والخسيف، لابد أن يكون الإسلام ديناً ثائراً يطلب النصفة
والرحمة.

وحيث يكون الاستعلاء والاستعباد، لابد أن يكون المسلمون ثواراً ينشدون العزة
والكرامة.

وقد تكون عقبى الجهاد موتاً في غربة، أو قتلاً في معركة، والثائرون ضد الباطل
أدنى الناس إلى البلاء والمعطب ..

وماذا في هذا؟ إن ما يحذره غيرهم هو الذي ينشدون لأنفسهم !

وذلك طبيعة الثائرين، إما أن يحيوا كما يريدون، أو يموتونا كما يريدون ..
إنهم عزيزيمة تؤثر في الحياة سلباً وإيجاباً، وليسوا عربات تشد إلى جياد
الآخرين ..

ويعبّنني قول الطرامح بن حكيم، وهو يسعى إلى الغنى حتى لا يحتاج إلى فسقة
الأمراء في عهده، أو إلى عادة الخلفاء - كما سماهم:

إنى لمقتاد جحودي وقاذف به، وبنفسى، العام إحدى المقاذف !
لأكتب مالاً، أو أثول إلى غنى من الله، يكفينى عادة الخلاف

ثم اسمع إلى هذا الثائر الضارب في مناكب الأرض طلباً للعزّة يقول:

فيبار إن حانت وفاتى فلاتكن على شرجع يعلى بخصر المطارف ^(٢)
ولكن قبرى بطئ نسر، سقيله بجو السماء، فسى سور عواطف !!
وأمسى شهيداً ثاوياً في عصابة يصابون في فج من الأرض خائف !!
وال المسلمين اليوم لن ينجحوا في حرب الاستعمار إلا إذا استهروا بالموت وأحبوا
في ذات الله.

إن أولئك الرجال الكبار هم أصحاب اليد الطولى في صوغ التاريخ، وتوجيهه
أحداته.

(١) - البقرة: ٢٥١ .

(٢) - أي على نعش ملفوف بالأقمصة المطرزة .

والأفراد النابهون لا الجماهير الكثيفة هم صناع الحياة وقادة الفكر والخلق !!

فكم من أمة ظلت تغطى سباتها دهرا حتى جاء من ييقظها فثارت ..

وكم من أمة شردت عن الصراط المستقيم حتى رزقت من هداها فرشدت ..

على أن أولئك المتفاردين العباءة أنواع !

فمنهم من رمت القافلة الثانية وأبى أن يندفع معها في وجهتها، واكتفى بأن ينفضيده من أمرها، وألا يشاركها في مسيرها، وكان أبا العلاء المعري يصور نفسية هؤلاء عندما قال :

خذنى رأىي، وحسبك ذاك منى على ما فى من عوج وأمت
وماذا يتغنى الجلساء عندى؟ أرادوا منطقى وأردت صمنى؟
ويوجد بيننا أند قمى فأمموا سنتهم وأمنت سنتى

والواقع أن اعتزال المجتمع الماجن الفاجر جهد غير قليل .

ترى هل هذا هو التغيير بالقلب الذي عده الحديث الشريف أضعف الإيمان؟
ربما، ولكن الحظ أن هذا الموقف قد يكلف صاحبه تضحيات فادحة، فإن المغاضبين لله قد يطلبون الأعوان على سيرتهم بالرغبة أو الرهبة.

وربما قالوا : من ليس من فهو علينا !!

وهنا تقع محن شداد، فإن الإمام الأعظم أبا حنيفة كان مزوراً عن حكام عصره،
مكتفيا بتفقيه الجماهير في دين الله، ولكن هؤلاء رأوا ضمه إلى صفوفهم كرهاً لأن
عينه قاضيا للقضاء، ومات الإمام في السجن وهو يرفض المنصب المعروض !!

* * *

وهنالك رجال من طراز آخر، لا يدعون المنكر يمر سالماً أبداً، ويأبون إلا كشف زيفه وهدم صنته، ومقاومة الجماهير العاكفة عليه ..

وإذا كنا في مجالس المناظر، أو عند تحبير المقالات، نظن اعتراف التقاليد المستقرة أمر اسهلاً، فإن ذلك عند المعاناة العملية أمر شديد الوعورة مقلقاً الأخطر ..
إن للوثنية عباداً يأكلون من يخدشها ..

وانظر شدة غضب هؤلاء على من يعترض طريقهم في قوله تعالى : « وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصرهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون » (١).

(١) - القلم : ٥١ .

وانظر شدة تمسكهم بياطفهم وإصرارهم على ملازمته أبداً في قوله تعالى : «إذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً لهذا الذي بعث الله رسولاً إن كاد ليضلنا عن آلةتنا لولا أن صبرنا عليها»^(١)

في وجه هذا التعمق الهائل ، وفي وجه القوى الخفية ، والجالية التي تؤازره ، يعمل المصلحون لتغيير أوضاع وتبديل أحوال ، ويتعرضون لنكد الحياة وسوء المنظر في الأهل والمآل !!

وعندى أن العبادة المنتقطعة في الصوامع ضرب من البطالة ، أو هي على إحسان الفتن والتعبير من المتع المعنوية ، واللذات الروحية ، يوفر لأصحابه الجو النفسي السعيد وحسب .. !!

لكن هل يتغير وجه الحياة الدميم بهذه العبادة الخالصة ؟

هل تكمش سطوة الباطل بهذه الرهبانية المستوحشة من الخلق المتنبضة عن الدنيا ؟ كلا .. !!

إن الصلاح ترکية النفس ، والإصلاح ترکية المجتمع .

وال المسلم الحقيقي هو الذي يتعهد نفسه بالتقىوي ويقبل في الوقت نفسه على المجتمع ليؤازر الحق ويعوق الباطل ، ويحب في الله ويفض في الله ، ويكثر سواد المؤمنين ويوهن كيد الكافرين .

إن الحياد في كل معركة بين الخسنة والشرف ليس موقفاً مقبولاً . وأصحاب هذا الموقف هم إلى الكفر أقرب منهم إلى الإيمان .. !!

إن إبراهيم الخليل لما رفض الوثنية لم يسترح حتى هدم الأصنام ، وكذلك فعل خاتم الأنبياء ، وإن كان طريقه أطول وجدهه أشق !!

ومن ثم كانت رسالات الله تغيراً حقيقة للنفس والمجتمع ، وثورة لا تبرد على العوج والفساد والظلم .

كانت محوا وإثباتاً ، محوا العرف سبيلاً وإثباتاً لعرف صالح ، محوا التشريع ضال وإثباتاً لتشريع حق .. !!

إن كل هداية لا تحول من صلاح نفسى إلى إصلاح اجتماعى فهى - في باب الخبر -

(١) - القرآن - ٤١ ، ٤٢ .

كالجنين الذى سقط قبل استكمال نموه، فما قدرت له حياة ممتدة، ولا عرف له تاريخ
شرف.

وبدهى أن ينهرم الخير السلىء أمام الشر الإيجابى ..

ماذا فعل صالحونا - فى قرون الضعف - لما أثروا العبادة فى زواياهم وتركوا
لغيرهم أن يكتشف أستراليا والدنيا الجديدة وينقل إليهما عقائد وتقاليده؟

ما أفاد الدين من سيرتهم شيئا طاللا على حين ظفر بالحياة من ظفر !!

وإنى لأنظر إلى نعمة الإيمان التى تغمرنا فأجدها ثمرة قوم وثبوا بالإيمان من أرض
إلى أرض، ووضعوا طابعهم بقوة على المجتمع، فسررت صبغتهم من جيل إلى
جيل ..

على رجال الحق لا أن يبتزوا عليه فقط بل أن يصعدوه من أفق وينقلوه من
قلب إلى قلب.

فإن الباطل المتحرك على ظهر الأرض لن يوقفه إلا إيمان متحرك ناشط
مقدام ..

* * *

في ذكرى الميلاد الشريف أرمنى إلى صاحب الرسالة العظمى باعظام ودهشة
وأتساع: كيف استطاع اليتيم الفرد إعداد القوة التى فتك بالباطل المستكبر
واستخلصت من براثنه حقوقا منهوبة، وشعوبها مستباحة؟

كيف أعاد إلى الحق رونقه بعد ما تکدر ، وقيمة بعد ما ابتذلت؟

إنها السيرة المعجبة المعجزة التى أفلقت المبطلين ، وقدفت في نفوسهم الفزع
حتى ليقول هذا الرسول البطل : «نصرت بالرعب من مسيرة شهر !!
أين من هذا الأوج ، أمتنا التى استتر فى أرضها البغاث ، وبالت على آهتها
الشالب ؟؟

ما أبعد هذه الأمة عن محمد وأضلها عن طريقه !

* * *

مستقبل العلاقات بين الدين والمتدينين

تشق المذاهب المادية طريقها في الحياة بقوة، حتى ليفزن بعض المستشائمين أن الأديان في معركة انسحاب ! فإن جماهير كثيفة من البشر قطعت صلتها بالسماء، أو جمدت هذه الصلة في إطار يجعلها أقرب إلى الموت منها إلى الحياة ..

ولست مع أولئك المستشائمين في الفزع من المستقبل، ولكن الأمور إذا بقيت تسير في مجرها المشاهد، فإن الظلام المادي سيطبق على كل شيء، ويزحف على كل أفق ..

وسيكون المتدينون أنفسهم - على اختلاف معتقداتهم السماوية - هم السبب في ضياع الإيمان وفشل قضيائه .. !

إن المذاهب المادية تستغل أخطاء خصومها، وتتفنن إلى غايتها من الفجوات الكبيرة في أفكارهم ومسالكهم.

ولا يرجع شيوع الإلحاد والانحراف إلى ما فيهما من نفع عاجل، بل إلى أن المتدينين لم يحسنوا حل ما في الحياة من مشكلات !

وليتهم قنعوا بهذا القصور، لقد زاد الطين بلة أنهم جعلوا من علاقة بعضهم البعض الآخر مشكلات قاسية دائمة !

فكيف يفلحون مع هذه التناقض الغريبة ؟

ويبين يدى العالم كله مشكلة « إسرائيل » فهى دولة قامت على أساس دينى يستهدف جمع يهود العالم أجمع فى بقعة من الأرضى ليست مجهلة من المجالن ولا قفراء من القفار، ولكنها بقعة عامرة بأهلها الأصلاء الذين اطمأنوا بها، واستقرروا فيها من دهور .. .

ومع ذلك فإن الضمير الدينى لدى « الصهيونيين » استباح لنفسه تشريد هؤلاء، وتدمير حاضرهم ومستقبلهم !

والضمير الديني لدى «الاستعماريين» من أوروبيين وأمريكيين حالف زميله على
غيه، وعاونه على ارتكاب جريمته، وأمده بالسلاح ليفتك وبالمال ليقوى ويضرى !
فهل هذا الدين الأعوج أهل للحياة والبقاء ؟

أو نيس هذا العوج عنز الماديين كى يسيثوا الظن بالدين كله ويحاولوا اقتلاعه من
جذوره ؟

إنى أدين بالإسلام، وأنق ثقة مطلقة فى وجود الله وصلاحية وحى لهداية الخلق،
وقيادتهم إلى الخير والرشد ..

وأرقى الصراع القديم بين شتى الشرائع السماوية، فأشعر بالأسى والالم وأود لو
تاخت الفرص فى الحاضر أو المستقبل لتعاون مشرب بين أهل الكتاب كلهم، ترقى به
الإنسانية، وتقف فى وجه المادية العميماء والعدوان الغشوم ..!

ويذهبى أنه لا يقوم هذا التعاون إلا بعد استخفاء الأحقاد، وتلاشى نياتسوء،
وانتهاء الرغبات المجنونة فى القضاء علينا وعلى ديننا، وانقضاء هذه الجرأة
المستهجنة على حقوقنا الطبيعية فى الحياة والاستقرار.

أما مع اتفاق مجموعة قليلة أو كثيرة من الدول الصغرى والكبرى على إماتة
فلسطين وإحياء إسرائيل فهيهات أن يكون ذلك دلالة على خير، أو أمارة على سلام،
فإن المشاعر الكامنة وراء هذا الاتفاق لا تخفي علينا، والضيائى التاريخية المتنفسة
خلفه نذير شر مستطير ..

إن انتشار المادية فى الأخلاق والثقافات يرجع - كما أومأت - إلى سلوك
المتدينين أكثر مما يرجع إلى ترحيب الخاصة وال العامة بالكفر والإباحة والتحلل .

وإن أتباع موسى وعيسى ومحمد يستطيعون كتابة صفحة جديدة مضيئة فى تاريخ
العالم، لكن المداد الذى تكتب به هذه الصفحة لا يجوز أبداً أن يكون من دماء
المغضوبين وعيارات اللاجئين !

أو بتعبير أصرح لا يجوز أن يكون من دماء المسلمين !

وإذا لم يفهم الآخرون هذه الحقيقة فإن الأديان سوف تستهلك نفسها فى صراع
داخلى مشئوم، وسوف ينفتح الطريق واسعاً فسيحا أمام منازع الإلحاد والرذيلة والكفر
بالله واليوم الآخر ..

ذلك، ويخطئ كثير من الناس عندما يظن الأديان السماوية متباude الأصول
متنافة الاتجاه، فإن الله بعث أنبياءه على مر الزمان بدین واحد ..

والحقائق التي أراد تعليمها للناس في مجالات التربية النفسية والتعارف الاجتماعي متقاربة إن لم تكن متحدة ، والمرسلون على اختلاف أممهم أخوة ..

وهذه القرابة الروحية من حقها أن تجمع لا أن تفرق ، وأن توقظ مشاعر التعاون والتعاطف لا مشاعر القطيعة والخصام .

وعند التأمل في تعاليم الإسلام نجد عشرات الأدلة على صدق ما ذكرنا .

فالقرآن الكريم يؤكد أن الإسلام الذي جاء على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يتفق في أصوله وغاياته مع ما أوحى الله لأنبيائه الأقدمين .

قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصي به نوحًا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تنفرقو فيه »^(١) .

ومعنى هذه الآية واضح ، فإن العقائد الأساسية في كل الديانات التي بلغها هؤلاء المرسلون واحدة .

والديانات الباقية الآن ، والتي يتبعها جمهور كثير من الناس هي اليهودية والمسيحية والإسلام .

وأتباع هذه الأديان الثلاثة يحترمون آبا الأنبياء إبراهيم ، ويعتبرونه جذر الشجرة التي تفرعت مع امتداد العصور ، وأنبتت موسى وعيسى ومحمدًا .

وكان ينبغي أن يتفق الكل على نشر التوحيد ، وتعریف الأمم الجاهلة برب العالمين ولكنهم للأسف لم يتفقوا .

والقرآن الكريم في الآية السابقة يوصي المسلمين بأن يتعاونوا مع غيرهم على نشر هداية السماء ... أن أقيموا الدين ولا تنفرقو فيه ... » .

والواقع أنه مما يزري بالضمير الديني أن تتشب العداوة بين المتقديرين على اختلاف مللهم ، وأن تستع بينهم هوة الخلاف مع أنه جدير بهم أن يتعاملوا فيما بينهم بالود والعدل والرحمة .

والقرآن الكريم يذكر أن محمدا صلى الله عليه وسلم جاء مؤكدا لما قبله لا ناقضا له ، وليس هذا في أصول الإيمان وحدها ، بل في مكارم الأخلاق ، وفروع العبادات التي لا ينصح الدين ويتم الكمال البشري إلا بها .

(١) - الشورى : ١٣ .

خذ مثلاً هذه المجموعة من التعاليم التي وصى الله بها بنى إسرائيل على السنة أنبيائهم الكثيرين . . . «إذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذى القربى واليتمى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة واتّوا الزكاة»^(١).

إن هذه التعاليم كلها هي نفسها التي أمر الإسلام بها.

فعبادة الله وحده، والإحسان إلى الوالدين والأقارب، ورعاية الأيتام وإعانته المساكين، وإلاته القول لخلق الله كلهم، آداب لابد للمؤمن منها قال الله في كتابه : «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبندي القربي واليتمى والمساكين والعجار ذى القربي والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل»^(٢).

والصفح عن المسىء ومقابلة الشر بالخير، والقبح بالجميل وهي تعاليم أبرز ما تكون في خطبة عيسى عليه السلام وهو يعظ أتباعه في الموعظة البليلة التي جاء فيها . . . « ومن لكم على خدك الأيمن فأدر له الأيسر».

إن هذه الروح المتسامية في سماتها، المطهرة من دنس الحقد هي التي جعلت نبي الإسلام يقول : «أمرت أن أصل من قطعني ، وأن أعطى من حرمني وأن أغفر عن ظلمني».

والمفروض أن هذا اللون من السلوك العالى مقصدود به تدريب الإنسان على فعل الخير ونشadan الكمال المطلق إيشارا لما عند الله من مثوبة، وإحرار الرضاة الأعلى دون نظر إلى ما يستحقه المعتدى من قمع، أو ما تفرضه العدالة من قصاص.

لكن عندما يستشري الشر وتضيع الحقوق وتترنح الأفراد والجماعات تحت وطأة الظلم فلا بد من استعمال الشدة . . .
وال المسيحي والإسلام في ذلك سواء . . .

فعيسى صاحب الكلمات الرقيقة انساقته يقول : «ما جئت لأحمل سلاماً بل سيفاً»^(٣).

والقرآن الكريم يقول : «والذين إذا أصابهم البغي هم يتتصرون * وجزاء سبعة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين * ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل»^(٤).

(١) - الشورى : ٤١ - ٣٩ .

(٢) - البقرة : ٨٣ .

(٣) - النساء : ٣٦ .

أى لا حرج على أى مؤمن أن يقاوم المعتدى ويكسر شوكته .
والاديان الثلاثة توصى بحفظ العرض ، وضبط العلاقات الجنسية في حدود الأسرة
التي توئق بكلمة الله .

والنهاي عن الزنا أحد الوصايا العشر التي تواصى بها العهдан القديم والجديد .
والواقع أن الإسلام في سبيل صيانة الأعراض والدماء والأموال أحيا الأحكام
السماوية التي تناستها الأمم السابقة ، بل إنه لام اليهود لأنهم يريدون الخروج على
تعاليم التوراة ، وكان ينبغي أن ينفذوا حكم الله في هذه مهما كان الحكم صارما .
قال تعالى : « وكيف يحكمونك وعندكم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد
ذلك » ^(١) .

والقصة وردت في يهودي اعتدى على عرض امرأة ، وكان لابد من رجمه حسب
أحكام التوراة . ولكن اليهود تجاهلوا حكم كتابهم فأمر النبي الإسلام باحترامه ^(٢) .
وحدثت القرآن الكريم عن التوراة والإنجيل يستدعي النظر والتنويه ، فهو يقول عن
التوراة « إننا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين
هادوا » ^(٣) .

ويقول عن الإنجليل : « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مرريم مصدقا لما بين يديه من
التوراة وآتيناه الإنجليل فيه هدى ونور .. » ^(٤) .
ثم يقول الله جل شأنه عن القرآن الكريم : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما
بين يديه من الكتاب ومهمتنا عليه » ^(٥) .

ومعنى الهمينة المذكورة أن القرآن نزل بعد التوراة ب نحو ثلاثة قرنا ، وهي فترة
تطورت فيها البشرية تطورا يستدعي بعض التغيير في الشريائع الفرعية التي تحكم
العلاقات وتنظم الطوائف ، وتسير سياسة الحكم والمال وفق قواعد لا تسمح
بالغوضى والهوان والبأساء والضراء .

(١) - المائدة : ٤٣ .

(٢) - أغلب ما يأخذ بين المسلمين وأهل الكتاب الأولين أن هؤلاء لا يريدون تنفيذ ما جاء به موسى وبعيسى
على حين يتصارع المسلمون به ..

(٣) - المائدة : ٤٤ .

(٤) - المائدة : ٤٨ .

(٥) - المائدة : ٤٦ .

وذلك ما وسع الإسلام دائرة الكلام فيه، وأتي فيه بجديد، لا ينافق أصول الديانات السابقة بل يصون هذه الأصول أو لا يخدها.

وليس من أصلية الرأي أن يطلب من الإسلام الجمود مع تطور الإنسانية فإن اللباس الذي يصلح لصبي صغير لا يصلح مطلقاً لرجل كبير.

وعصرنا الحاضر يحتاج إلى أن يسير حياته الاجتماعية:

أولاً: على الإيمان بالله وحده، وهو ما توافرت به جميع الرسالات السماوية قال تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون»^(١).

ثانياً: على الإخلاص في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وهو ما شرعه الله لكل الأمم على اختلاف الأزمنة قال الله تعالى: « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حفقاء ويقيموا الصلاة ويتوفتو الزكاة »^(٢).

ومما لا شك فيه أن الصلاة شعيرة مهمة لتصفية النفس الإنسانية ووصلها بالسماء، وأن الزكاة فريضة لدعم التكافل الاجتماعي وإقرار الأخوة العامة بين البشر.

ثالثاً: حراسة الفضيلة وإشاعتها. وكره الرذيلة ومحوها جرائمها وهذه هي حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي شاعت في كل دين، وكلف بها جمهور المؤمنين.

وقد خصم عيسى عليه السلام اليهود وندد بهم لأنهم - كما عبر القرآن « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبس ما كانوا يفعلون »^(٣).

رابعاً: معاملة البشر كافة بضمير رحيم وخلق فاضل . وقد ندد القرآن الكريم بأن بعض المتدينين لا يبالى بياساءة من ليسوا على دينه، واستباحة حفهم فقال: « ومن أهل الكتاب من إن تأمهن بقطنطار بؤذه إليك ومهنم من إن تأمهن بدينار لا بؤذه إليك إلا ما دمت عليه قائماً * ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من أوفى بهم وانفق فإن الله يحب المتقين »^(٤).

خامساً: إشاعة العدالة والرحمة والسلام في الأرض ، وهذه تعاليم شاعت في الكتب السماوية كلها، وينبغي أن تنسق جهود المؤمنين لنشرها ودعمها قال تعالى مبينا السر في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم : « وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبيان

(١) الآية ٢٥.

(٢) الآية ٥.

(٣) المتندة ٧٩.

(٤) إن عمران ٧٥، ٧٦.

لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴿١﴾ وقال : « ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لنزو مغفرة ذو عقاب أليم ﴿٢﴾ .

ومن الحمق الرزعم بأن الأديان نسخ متعددة من كتاب واحد، وأننا بغي ب لهذا الاستعراض نفي ما بينها من فروق أو جمع أتباعها على وحدة فكرية ومذهبية مطلقة . . .

إن ذلك مستحبيل بداعه، ولكننا نشدد إبراز العوامل المشتركة التي تقارب ولا تباعد، وترجع السلام على الخصام والألفة على الوحشة، وتفسح مجالاً للتعاون على البر والتقوى !

إنه مع ضيق الخلق، وفساد الطوية وتفاهة التفكير - يمكن أن يتقابل أبناء الدين الواحد، وتشعب بهم عشرات السبل فلا يلتقطون أبداً . . .

ومع سعة الخلق، وشرف النفس، وسلامة الرأي، يمكن أن يتعاون أشياع رسالات مختلفة، ويقدمون للإنسانية خيراً كثيراً، معبقاء كل طرف منهم مستمسكاً بدينه حريصاً على تعاليمه . . .

وأحب أن أفت النظر إلى نوع منكور من التلاقي الواقع في بعض المجتمعات ! هناك تلاقٍ بين أناسٍ ينتسّون بالاسم فقط إلى عقائدهم، فتراهم منتحلين عن أديانهم موضوعاً وإن انتما إليها شكلاً، وما جمعتهم إلا الشهوات والمارب الدنيا. هذا التجمع لا يدل على سماحة، ولا يصح الاستشهاد به على انتهاء التعصب الديني !!

إنه شارة انحلال ديني عام، وليس شارة تعاون مشكور. الذي أبغى أن يوفى كل ذي دين بحقوق دينه، فلا ينسى ربه ولا لقاه ولا الرحمة بعباده، وينظر إلى مخالفيه نظرة لا حقد فيها ولا تبرم ولا حيف ولا جفاء !! بل نظرة تقوم على البر والعدالة والإحسان . . .

وعندى أنه مما يعين على ذلك في الظروف العالمية القائمة أن يجتمع مؤتمر مسكونى مسيحي آخر ، فيعطيه على عرب فلسطين فى محنتهـم، ويسمحـو أثر المؤتمـر المسكونـى السابـق الذى أبدـى عاطـفة مستـغـبة نحو اليـهـودـ فى فـترة يـهـجمـونـ فيهاـ عـلـىـ بـلـادـنـاـ وـيـزـعـمـونـ أـلـىـ بـهـاـ مـتـ،ـ وـيـرـيدـونـ بـنـاءـ وـطـنـ لـهـمـ عـلـىـ أـنـقـاضـنـاـ . . .

(٢). فصل . ٤٣

(١). الحل . ٦٤

إن ذلك - لو تم - سيكون بداية إغلاق الطريق أمام المادية الزاحفة على كل شيء،
المستهينة بكل قيمة، المحترقة لرسالات السماء على سواء.

أما إذا بقى الاستعمار يجرر وراءه أحفاد العصور الخالية، ويجرى اليهود على
احتلال أرضنا واغتصاب حقولنا، فإن النار التي أشعلها متجرقه قبل غيره، وسيندم حين
لا مكان لندم ..

إنتي باسم الإسلام أعرض سلاماً شريفاً فهل يقبل هذا العرض أم يرفض؟
وأعرف أننا في فترة من تاريخنا لا نحسد عليها ..

ولتكننا بعون الله سوف نجتازها، وسوف نحاسب من أuhan على قتلنا، ومن تركنا
تحفظ بحق الحياة ..

إنتا لا نطلب من مؤتمر مسكوني جديد أن يسد إلينا يداً، بل أن يكف عنا الأذى،
ويمنع عدوان أتباع حاقدين ..

أما الإيمان إلى بعض الطوائف الجاحدة أن تعرقل الكفاح العربي وأن تضر布
المكافحة الفلسطينية فتلك قبيحة ينمو مع الزمن عارها ولن تنسى لأصحابها ..

فهل نجد سميعاً لهذا النداء؟؟

* * *

التبشير الأمريكي يضغط على إندونيسيا

كان تصورى لمستقبل العلاقة بين الإسلام والمسيحية واضحاً، قريباً، ميسور القبول والتنفيذ. يخضع لقاعدة عادلة محترمة : أن نتعاون على ما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه .

ولم أتصيد هذه القاعدة من أفق بعيد.

فإن الإسلام الذى آثره وأحبته ، يقبل قيام الزوجية بين رجل مسلم وامرأة من أهل الكتاب ، يرعاها ، ويحنو عليها ، وتشأّ ينهمعاً عواطف الود والرحمة ، معبقاء كل منها على دينه !

فكيف بعد ذلك تضيق أرض الله الواسعة بتجاوز دينين ، واتلاف فريقين !

لكن هذه المشاعر التى نبعث من سماحة الإسلام لم تلق التجاوب المرتقب !

فإن الطرف الآخر - خصوصاً الأوروبيين والأمريكيين - كان سوداوي المزاج ، جياش الأحفاد ، لا يكن للإسلام وأتباعه قبولاً ولا سلاماً .. !

وعندما واتته القوة ليغزو أراضى المستضعفين وضع السيف موضع الندى ، ولم توافه فرصة للإجهاز على الأمة الجريح إلا اهتبلاها !

وتاريخ الاستعمار الغربى يقطر بالدم الحرام . ويؤلف صفحات متخمة بالفساد والقوضى .

وقد أحس كثير من العقلاه أن هذا الاستعمار استغل المسيحية أسوأ استغلال ، وأنه فى سبيل نزواته الجائرة لم يتق الله ، ولم يرع حتى بقايا الوحى الذى يتمنى إليها ..

وقد ظهر ذلك فى العلاقات الداخلية بين المسيحيين الغربيين أنفسهم ، فإن الكاثوليك افترسوا البروتستانت حينما كانوا ، وسجلت الحروب الدينية مأسى تقشعر منها الجلود .

كما بدا أن التفرقة العنصرية تفرض نفسها باسم الدين ، وتقسم أبناء آدم قسمة فاجرة تجعل الضعفة قرين أحدهما أبداً ، وإن تساوى مع أخيه في الوطن والدين !

فإذا كان ذلك مسلك القوم بيازء بعض منهم فماذا يتوقع من مسلكيهم بإذانتنا؟

هل تتوقع إلا العداوة الضاربة والخصومة القاسية؟

أقول ذلك ما انتهيت من مطالعة نداء حزين وجهه مسلمو أندونيسيا إلى إخوانهم في أرجاء العالم كله..

إنهم يشكرون من تحالف تم بين الكنائس الكاثوليكية والكنائس البروتستانتية يستهدف تنصير المسلمين بالدس والرشوة والختل..

وهذا التحالف يعتمد على سيل لا ينفد من المال الأمريكي، والدعائية الخادعة.

وقد مهد لهذا الهجوم الصليبي الجديد أندونيسيا ظلت أكثر من ثلاثة قرون ترزح تحت وطأة الاستعمار الهولندي المتعصب الجائع.

وهو استعمار استنزف مواردها، وعرق عظمها، وبث المسبحة في شرقها وغرتها فإذا جاء الأمريكان في أعقاب هذا الليل ففتحوا الملاجي للأطفال، والمستشفيات للمرضى، والمدارس لطلاب العلم، واستعانتوا بهذه الوسائل على زلزلة الإسلام ومحو عقائده فقد يصلون إلى شيء من النجاح..

بل لقد أعلنا أنهم أقلعوا في تنصير الألوف من أبناء المسلمين^(١)!

وكان الإسلام - في استفاقته من الاستعمار الهولندي - قد بلى بزحف آخر تکأ حرائه، وزاد ضراءه، وهو الزحف التمازنكي الذي يستأصل الإيمان كله.

وقاوم المسلمون المتعبدون الضربات التي تنهال عليهم من هنا ومن هناك، ولا يزالون يدافعون عن دينهم وكيانهم ويوهمون وغذهم..

ولكن التبشير الأمريكي الغادر ماض في طريق الهجوم وكأنما ظن أن الأمور قد تمهدت له، وأنه واصل حتما إلى القضاء على الإسلام والمسلمين.

وهذه الرغبة المجونة في الإتيان على دين ضخم، له أتباع يفتدونه بالنفس والمال جعلت مسلمي أندونيسيا يتندون لوقف الخطير الداهم، وتتبئه المسلمين في كل مكان إلى مصدره الأثم..

وعندما درستنا الأحوال في أندونيسيا، وتبعدنا مراحل هذا العراق الناشب وجدنا أن الجنرال «سوهارتو» رئيس الدولة قد تدخل في الموضوع ليقى البلاد شره.

(١) يظهر أن الدفين اعتنقوا التنصيرية بهذه نسب تبع عدة ملابس، وأن «المحة التي وقع فيها لأندونيسيون أشد مما يوصف!»

و «سوهارتو» رجل مسلم، يرأس دولة تعداد المسلمين فيها قريب من مائة مليون.

ولكنه لم يتدخل في القضية بهذه الصفة !!

لقد تدخل مفترحا عقد مؤتمر للأديان يحول دون وقوع نكبة قومية عامة ! وأهاب بالجبيهات المشتبكة في الخلاف أن تنهي التوتر بإصدار بيان أو ميثاق يرضيه زعماء الأطراف !

وقال : إن الحكومة مهتمة بخطورة الموقف الناشئ عن رغبة الكاثوليك والبروتستانت في التوسيع على حساب غيرهم ، وأنه يجب على كل فريق أن يتسامح مع الآخر ، وألا يستهدف المعتقدون لدين ما ، تحويل أتباع دين آخر إليهم . . . وقد رفض زعماء النصارى بعد انعقاد المؤتمر أن يقبلوا التفاهم مع المسلمين ، وأعلنوا أنهم لن يكفوا عن التبشير .

والواقع أن روح التحدى والاستهانة كانت مسيطرة عليهم ، بل إن الوئام الذي نشر ضلاله بين المسلمين والمسيحيين في بعض أقطار إندونيسيا كان يغطي قادة الهجوم الصليبي الجديد ، وذلك ما يستشفه القارئ من كتبهم الذانعة .

ففي كتاب «تبشيرنا في إندونيسيا اليوم » تأليف الدكتور « و . ب . سيجابات » تقرأ في صفحة ٨٥ هذه العبارة « طالما تعمت كناتس جزائر الملوك ونصاراها بروح من الألفة والأخوة تربط بينهم وبين المسلمين !

لكنهم بالرغم من ذلك يعيشون معيشة محنة لأن هذا الوئام يشل قواهم ، ويخدع أنفسهم ، فلا يزدون واجبهم التبشيري تجاه إخوانهم المسلمين ! فتأمل أن تتمكن البروتستانت في جزائر الملوك من التغلب على جميع المصاعب المرة التي لا بد أن يلاقوها في ميدان التبشير !

والعبارة ناضحة بنبذ صداقه المسلمين ، ومحاولة فتنتهم عن دينهم والتحرير على تحمل كل ما ينشأ عن محاولة التبشير من صعاب ومرارة !!

فكيف ينجح مؤتمر يدخله رجال الكنائس بهذه الروح الشريرة ؟

وقد حاول السيد محمد ناصر وغيره من زعماء المسلمين أن يكتفوا من هذه التزعزع المعتمدة ، وأن يتلقوا مع رجال الكنائس على طريق الاعتدال والإنصاف . .

وأندونيسيا تعانى مشكلات جمة ، فإن الحاكم السابق « سوكارنو » فتح أبوابها لجميع التيارات التي ترلزل الإسلام وتفتن أتباعه .

ومنكن للشرق والغرب على سواء من ترويج المبادئ التي تصرف الأجيال الناشئة
عن دينها، وتغريها بالفرار منه ! . .

فإذا وجد صلابة من بعض الفئات تولى السيف العلاج، وامتلاء المنافي
بالمجاهدين، والقيور بالشهداء ! . .

وقام سباق هائل بين الشيوعية والصلبيّة، أيتهما ترث البلد المنكوب وتستولي
على حاضره ومستقبله ؟

وال المسلمين العيارى بعد ما نجوا من الاستعمار الهولندي ليقعوا في استعمار
داخلى شر منه وأنكى .

وشاء الله الكبير أن تفشل الشيوعية في الاستيلاء على مقاليد أندونيسيا وأن يستنقذ
المسلمون أنفسهم منها بعد مذابح ذهب فيها مئات الآلاف .

وبقيت المسيحية في ساحة تناثرت فيها الأشلاء، وتشابكت فيها برك الدماء . .

بقيت لتصاول الإسلام، وتحاول النيل منه مستعينة بالجاه الأمريكي والعون
الأجنبي . .

ونحن لا نبتشس بهذا الموقف، فليس جديدا !

ولا نقلق من نتائجه فقد جرب القوم هذا السلاح معنا فانقلب مقلولا . .

وقد كان يريد أن تسير العلاقة بين الدينين في نهج أصفي وأرضي، ولكن غيرنا يصر
ويأبى، فماذا نصنع ؟

ما بد من الصمود لهذا الهجوم وقبول مرارة الوضع الحاضر، ذلك الوضع الذي
يغري خصومنا بالفرب وهم آمنون من الثأر . .

ولعل الغد القريب أو البعيد يأتي بالفرج المرقوب ا

ونتساءل : ماذا كان مصير مؤتمر الأديان الذي اقترح الجزار سوهارتو عقده،
وانظر من ورائه سلاما بين المسيحية والإسلام في أندونيسيا ؟

لقد كتب الحاج « مصطفى بشير » رئيس تحرير مجلة القبلة رسالة إلى الشيخ أحمد
حسن الباقوري مدير جامعة الأزهر يبنثه فيها بمصير ذلكم المؤتمر، ويصف بعض ما
لاقى المسلمون فيه من تحطم وحيف فيقول :

لقد أحبط النصارى من الكاثوليك والبروتستانت مؤتمر الأديان المنعقد في
١١/١٩٦٧ بجاكرتا لأنهم لم يقبلوا مشروع الميثاق الذي عرضته الحكومة ولم

يريدوا التنازل عن موقفهم المسمى، وبدأ أنفسهم لا يشعرون إلا بحقوقهم الخاصة،
ويرفضون الاعتراف بحقوق غيرهم .

والغير هنا هم جمهرة السكان في أندونيسيا المسلمة !! ..

ويقول رئيس تحرير مجلة القبلة في معرض الشكوى من مطالب تلك الفلة
المتحدة كلاما طويلا نجمله في الحقائق الآتية :

(أ) - يرفض الكاثوليكي والبروتستانت أن تكون القوانين السائدة
مستمددة من الشريعة الإسلامية ولو كان تطبيقها بعيداً عنهم ! وقد اعترضوا على
الدكتور محمد ناصر وهو يقرر ضرورة تنفيذ الشريعة الإسلامية بالنسبة إلى المسلمين
إلى جانب الاعتقاد في إله واحد .

(ب) - يحاول هؤلاء بناء كنائس في المناطق الإسلامية الخالصة على أساس أن
وضع الطابع المسيحي على الأرض تمهد لتنصير أهلها مستقبلاً . وهذا التصرف
 واضح الاستهانة لمشاعر المسلمين ، وقد اعترضه إخواننا بشدة .

(ج) - يشن التبشير الأمريكي حملات سفيهية على صاحب الرسالة الإسلامية ولا
يفتأ يتناول شخصه الكريم بالإهانة والافتراء والتجريح .

والغريب أن المسيحيين لجئوا إلى إحباط المؤتمر بتقديم طلب غريب ، فقد
اقترحوا حضور ممثلين للأحزاب والمنظمات غير الدينية لمشاركة في بحوثه ومقرراته .
ولا ندرى كيف يشارك البوذيون والشيوعيون ومن على شاكلتهم من الوثنيين
والملائحة في مؤتمر لتصفية العلاقات بين المسلمين والنصارى !

وقد أثبتت الحكومة الأندونيسية الإصغاء إلى هذا المقترح لأنه يزيد المسائل تعقداً ،
ويضعف الآمال في الوصول إلى حل يقر الأمان في البلاد .

وأخيراً قال الجزال «سيماتوبانج» - وهو أمريكي التزعة والوجهة - مهما اتفق
عليه ممثلو الأطراف في هذا المؤتمر فلن يكون اتفاقهم مقيداً المجلس الكاثوليكي والبروتستانتي ، ولن يلزمها العمل بمقتضاه لأن كلاً منهما له استقلال تام
وحربية كاملة .

وبهذا التهديد أصبح نقاش المؤتمر لغوا ، وجهده باطلًا !

وكانت الحجة البارزة لقادة التبشير الأمريكي أنفسهم ينفذون أوامر الله وأن التبشير
جزء من حرية الدين ..

ونحن نقف هنا لنحسم هذه المخادعة الصغيرة ..

إننا نحن المسلمين أول من يقر حرية الدين على ظهر هذه الأرض !

وأول من يربح بالجدل المفتوح ، والحوار المطلق في قضيائنا الدين كلها ، أصولاً وفروعاً .

وأول من يكسر القيود ، ويزبح العوانق التي قد يضعها البعض على حرية العقل والضمير ..

بل نحن المسلمين نعد جو الحريةطلق هو أنساب الأجواء لنماء معتقداتنا ، ودخول الناس أفواجاً في ديننا .

إن الاستبداد الفكري هو العدو الأول لنا ..

والبيثارات التي تحرس الخطأ وراء أسوار من التقاليد والكهانة هي التي تستعصى علينا ..

ومن المضحك أن يقول رجال التبشير الغربي إنهم طلاب حرية دينية ، وأن يتهموا مسلمياً أنهونيسياً بالتنكر لهذه الحرية أو الضغط عليها ..

إن وظيفة المبشرين معروفة ، لمسناها في بلادنا ، وسمعنا أنباءها في كل بلد نزلاه ..

ولو وصفناها بأنها سرقة العقائد ما عدنا الحقيقة .

لقد جاءت مبشرة أمريكية إلى أسيوط ، واستطاعت أن تربى في ملجنها مئات اللقطاء من أولاد المصريين ، ليشبوا على النصرانية . فهل هذه هي الحرية المطلوبة ؟

وقدّمت المدارس الأجنبية بتعليم أبناء الزنوج في إفريقيا حتى تالوا أعلى الشهادات من جامعات الغرب ، ثم عادوا ليحكموا البلاد لحساب الاستعمار .

وفي ظل هذا الحكم ، وقبله ، وضعت عوائق هائلة حتى لا يتشرّد التعليم بين المسلمين ، وحتى لا يرتفع مستوى ثقافي فينصفوا أنفسهم وبладهم .. فهل هذه هي الحرية المطلوبة ؟

وفي البلاد التي يرتفع فيها المستوى الأدبي للمغلوب ، على الغالب ! وللمقهور ، على القاهر ! كاريتر يا بالنسبة إلى العجاشة ، ماذا صنع التبشير ؟

إنه يعتمد على السيف في إخراص الألسنة ، وتهييد الأرض بالسلاح لاستقبال دين جديد ، وترك ما تقدس وتعشق من دين ، فهل هذه هي الحرية المطلوبة .. ؟

إن الحرية التي يتحدث عنها أولئك المبشرون هي خلو المكان من الشرطة حتى
يستطيع المعذبون إتمام جرائمهم في اطمئنان .

فلا غرو إذا تناهى مسلمو أندونيسيا بالجهاد المقدس لوقف هذا الاعتداء المبيت
على دينهم وبلادهم .

أو كما يقول الحاج مصطفى بشير في عبارات حماسية مشكورة : « إنه بداع العزم
والحزم لنيل النصر أو الشهادة ، نلبي دعوة الله ، ونتحرك أفواجاً أفواجاً بلا انقطاع
لإقامة الدين على أساس متين ، مستمسكين بالعروة الوثقى في اليسر والعسر . باذلين
الأنفس والأموال في سبيل الله ، صامدين في ميادين الكفاح إلى آخر رمق حتى يتحقق
الحق ويبطل الباطل » .

ومرة أخرى أسأل نفسي وغيرى : ألا يمكن وضع حد لهذه الخصومات المتفجرة
بين الإسلام والنصرانية ؟

لقد أعلنت مراراً عن رغبتنا نحن المسلمين في إرساء العلاقات بين الدينين على
قواعد معقولة ، تحقن الدماء وتفتح صفحة جديدة في تاريخ العالم . !

* * *

من خمس عشرة سنة تفضل السيد وزير الأوقاف الشيخ أحمد حسن الباقوري
فأنابني عنه لحضور المؤتمر المسيحي ^(١) الإسلامي المنعقد في الإسكندرية .

وكانَت الفكرة التي تدارستها وغلبت على نفوسنا أن هذا التلاقي خير للعالم أجمع
إذا ساده الإخلاص وصلحت فيه النيات . . .

وإنه لكتب جميل كريم أن نحط عن كواهل الناس أحقاداً طلت أعمصاراً ، وأن
تضع الحروب الدينية أورارها . ويتعاونون المتدينون على إنشاء عالم أدنى إلى السلام
وأبعد عن الشحناء . . .

إتنا معشر المسلمين نؤمن بالوحديانية المطلقة ، وإذا كان المسيحيون يجذبون إلى
التلثيث فهم يتبعون به إلى التوحيد - كما يقولون .

أى يتهون إلى أن للعاصم رب لا شرك في حياته ومجدده .

وأن الناس صاثرون إليه بعد الموت ومحاسبون أمامه .

وأن العباد في هذه الدنيا يجب أن يتمعاملوا على أساس من الفضائل المرعية
والحقوق المحفوظة .

(١) - في كتابنا « كفاح دين » نبدأ هذا المؤتمر ، وشيء من التفاصيل المهمة .

وأن الظلم مرتعه وخيم، وأن مسالك الرذيلة لا تليق بعباد الله الصالحين، وأن .. .
وأن .. إلخ.

إننا مدفوعون ولا أقول مخمورون إلى أن نلقى الخير بخير أشمل، وأن نرد التحية
بأحسن منها.

والتعاون المقترن بين المسيحيين والمسلمين في نطاق الإنسانية الرحمة لن يمنع
أحد الفريقين من القيام بواجباته الدينية الخاصة .. .
بهذه العواطف الندية ذهبت وتحدثت .

وقد استمعت إلى الجانب الآخر فوجدت كلاما لا يأس به.

ولكن الصخرة التي اصطدم بها هذا المؤتمر وتحطم عليها، والتي سوف تصطدم
بها جميع المؤتمرات المتشابهة وتتفانى عندها هي السياسة الصلبية التي تهيمن على
أفندة الغربيين وعقلهم .

فهم يريدون سلاما يخزيانا، ويزرى بديتنا، ويحط من قدرنا .. .

إنهم بطريقة مستهجنة سماجة يريدون تهويد فلسطين، وتشريد أهلها، ولا يشعرون
بحياء من المصارحة بهذه الجريمة الفدرا ثم هم في إفريقيا - حيث يسود الإسلام -
يقيمون حكومات ليست صورة حقيقة ولا مقاربة للشعوب المحكومة، بل حكومات
مطلوب منها أن تمحو الإسلام وأن تتجاهل الكثرة التي تعتنقه، وأن تحارب لغتها
وتقاليده وجامعته !!

فإذا اطمأنت إلى هذا الشكل من الحكومات، منحته الاستقلال وأعلنت الجلاء،
يعد ما ضمنت ذيلا لها في المنظمات العالمية الكبرى .. !

وهذه السياسة لا تلتقي مع الآخرين على مثل رفيعة تستمد وجهاها من طبيعتها
الثيرة كلا، إنها تعتمد على القوة، وما تغري به القوة من كبراء وطغيان وما تخلفه من
ضياعات ومتالم .

ولذلك نرى جماهير الإفرقيين في جنوب القارة ووسطها يفتک بهم المستوطنون
البيض، والضمير الغربي صامت .. .

ومعنى هذا أننا نحن المسلمين لا نتعامل مع مسيحيين يحسنون الدين والتقوى
حتى وفق معتقداتهم نفسها، بل نتعامل مع ناس قرروا أن يدوسوا مبادئهم ثم جاءوا
تحت لواء المسيحية يريدون أن تنخلع على ديننا، ونقل الدين في شوننا كلها .. !!

فهل يقبل عاقل الاستسلام لهؤلاء ؟

إننا مضطرون لمقاتلتهم بكل سلاح ورد طفواهم بكل وسيلة .
وبقاء الصفائن القديمة يعود وزرها عليهم لا علينا ..
ولأنفت النظر هنا إلى أمور ذات بال في الأحداث الأخيرة .

إن المذاهب المادية تطوى الطريق إلى غايتها البعيدة بسرعة مذهلة ، وإذا كانت العقائد لم تزل بعد ، فإن ما يرتبط بها من عبادات وتقاليد يهواي شيئاً فشيئاً .
ودور العقائد نفسها سيجيء في نهاية المطاف .

والغريب أن الدول المسيحية تؤثر أن يفسح الطريق أمام الشيوعية ولا تسمح للإسلام بحياة !!

وحتى يكون كلامي مقترنا بأدله أذكر هذه الحقائق :

عندما كافح العرب الاستعمار البريطاني جنوب اليمن ، وفرضت الظروف على الإنجليز أن يرحلوا ، اثر المستعمرون الرحيلون أن يسلمو بلاد إلى الجبهة القومية ، وهم يعلمون ميلوها اليسارية المفرقة ، وأتوا أن يسلموها الجبهة التحرير الموالية لمصر .

وعشية الرحيل المرسوم شن القوميون الحمر غارة على رجال الجبهة وأهلهم وبيوتهم بلغ ضحاياها مئات القتلى في عدن من الأطفال والنساء والرجال .

حتى تعب الناس من تشيع الجنائز واستخراج الجثث الهالكة تحت الأنفاس .

هكذا خرج الإنجليز بعدما جعلوا الشيوعية ترثيم لا الإسلام !!

وفي الهند ، عندما استعمروا الإنجليز ، نظر الغزاة فوجدوا تحت وطأتهم مسلمين وهنادك ، فقرروا دون تردد أن يرجحوا كفة الوثنية على الإسلام .

يقول السيد «سجارت حيدر» سفير باكستان في القاهرة : إن أضابير التاريخ تشهد بأعمال الوحشية والقسوة التي تعرض لها المسلمين على أيدي البريطانيين إذ كانوا يشقون الناس بعدمحاكمات سريعة ، ويطلقون عليهم النار لأسباب تافهة ، ويسلطون عليهم ضغوطاً سياسية واقتصادية مرهقة .

وقد استهدفت السياسة البريطانية أن تجعل المسلمين تحت تصرفها المطلق ، فلم يمض وقت طويلاً حتى ألغى المسلمون أنفسهم مجرد دين لا من السلطة والقوة وحسب ، بل مجرد دين من ثرواتهم وما ملكت أيديهم .. !!

ولم تعد اللغة الفارسية لغة رسمية للبلاد، بل أهمل شأنها - لأنها تمثل وعاء الثقافة الإسلامية هناك - وأميت العمل بالقانون الجنائي الإسلامي ، وحرفت الشريعة الإسلامية، وأنكر على أي مسلم أن يشارك في حكم الهند . !!

ووصف الشاعر محمد إقبال هذه الحال فقال : «لقد اعتبر البريطانيون المسلم متسللا» ..

ومضى الإنجليز في هذه الخطة قرنا بعد قرن، حتى وفر في نفوس المسلمين الهنود أن الاستعمار البريطاني يت-radius لإسلام وأمته في كل مكان ، ويحاول الإيقاع بهم حيالاً وجدوا .

وقد لخص كاتبان هما «إدوارد طومسون» و «ج . ت . جارات» الوضع كما يأتي :

لقد أضافت السياسة الإنجليزية خلال السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى الكثير إلى تبرم المسلمين، فقد التهمت الدول الأوروبية ، الدول المحمدية ، واحدة تلو أخرى .

وكان البريطانيون إما مشاركون مباشراً كما حدث في مراكش وفارس ، وإما موافقون نفسياً كما حدث في طرابلس ..

وقد عدت حروب البلقان التي نشببت ١٩١٢ - ١٩١٣ جزءاً من هجوم عام شنه الأوربيون على الإسلام .. إلخ .

وظاهر من تاريخ الإنجليز في الهند أنهم خذلوا الإسلام وناصروا الوثنية .

أما في فلسطين حيث نشب التزاع بين الإسلام واليهودية فإن دور إنجلترا قد تحدد من غير موازنة ، فقد انحازت بكل ما تملك من دماء وسلاح إلى اليهودية ضد الإسلام والعرب ..

وإنجلترا مثل صادق لسائر دول الغرب الصليبي ، فإن هذه الدول على استعداد مطلق لمحاربة الإسلام ومساندة أي خصم له ..

والعجب أن المسلمين إذا نفطوا بهذه الحقيقة وأخذوا لها حذراً ، قيل عنهم بوقاحة : إنهم متغصبوون .

ولا يحسين القاريء أن هذا اللدد في الخصم استجد في العصور المتأخرة لظروف طارئة ، وإن العصور الوسيطة امتلأت بأثار هذا التعصب العنيف .

ومن المؤرخين من يرجع هجوم التتار على الإسلام إلى تحريض الصليبيين
لأولئك الهمج ومعاونتهم لهم في تدمير الإسلام حكومات وشعوبا .^(١)

وعلى أية حال فإن ما نزل بال المسلمين من كروب وأهوال على أيدي أولئك المغرين
يعد من الأحداث الغريبة في الدهر، لكن الذي يثير الدهشة حقاً شعور الشمامنة
والتشفي الذي أظهره النصارى المقيمين بين العرب وهم يرون إخوانهم الموحدين
يهانون ويبادون . . !!

يقول ابن كثير في الجزء الثالث عشر من كتابه «البداية والنهاية»: أرسل هولاكو -
وهو نازل على حلب - جيشاً مع أمير من كبار رجال دولته يسمى «كبيغا نوبن» يريد
دمشق. فبلغها الجيش الزاحف سنة ٦٥٨ هـ آخر صفر، وكان هولاكو قد كتب أماناً
لأهل البلد، فرقى بالميدان الأخضر، وشاءع بين الناس خبره.

إلا أن الناس كانوا على وجل من أن يغدر بهم، فكم من أمان بذلك التتار ثم خاسوا
فيه !

ووقع المحذور، فما هي إلا ليالٍ حتى استحر القتل في وجوه البلد، وأخذ الخراب
يسرى في أرجائهما، ولم يدع التتار متنزنة إلا هدموها، ولا برجا إلا خربوه . .

ثم ولـى الفاتحون أحد قواطفهم حاكماً على دمشق بعد أن دهاها ما دهاها، وكان
اسمـ الحاكمـ التـتـارـيـ «ـابـلـ سـيـانـ»ـ يقولـ ابنـ كـثـيرـ:ـ وكانـ لـعـنـ اللهـ مـعـظـمـ الدـينـ
الـنـصـارـىـ،ـ فـاجـتـمـعـ عـلـيـهـ أـسـاقـفـهـ وـقـوسـهـ فـعـظـمـهـ جـداـ،ـ وزـارـ كـاثـسـهـمـ،ـ وـصـارـتـ
لـهـ بـهـ دـوـلـةـ وـصـوـلـةـ . .

بل إن طائفة من النصارى ذهبوا إلى هولاكو حاملين معهم الهدايا والتحف،
وقدموهـ منـ عنـدـ وـمـعـهـ أـمـانـ لـعـافـتـهـمـ !ـ

ودخل الوفد العائد من باب «توما» وهو ينادون بشعارهم . .

وـعـهـمـ أـوـانـ فـيـهاـ خـمـرـ،ـ وـقـمـاـقـ مـلـأـةـ خـمـرـاـ يـرـشـونـ مـنـهـاـ عـلـىـ وـجـوـهـ النـاسـ وـثـيـابـهـمـ !ـ
وـيـأـمـرـونـ كـلـ مـنـ يـجـتـازـونـهـ فـيـ الـأـزـقـةـ وـالـأـسـوـقـ أـنـ يـقـومـ لـصـلـبـانـهـمـ !ـ

وـدـخـلـوـاـنـ درـبـ الـحـجـرـ،ـ فـوـقـوـاـعـنـدـ رـبـاطـ الشـيـخـ أـبـيـ الـبـيـانـ وـرـشـوـاـعـنـدـ خـمـرـاـ
وـكـذـلـكـ عـلـىـ بـابـ مـسـجـدـ درـبـ الـحـجـرـ الصـغـيرـ وـالـكـبـيرـ !!

وـاجـتـازـوـاـ السـوقـ حـتـىـ وـصـلـوـاـ الـدـرـبـ الـرـيـحـانـ أـوـ قـرـيـاـ مـنـهـ،ـ فـوـقـ خـطـيـبـهـمـ فـوـقـ دـكـةـ

(١) أنت الموزع الإسلامي الكبير الأستاذ محمد على الغنيت هذه القضية بوثائق حاسمة في مؤلمه من
الحروب نسبية إلى حرب اتسويس *

دكان في عطقة السوق فمدح دين النصارى وذم دين الإسلام وأهله .. فإننا لله وإنما إليه
راجعون .. !!

ثم يقول ابن كثير: «وكان في نيتهم لو طالت مدة التمار أن يخربوا كثيرا من
المساجد وغيرها ..»

ولما وقع هذا اجتمع قضاة المسلمين والفقهاء والشهدو، فدخلوا القلعة يشكرون
هذه الحال إلى القائد «ابل سيان» فأهينوا وطردوا وقدم كلام رؤساء النصارى
عليهم .. !!

لقد عولموا على المبدأ الاستعماري المشهور: الويل للمغلوب.
وكم أقلت: ليس عجيبا أن يفتلك الوثنيون بالموحدين على أبيشع الصور، وإنما
العجب أن يشارك النصارى في ذلك، أو يشتموا ويفرحوا من بعيد !!
ولقد عاشوا أعصارا مع المسلمين آمنين في ذمتهم ظافرين بلون من الحياة أهدا
وأنعم ما ظفر به البروتستانت في جوار الكاثوليك.

أجل، إن نصارى الشرق في جوار المسلمين كانوا أسعد حالا من إخوانهم في
أوروبا نفسها.

فلم كل هذا الغل والرضا بمصائب المسلمين ؟
والاليوم تعمل الحراب الإسرائلية في أحشاءعروبة والإسلام، فمن الذي يمسك
بالحرية ويحرركها ؟ الاستعمار العالمي ..

إننى أستعرض الآلام القديمة والجديدة ثم أذكر قول الشاعر:

كل خليل كنت خاللته لا ترك الله له واصحة .. !!
كل هم أروع من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة !!

ومع كل ما حوى التاريخ من سخائم تحمر أو تصفر لها وجوه المعتدين فتحن
مستعدون أن ننسى، وأن نفتح مع القوم صفحة جديدة لعلاقات يسودها العدل
والبر ..

فهل يفعلون ؟

أغلب الطعن أن أضغان القوم علينا لن تبل ..

إننا نحن المسلمين محكومون في نظرنا إلى اليهود والنصارى بأمر من يوجبان
السماحة والاعتدال:

أولهما: أتنا مصدقون بالرسالات الأولى ومكرمون لأنبيائها.

والآخر: أتنا نحترم الفكر الإنساني، ونقيم الإيمان على حرية الإرادة ونعطي مخالفينا في الرأي، الحقوق التي لنا، ولا نلزمهم إلا بالواجبات التي علينا ..

وقد توارثت أجيال المسلمين هذه المعانى حتى أصبحت تقالييد مقررة فى مجتمعاتهم السابقة واللاحقة ..

إلا أن أهل الكتاب، أو نفراً كباراً منهم، يستكثرون علينا حق الحياة، ولا يبادلنا المشاعر الحسنة التي ن Kahnها لهم.

ومع أن هذه الحقيقة المريرة بربت بوجهها الكالح على امتداد العصور، فإن طيبة قلبنا تحملنا على النسيان والتغاضى ..

بيد أننا نتألم أن تحول طيبتنا إلى غفلة، وسماحتنا إلى حماقة ..

إن الاستعمار الحديث واضح الرغبة في صرفنا عن ديننا، وتحقير إيماننا ظاهراً وباطناً.

وقد مزق الحجب عن قصده، وشرع - سياسياً وعسكرياً - يكيد لنا ويجهز علينا ..

وهو اليوم يقوم بجهد مزدوج .. إنه يوسع حملات التبشير ويدعمها بكل أسابيب النجاح.

ثم هو يحاول أن يستغل نصارى الشرق ليطعنوا المسلمين في ظهورهم وليوهنو صورتهم وهم يردون العدوان عن أنفسهم وبلا دهم.

ونحن نرمي هذه الجهود بعيدون مفتوحة، وقلوب مجرورة.

إن الله لن يتخلّى عنا، فنحن عباده الأوّابون إليه، المستعينون به ..

ونظن نصارى الشرق أعلم من أن يستجيبوا للذك الدعوات الخائنة، إنهم لن يعاونوا الاستعمار في الحرب التي تدور الآن بيننا وبينه .. إنهم لن يخذلوا الفدائين الذين يقاومون الصهيونية .. !! إنهم لن يفرطوا في حق المواطن، ولن ينسوا الجوار الشريف الذي جمعنا زماناً طويلاً ..

وأعلم أن البعض وقع في هذا الشرك، وشرع ينال منا ..

لقد اطلعت على كتب شتى ، تناول ديننا، ونبينا، وتاريخنا بأساليب دنيئة ولكننا ستغلب على هذه الجراح ونسير ..

وإذا كنت أثبت هنا كلمات تتضمن بالسموم ضدنا فلنكتفى أقول للعقلاء: إن هذا لا يليق.. !!

جاء في كتاب «الخريدة»^(١) الفبيسة في تاريخ الكنيسة ما يأتي وصفا للإسلام ورسوله وتاريخه.

والكتاب مطبوع في القاهرة عام ١٩٦٤ (بمطبعة قاصد خير) بالفجالة.

والسطور التي نقتطفها من الجزء الثاني ص ٩١، ٩٢، ٩٣.. .

قال المؤلف: «إن محمداً صاحب الشريعة الإسلامية، ومشترعها، ولد في شبه جزيرة العرب بالمخجاز، بمدينة مكة من قبيلة قريش سنة ٥٧٩.. .

وقد تبسم من والديه وهو في سن الخامسة من عمره.. . فرباه عمه أبو طالب، وعلمه التجارة والأسفار، وأول استشاره كان وهو في سن الرابعة عشرة.. . سافر مع نفر من قبيلته إلى الشام، ولما راجع أخذته أم كلثوم غنية تدعى خديجة.. . فصار يتجر لها ثم تزوج بها.. .

وكان ذكاؤه الطبيعي مفرطاً، وأفكاره وقادره. وفي أثناء تردداته إلى سوريا وفلسطين عشرة كثيرون من النصارى واليهود، وخالفت عامتهم وخصائصهم، وسمع تعاليم كثيرة لهم، بعضها من الكتاب المقدس، وبعضها خرافات كانت تلهم بها العامة، فكان يعلق ذلك في ذاكرته ومذكراته (!!).

ولما بلغت سن الأربعين سنة، كان حفظ شيئاً كثيراً من تلك التعاليم الصحبحة والكافرة ومزجها بنصوصه^(٢) (!!).

ولعدم وقوفه على مصادر التعاليم الصحبحة.. !!. وهو الكتاب المقدس.. . لما أراد أن يدونها.. . زاد فيها ونقص.. . وغير وبدل.. . كما يعلم ذلك من قوله أحداث الكتاب المقدس المسروقة في القرآن.. . (!!).

(١) - نصاذه المصحوس من المسحة المحمولة بدار الكتب في القاهرة رقم ٤٦٤٤، ولهذا الكتاب مقدمة شه رسمية يرغم ما فيه من إسفاف !!

(٢) - انتشر قون والميت، من أحداء، محمد بدروس تهبه، أحده لبس حديدة. فقد سفهوا إليهم الوثنيون من أربعة عشر قرناً، وذكر الميزان الكريم هذه لنفهم في غير موضع «ولقد علمتهم بتقولون إنما يعلمه سر.. . وقولوا أساطير الأولين اكتسبها فهو على علم بكرة وأصبلاها». «قل أئله الذي يعلم السر في السنوات والأرض إنه كان عموراً رحيمًا». «يَا مُحَمَّدَ نَبِيَّنَا، دَنِيَاهُ مُرِجٌ شَوَّبٌ، وَدَنِيَاهُ عَدْرٌ». الآيات بالادعاء كلام كشفنا عن ثوائفه في كتبنا الأخرى، وأينا ما فيه من فراغ.. .

ومن ثم قصد أن يظهر بمظاهر نبي أمام العرب .. (!!!) لا سيما عرب قريش وكانت عبدة أصنام، فاستعظموا تعاليمه، وجزعوا منه، واقتروا عليه أن يؤيدها بأعجوبة سماوية . . فعظهم عليه الاقتراب، ولم يجد منها سوى الاعتذار التافه (!)، والاحتجاج الفارغ بعدم إيمان السالفين بالعجبات (!!!) وأن الله أرسله وزوجه بالوحى فقط لارشاد الناس وهدايتهم (سورة الأنعام آية ٣٧، والأعراف آية ٢٠٢ والرعد آية ٨، وبنى إسرائيل آية ٦٢، والعنكبوت آية ٤٩).

وكان يدعى الناس إلى التسلیم بدعوته وقبولها في أول أمره بالحسنى والرفق، واللين والرضا، ويظاهر بعدم إكراه أحد وإلزامه قبول الإسلام . . وقد وردت بهذا الشأن نصوص كثيرة في القرآن لا محل لإيرادها . . (راجع سورة البقرة آية ٢٥٧، وأآل عمران آية ١٩، والأنعام آيات ٦٦، ١٠٧، ١٠٤، ويوسف آياتي ٩٩، ١٠٠، والأحزاب آية ٤٧، والنمل آية ١٢٦، وبنى إسرائيل ١٠٦، وال Zimmerman آية ٤٢).

ويظهر أنه كان مراعياً للظروف فقط (!!!) . . وخاصة ظروفه (!!!) . . فظهوره بدعوته الناس إلى قبول تعاليمه غير مكرهين كان في حال ضعفه .. (!!!).

فلما اشتد أزره انقلب (!!) إلى العكس كما يعلم من نصوص أخرى عكس التي أشرنا إليها . . (راجع البقرة آية ١٨٨، والتوبه آيات ٥، ٢٨، ٧١، ومحمد آية ٤، والناس آياتي ٨٣، ٨٨).

وكذلك راعى في أول الأمر خاطر اليهود ليكونوا أعوناً له، وجعل وجهة المصلين بيت المقدس، فلما قويت شوكته نقض هذا الأمر، وجعل وجهة المصلين الكعبة في مكة، وهي معبد (٣) أصنام قديم لعرب قريش، لا يزال فيه حجر أسود يدعى العرب أنه نزل من الجنة.

(١) انظر هو المعجزة الكبرى لمحمد، وقد رفعت نه كما وقعت لغيره من الرسل خوارق كثيرة ولكن لاسلام لعمومه وحيوه - بمح الحوارق العادلة مكانة ثانية، ويجعل الإيمان مسوط بالعقل المنكر قبل أي شيء . .

(٢) - هذا أتف مبين، وقد فضحتنا هذه الغرية في المردعي « جولدريبر المستشرق المجري اليهودي، والباحث موجود نكتاباً دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين » وفيه كذلك رد على منكريات هذا المؤرخ إنكشى وغيره من الباحثين عن العيوب لبرمابها الإسلام . . وهيهات !!

(٣) - الكعبة هي لمسجد الحرام الذي بناه أبو الأسد، إبراهيم لسعادة الله وحده، وقد أقحم عليه الوثنين أصنامهم حتى جاء محمد فندهم صنمًا صنمًا وهو يفرأ قوله تعالى : « وقل جاء الحق ورهق الباطل إن الباطل كان زهوفاً ». وحملة القرآن على الأصنام ليس لها تغافر في كتاب أرضي أو سماوي وتحت منحدري وكيف يرغمون هذا المزعزع لكتلوب أن محمداً صدح الأصم يوماً ما . . ولكن ميدان الصدق إذا ضاق بالمفترين وجدوا في ميدان الأخلاق ما يشبع أحقادهم ..

وطلب محمد من كبار قريش أن يزيلوا الأصنام من الكعبة فتوقفوا، والتمس منه نفر أن يكرم معبداتهم لكيلا ينفر الناس من دعوته فأكرمها ومدحها .. ! بقوله .. «أفرأيت اللات والعزى، ومنة الثالثة الأخرى، تلك الغرانيق العلي .. وإن شفاعتهن لترتجى ». .

وقد ورد ذلك في سورة النجم ولكن العبارة الأخيرة حذفها جامعو القرآن، لأنهم رأوا أنها محظية بمنزلة محمد.

ولكن المفسرين أثبتوها، وأثبتو انسنتها للمحمد واعتذرلوا عنه ! وأشهرهم ابن عباس.

وقد أحسن محمد بغلطته، وعدل عنها، فنقم عليه عبد الأصنام وقصدوا إيزاءه، وضمروا له الشر، فلما انكشف له سوء مقصدهم، هجر مكة وهرب إلى المدينة .. (!!) وكان ذلك في سنة ٦٢٢ .. ومن سنة هروبه (!!) يبدأ بتاريخ الإسلام، واستمر بعد ذلك إحدى عشرة سنة ^(١) كان يشن في أنحائها الغارات على القبائل، وينهبهم (!!) ويسلب أمتعة القوافل (!!) وينكل بالمقاومين له حتى قوى أمره .. (!!).

ذلك ما يكتب عنا في بلادنا !! وهو واضح الدلاله في إهانة مقدساتنا واستباحة حرماتنا، وإرخاص كل صلة، وكشف النقاع عن شر مستطير.

وأحب أن أتجاوز هذا اللغو الهابط .. وغایة ما أتبه إليه المسلمين أن الاستعمار طام في اجتياح دينهم طمعه في اجتياح بلادهم، وسرقة خيراتهم .. !
وإن الأمر يحتاج إلى يقطة مضاعفة .. .

وكلمة هامسة إلى مواطنينا من أهل الكتاب: أن يضرروا على أيدي سفهائهم، فلا يزيدوا الطين بلة .. !! ولا يحملوا القلة المدللة على جحد التعميم ومعاونة الأعداء .. إننا نحن المسلمين نعامل مخالفينا في الدين معاملة لا نظير لها نبلا وسماحة ولم

(١) - بهذه الكلمات الهازنة بصف الكاتب أشرف حماده قام به رسول ! فأقر به الترجيد المضطهد، وثبت الحق المطارد، وقطع طواعيت الشرك وهي تحاول أن تطفئ نور الله، وظاهر أن الرجل يكذب ويرى في العنوان لكرامية عميم ضد الإسلام وبنيه، وما درى الأحمق أن الإسلام يوم يطوى ثلن يقوم مكانه دين، ولأن يفني غناه إيمان في إقتحام العقل وإراحة الضمير ..

يحدث أن ظفر بمنتها المختلرون من أهل الملل الأخرى حين عايش بعضهم بعضاً أو عامله.

وقد كنت أريد أن أطوي هذه المطالب، وأنفاضي عن ذكرها، لو لا أن جهات مستولة هي التي أسممت في طبعه ونشره، هكذا يقول مؤلفه في نهاية الجزء الثاني

صفحة ٥٩١

وعبارة تبتممها : « تم بعون الله طبع هذا الكتاب التفيس في يوم ٣٠ من أبيب سنة ١٦٨٠ للشهداء ، الموافق ٦ من أغسطس سنة ١٩٦٤ للميلاد في عهد غبطة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس حفظه الله .

ولولا اهتمامه بنا، ومساعدته، وتشجيعنا ببركاته وصلواته المقبولة ما أمكننا أن نقوم بهذه المهمة، نسأل الله أن يحفظه لنا ذخرا، ولله ربنا والكنيسة فخرا .
ونحن نأسف لهذا الخطأ في جنبنا، بل لهذه الخطية، ونوصي إخواننا المسلمين أن ينسوها، ونوصي إخواننا المسيحيين ألا يكرروها ! .

* * *

التبشير والاستعمار وألام أخرى

يكاد المراقبون والنقاد يجمعون على أن الأوروبيين والأمريكيين ليسوا مولعين بالتدين، ولا ميالين إلى التقوى، وإن صلتهم بالله لا تتجاوز الشكل إلى الموضوع، وأن إحتفاءهم بالمناسبات الدينية يقوم على تحويل الآحاد و مختلف الأعياد إلى فرص للاستجمام وشباك للهرو والمرح بربنا أو غير بربى .

والأوروبيون والأمريكيون - إجمالاً - يجذون ثمرات تقدم علمي رائع رفه معايشهم، ونعم حضارتهم، وربما استطاع هذا التقدم أن يلطف مسالكهم ويهذب غرائزهم إلا أن بياتات كبيرة في كلتا القارتين لم يرفع العلم الإنساني مستواها إلا في الكلمات والملابس .. !

أما ما وراء ذلك فهناك القتل، والخطف، والاغتصاب، والفووضى الجنسية، والكبرباء العنصرية، وعبادة الحياة الدنيا، والتوجه أو الإنكار لما وراءها ..

ومع هذا السلوك الهاابط فإن الأوروبيين والأمريكيين يهتمون بالتبشير ويرصدون لرجاله وأغراضه أموراً طائلة، ويتبعون نشاطه وتوجهه بيقظة !

ومع أن الحكومات في كلتا القارتين لا تبالي أن يؤمّن أبناؤها أو يلحدوا .. إلا أنها تولي الدين في إفريقيا وآسيا قدرًا ملحوظًا من رعايتها، وتوسل به إلى تذليل الصعب، وحطّم الخصوم .

ولننظر إلى فلسطين في ظل «الانتداب البريطاني» لنرى آثار هذا الاتجاه في تحقيق الأغراض الاستعمارية بين سكان هذا القطر المحروم ..

كان تسعة أعشار الفلسطينيين مسلمين عرباً فكيف يمكن تذويب عروبتهم وإسلامهم معاً؟ وكيف يمكن خلق الظروف التي تتمحض عن قيام «إسرائيل» كما وعدت بذلك بريطانيا .. !

لن انعرض هنا للأساليب الاقتصادية والعسكرية على شناعتها ووحشيتها، وإنما انعرض للنواحي الدينية وحسب .

كان فلسطين معهد لتخریج الدعاة المسلمين يسمى « الكلية الصلاحية » أمر الانتداب البريطاني بالإجهاز عليه عشية باشر الحكم في البلاد.

وقد نشرت إحدى الصحف تاريخاً موجزاً لهذه الكلية جاء به : « كلية صلاح الدين الأيوبي ». .

كانت تقوم في الناحية الشمالية الشرقية على بعد عشرات الأمتار من الحرم الشريف في المكان المعروف بدير القدس هنا ويقال إن هذا المكان جعل مدرسة إسلامية قبل صلاح الدين الأيوبي .

ولكن اسمها التحق بصلاح الدين حينما جعل منها مدرسة للفقه الشافعى بطلب من فقهاء الشافعية ومر عليها زمان تقلبت فيه بين يد النصارى وال المسلمين .

حتى كانت سنة ١٩١٤ م (١٣٣٣هـ). وقام على بلاد الشام القائد التركى « جمال باشا » حيث أعادها مدرسة دينية إسلامية لإعداد مبشرين للعالم الإسلامي وبالأخص للهند والصين . وسماها « كلية صلاح الدين الأيوبي » وعرفت بين الناس بالكلية الصلاحية كما درس بها علماء من مختلف البلاد في ذلك الوقت من أمثال : محمد اسعاف النشاشيبي ، وجودت الهاشمى ، وعبد القادر المغربي السورى الذى كان فيما بعد نائب رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق ، ثم عبد العزيز جاويش ، ورسمت حيدر ، وجميل النبال ، وعبد الرحمن سلام . . إلخ . وكان شيخ الإسلام فى الأستانة يحول مرتبات هذه المدرسة من تركيا بوساطة متصرف القدس . وبدخول الجيش الإنجليزى القدس فى ١٢/٨/١٩١٧م أعيدت هذه المدرسة إلى يد الآباء البيض الفرنسيين وهى اليوم مدرسة أكيليريكية دينية للروم الكاثوليك .

والواقع أن هذا التاريخ مدخول ، فالمدرسة كانت تقوم بتعليم الفقه الإسلامي ثم حولتها الترك إلى كلية للدعاة تخدم الإسلام في الداخل والخارج . . فلما ملك الإنجليز الأمر حولوها إلى كلية لتخریج المبشرين المسيحيين ، وسلموها إلى جماعة البيض الفرنسية وهى جماعة لها دور هائل في محاولة تصدير المغرب العربي أيام الاحتلال الفرنسي .

والتعبير بأنها « أعيدت » للفرنسيين يتمشى مع الفكر التبشيري الذى يرى أن آسيا الوسطى ومصر والشمال الأفريقي كله كانت مستعمرات رومانية ، ويجب أن تعود كما كانت وقد بذل الاحتلال البريطاني لمصر جهوداً شاقة لإبعاد الأمة عن دينها ، وعن المناسبات التاريخية التى تربطها به .

نشرت جريدة الأخبار تحت عنوان «احتفل الإنجليز على الاحتفال بعيد الهجرة في إذاعة القاهرة منذ ٤٠ عاماً» قالت: احتفل العالم الإسلامي أمس بعيد الهجرة، وهو بداية العام الجديد منذ أمر عمر بن الخطاب بجعل الهجرة أساس التقويم الإسلامي. وقد احتفت به الإذاعة المصرية لأول مرة سنة ١٩٣٤ ميلادية بقرار من «مدحٍ عاصم» أول مدير للإذاعة المصرية بعد أن أصبحت حكومية - وكانت من قبل تشرف عليها مؤسسات أهلية - وأمر المدير المصري أن يبدأ الاحتفال بصلاة الفجر.. وعد ذلك حدثاً غريباً، وواجه المدير المصري معارضة شديدة من الإنجليز المشرفين على الإذاعة ..

وكانت الحجة المعلنة أن الإداريين والفنين سوف يسهرون إلى الثانية صباحاً، ورد عليهم السيد مدحٍ عاصم بأن هؤلاء يسهرون في رأس السنة الميلادية حتى مطلع الفجر، وبعده إلى الصباح، وإن فلابد - بالقياس - من الاحتفال بالسنة الهجرية وسكت المعترضون كارهين فإن الاحتفال بالسنة الميلادية لذيد أما الاحتفال بذلك في الهجرة فشيء مموجج أو لعله شيء رجعى !! ..

المهم أن الإنجليز بعد أن ألغوا الكلية الصلاحية، واطمأنوا إلى أنه لن يكون للإسلام دعوة مرشدون في فلسطين رأوا أن يستجلبوا إلى الأرض المستباحة ملايين أخرى تثير الفوضى الدينية فيها، وتبلل الأفكار، وتكثر الظروف المهيأة لقيام إسرائيل وهي من قبل شجعوا البهائية، واحتضنوا طاغيتها الداهية عباس عبد البهاء، ورفعوا منزلته مادياً وأبياً، فجعلوا «عكا» كعبة اليهوديين المبئوثين في بقاع شتى، وربطوه بفلسطين روحياً وتوّقوا الصلات بين المحافظ البهائية ودعوة الصهيونية، حتى تخدم إحداهما الأخرى ويظاهراً جمعياً على الإسلام.

بيد أن ذلك لا يكفي فلابد من استقدام القاديانية إلى فلسطين هي الأخرى كى تشارك في صنع الشتات الإسلامي وتمهد للوجود اليهودي.

وغلام أحمد منذ نشأ في الهند كان صوت سادته ومنفذ إرادتهم، وأذكر أنني لما زرت «أوغندا» منذ عامين وجدت مسجداً للمقاديانية في أعظم ميادين العاصمة .. وشاء الله أن ينفرض هؤلاء السمسار من «أوغندا» بعد أن انقطع الاستعمار الإنجليزي منها ..

لκنهم في فلسطين بعد أن تركت لليهود يبنون بها دولتهم التي رفع الإنجليز قواعدتها .. والمجلة التي نقلنا عنها خبر الكلية الصلاحية البائسة تذكر النشاط

القاديانى داخل إسرائيل وكأنه ولد ونما بطريقة طبيعية، فهى تسوق القصة على هذا النحو :

لقد كان الأستاذ المولوى جلال الدين شمس أول مبشر أو فد من قبل الخليفة الثانى للجماعة الأحمدية إلى بلدان الشرق الأوسط. وذلك فى أواخر العشرينات من هذا القرن، وكان قد مهد لهذه الحملة حضرة المولوى زين العابدين أستاذ تاريخ الأديان فى كلية صلاح الدين الأيوبي فى القدس.

وقد بدأ عمله فى دمشق الشام إلى أن اضطر إلى الانتقال لمدينة حيفا بفلسطين بسبب المعارضه الشديدة التى لقيها من علماء المسلمين هناك وبناء على طلب من الحكومة الفرنسية آنذاك.

وفى حيفا أسس جماعة وبشر بدعاوة المهدى زمنا ما حتى تبنى له الاتصال بأهل قرية الكباير الواقعه على جبل الكرما والمجاورة لحيفا فقبل معظم سكانها الأحمدية وأقام بها مركزاً تبشيرياً سنة ١٩٢٩م وفى السنة التالية بني المسجد الموجود حالياً ثم أضيفت إليه دار التبليغ، وأنشئت سنة ١٩٣٤م المطبعة الأحمدية وبدأ المركز يصدر مجلة (البشرى) وهى المجلة الأحمدية الوحيدة فى بلاد الشرق الأوسط التى ما زالت تصدر بإسرائيل كما بشر فى الحال بفتح مدرسة ابتدائية لتعليم البنين والبنات وكذلك مدرسة ليلية لتعليم الكبار.

وقد تطورت المدرسة مع الزمن إلى أن أصبحت اليوم تضم ثمانية صفوف ابتدائية وروضة أطفال ولها بناء أنيقة وقاعة جميلة.

والمدرسة الأحمدية فى الكباير هي أيضاً المدرسة الإسلامية الوحيدة فى البلاد التي تدار بصورة مستقلة عن جهاز التعليم الحكومى.

لقد كان المركز فى الكباير حتى قيام دولة إسرائيل يشرف على الأعمال التبشيرية الأحمدية فى جميع بلدان الشرق الأوسط. وكانت الكباير نقطة انتقال للمبشرين القاصدين من الشرق إلى الغرب أو العائدين من الغرب إلى الشرق.

لكن نشاطه انحصر بعد سنة ١٩٤٨م في إسرائيل وحدها ..

وبعد حرب الأيام الستة سنة ١٩٦٧م امتد نشاط الجماعة إلى الضفة الغربية وإلى قطاع غزة، وللأحمدية اليوم عدد غير قليل من الأتباع فى هاتين المنطقتين.

ولابد من التنويه إلى أن الجماعة الأحمدية فى إسرائيل تمارس نشاطها بحرية ولها مكانة محترمة لدى الأوساط الرسمية والشعبية فى هذا البلد.

ويشرف على المركز اليوم الأستاذ بشير الدين عبيد الله تساعدة هيئة إدارية يتبعها أفراد الجماعة المحلية، وكذلك جمعية خدام الأحمدية للشباب ولجنة إماء الله للنساء يقمن كل يوم بواجباتهن نحو الجماعة تحت رعاية العبارة.

وفي الكبارير اليوم نحو ثمانى مائة أحمدى يكونون الغالبية الساحقة من سكان القرية . . والمعروف أن كلتا النحلتين المبتدعتين، البهائية والقاديانية، تخدم الاستعمار العالمي وتشد أزره في ضرب الإسلام والعدوان على أمته، وهى لون آخر من التبشير يتفق في الغاية ويختلف في المنهج .

وليس كل مدد يصل إلى المبشرين من الشعوب الأوروبية والأمريكية يتسم بالعدوان. ويتعذر مقدمه التيل منا والعدوان علينا . . ففي الدهماء عدد كبير من السذج والقاصرین يحسب أنه يرضي الله بما يبذل من مال . . وربما عذر حكومته وهي تبشر أحط وسائل الفتنة والسرقة للعقائد وال المقدسات . .

على أن الحكومات الاستعمارية عقدت صلحا دائمًا بين ضميرها وهوها، وأفتعلت به نفسها ورعاياها، واستمرأت بمقتضاه تسخير الدين في تحقيق ما تسعى وراءه من أطماع . .

والتبشير يتطلب أمرين متكاملين:

أولهما: العنوان الذى يستر خبيته ويجعل له - فى الظاهر . . وظيفة أخرى ثقافية أو اجتماعية أو طبية . . إلخ يمضى تحت شعارها إلى هدفه .

والثانى: وهو فى نظرنا شديد الخطورة - تكوين الظروف التى تشغل الشعوب بحوار مفتعل، أو قضايا وهمية، أو مسالك محيرة تتبدد فيها الطاقة، وتشعب الآراء والأهواء .

إن هذه الظروف المصنوعة تشبه سحب الدخان الذى تحرك خلفها الجيوش الزاحفة، فلا يوضع أمامها عائق ولا يوقفها استعداد أو حذر .

وما أشك فى أن التبشير العالمى، جند أفلاما كثيرة فى الأمتين العربية والإسلامية:

* تشن حربا من الصمت مثلا على كتب جيدة نافعة لتقدم أخرى ضارة تافهة . .
* أو تطفئ شعلة من الحق فى مكانها قبلما تتحول إلى سراج وهاج لو تركت للنمو الطبيعي . .

* أو تخلق سرابا من المناهج تحدو إليه ألف الشباب ليلهثوا فى طلبه ثم بعودوا بعفى حينين .

* أو تسوى بين اليقينيات والأوهام لتهدم مكانة الأولى وما ينبع لها من قداسة أو تدخل في الجهة المناوئة لها كى تساعد على جعل قيادتها معتلة هزيلة . . .
 المهم إحداث ثبات وبعثرة فى الوقت الذى يجذب فيه رجال التبشير للقيام بدورهم كاملاً والميدان خال من الحراس ، أو الحراس مشغولون فيه بغيرهم .
 وقد وصل الذين يعملون فى خدمة الأغراض التبشيرية إلى أعداد رهيبة ، ونقل هنا ما ذكرته مجلة دعوة الحق التى تصدرها وزارة الأوقاف المغربية فى عددها الأخير قال :

نشرت دائرة معارف الكنيسة (إسكلوبيديا) الأرقام التالية عن النشاط الكنسى :

١ - لدى الكنيسة الكاثوليكية ٢٥٠،٠٠٠ ألف متفرغ فى العالم (مبشرين) بينما يبلغ مجموع العاملين لخدمة الكنيسة الكاثوليكية ١،٦٠٠،٠٠٠ مليون وستمائة ألف نسمة .

٢ - خلال ربع قرن من عام ١٩٢٥ إلى ١٩٥٢ حول المبشرون ١٣،٠٠٠،٠٠٠ ثلاثة عشر مليون شخص إلى الكاثوليكية بمعدل نصف مليون سنوياً .

٣ - لدى الكنيسة البروتستانتية ٤٣،٠٠٠ ثلاثة وأربعون ألف متفرغ (مبشرين) يديرون ١٦٠٠ ألفاً وستمائة مركز ومستشفى فى العالم لأغراض التبشير .

وقد زاد عدد البروتستانت فى ربع القرن من عام ١٩٢٥ إلى ١٩٥٢ حوالي ٣٠،٠٠٠،٠٠٠ مليوناً وثلاثين مليوناً والجدير بالغريب أن هذا النشاط الباهر يتم فى صمت ، وأن صحيفنا البارعة الذكية متواصية على كتمانه ، زاهدة فى الإشارة إليه .

وتنتحق بحرب التبشير حرب الإسكان والتهجير ، وقد تمت - بتأمر عالمي - جريمة محو الوجود العربى فى فلسطين ، وتسليم الأرض إلى المستوطنين اليهود المجلوبين من أطراف الدنيا ..

وقد ذكرنا فى بعض كتبنا :

كيف أخذت إنجلترا جزيرة قبرص من تركيا ، وكانت إسلامية خالصة ثلاثة عشر قرناً فاستقدمت إليها المستوطنين اليونانيين حتى كادت تذهب بصفتها الأولى ، وتقوم الآن حركة لضمها إلى اليونان التى لم تعرف هذه الجزيرة من بدء التاريخ . . ! !
 وفي ظلام الغفلة والصمت تحاول عناصر معينة شراء أراض ذات قيمة تاريخية أو عسكرية ثم تحشد أتباعها فيها ليظهرروا بعثة بمطالب شاذة يحميها القانون . . ! !

ولا أدرى إلى متى يبقى العرب والمسلمون ذاهلين عن مصيرهم مع تلك المؤامرات المدروسة التي تقاجئهم بين حين وحين . .

ولا أحسن غضاضة من التنبية إلى قضية تحديد النسل ، إن أعداء الإسلام يعرفون النتائج المادية والمعنوية التي تترتب على الكثرة العددية للأمة الإسلامية ، ومن ثم يجتهدون في إيقاع المسلمين - وحدهم - بجدوى قلة النسل ، وأقول مؤكداً - وحدهم - لأن رؤساء الأديان الأخرى أجمعوا أمرهم على تكثير نسلهم . .

ومن المفيد أن أذكر أن المسلمين في الأقطار الشيوعية بعد ذبول معرفة الأسباب أخذوا يكثرون .

لعل هذه الكثرة مصداق المثل السائر « بقية السيف أنتي » !!

وقد قرأت دراسة علمية دقيقة نشرتها مجلة (دعوة الحق) في هذا الموضوع ختمته بهذه الححقائق « بعد انحسار دام نصف قرن على الأقل أخذ المسلمون يتزايدون ، تزايداً طبيعياً كبيراً في المناطق التي درسناها وبهذا زادت نسبتهم في السنين الأخيرة في البلاد الشيوعية الأربع (الاتحاد السوفييتي ، يوغسلافيا ، ألبانيا ، بلغاريا) ، التي سبقت دراستها . .

* فمن بين كل ألف سوفييتي كان ١١٣ مسلماً سنة ١٩٣٩ فصار ١٣٦ مسلماً سنة ١٩٧١ .

* ومن بين كل ألف يوغسلافي كان ١١٢ مسلماً سنة ١٩٣١ فصار ١٥١ مسلماً سنة ١٩٧١ .

* ومن بين كل ألف ألباني كان ٦٨٦ مسلماً سنة ١٩٣٠ فصار ٧٠٧ مسلمين سنة ١٩٧٩ .

* ومن بين كل ألف بلغاري كان ١٣٣ مسلماً سنة ١٩٤٩ فصار ١٧٠ مسلماً سنة ١٩٧١ .

وهذا هو نفس الوضع في معظم بلاد العالم حيث يتزايد المسلمون أكثر من غيرهم وهذا يكشف هدف الدعايات الخبيثة لتحديد النسل بين المسلمين .

فواجب كل مسلم من جهة الوقوف ضد هذه الدعايات ومن جهة أخرى العمل على تحسين وضع المسلمين المادي ووضعهم المعنوي .

ونحن نضع بين أيدي قرائنا هذه المعلومات ليدركوا الكثير مما يغيب عمداً عن العيون .

* * *

عدوان إلى آخر مرق

أشارت صحف القاهرة إلى مرحلة جديدة من مراحل العدوان على أرض العروبة والإسلام .

والمرحلة التي يتم إنفاذها في صمت ، والتي تعرض أنباءها تحت عنوان خادع ، تقوم على إسكان خمسين ألف يهودي في بلاد العبše في منطقة « غوندار » التي تقع على الحدود السودانية العبšeية ! وقد عرض حكام العبšeة خمسين ألف فدان يمكن استصلاحها لتكون نواة المهجـر الجديد .

وربما سـأل القارئ : لماذا لا يأخذ هؤلاء اليهود طريقـهم إلى إسرائيل بـدل العبšeة ؟ والجواب : أن هؤلاء اليهود من الدرجة الثانية ، ويطلق عليهم « الفلاشا » وفي نسبـهم إلى اليهودية غموض ، وكانوا يعيشـون في الشرق الإفريقي معيشـة ظاهرة التخلف ، ويرتـزقون من بعضـ الحرف البدائية ..

حتـى نظم الغرب العلاقات بين العبšeة وإسرائيل من النواحي الروحـية والاقتصادـية والسياسـية فأخذ وضع « الفلاشا » يتحـسن ، والتـتحقق عددـهم بـوحدات الشرطة ، وفرق الجيش الأثيوبي ، وصـعدوا في مـدارج التـرقـى حتـى أصبحـ لهم عضـوـ في مجلس الوزراء !!

وقد تولـت إسرائيل إنشـاء مـدارس في منطقة « غوندار » يـتربي فيها الفلاشـيون على يـد مـعلـمين إـسرائيلـيين ، كما استـقدمـت بـعـثـاتـ منـهـم إـلى أـرـضـ إـسرـائيلـ (!) لـتـدـريـبـهم التـدـريـبـ الذي يـحقـقـ الأـغـرـاضـ المرـجوـةـ فيـ مستـقبلـ ليسـ بـبعـيدـ !!

ولـعلـ ما يـحقـقـ زـيـادةـ التـقارـبـ والـالـتـحـامـ بينـ إـسـرـائـيلـ وأـثـيـوـبـياـ أنـ توـضـعـ الخطـطـ الصـارـمةـ كـيـ يـنـكمـشـ نـشـاطـ الـكـثـرةـ الـإـسـلـامـيـةـ التـانـهـةـ فـيـ الـعـبـšeـةـ ، فـلاـ يـسـمـعـ لـهـ صـوتـ . بلـ لاـ يـحـسـ لـهـ وجـودـ !!

وذلك حتى تجد أمداداً لا مقطوعة ولا منوعة من الدعم الأثيوبي لاقتصادها، ومن ثم تستطيع أن تمزق العرب، وتضرى عليهم.

و يوم تلقط العروبة أنفاسها فإن شمس الإسلام ستتجه إلى الغروب.

وهذا هو ما يستهدفه الاستعمار الناشط وراء سياسة «أثيوبيا» وقيام إسرائيل .. !!

وخطة توطين بعض اليهود في الحبشه التي شرحتها جريدة «جويش كروننكل» اليهودية ، والتي تعمل لها الوكالة اليهودية من بضع سنين ليست في نظرنا أمراً إذا بال !! وأحسيني قريباً من الصدق إذا قلت: إن هذا أخف الطعنات التي وجهها الاستعمار علينا. فإن الدم الإسلامي النازف بزيارة في الشرق الإفريقي يكشف عن مأساة فاجعة تقع وراء أسوار من السكون المفتعل، وأخشى لأنصحو حتى تكون الضحية قد طواها العدم.

والضحية هنا شعب مسلم كبير هو شعب «أرتيريا».

إن مسلمي أرتيريا يقاتلون قتال المستعمر منذ ربعة قرون ليظفروا بحريتهم الدينية واستقلالهم السياسي ، ضد استعمار باطش ، أعماء الحقد، وأغرته السلطة ..

ومع فداحة الخسائر التي نزلت بهم فهم لم يضعوا السلاح ولم يستسلموا للإيأس، وجبهة تحرير أرتيريا تعمل بابيامان ومصابرها لاستبقاء الإسلام والعروبة على أرض الأجداد ، وتقاوم سلطان أثيوبيا وهو يهجم بالسلاح الأمريكي لمحو هذا كله .. !!

إن جبهة تحرير أرتيريا تقوم بالعمل التاريخي الضخم الذي قامت به من قبل جبهة تحرير الجزائر ، والذي تقوم به الآن جبهة تحرير فلسطين !

ويظهر أنها تلقى من أعداء الإسلام في ميدانها الصعب مواجهة أعتى وعدونا أعنف، لأنهم يخشون أن يكون مصيرهم مصير أغلب المستعمرات في البلاد التي استردت حريتها .. .

إن هذا التوجس يجعل الجيش الأثيوبي غاشماً في سطوه، طاغياً في عدوه ! وهكذا نموذجاً لما يقع هنالك من مصائب طامة ذكرها الصحافي السويدي «لارزبرو» رئيس تحرير مجلة «كانلوسبوستن» وزميله «برتل روبن» عضو البرلمان السويدي - وكانا في زيارة خاصة لأرتيريا :

* في يوم عاصف تدللت فيه الستان وعشرون جثة من جثث الثوار على أعود المشائق في مدينة كرن، إحدى مدن أرتيريا الرئيسية.

وفي الوقت نفسه كانت تتدلى سبع عشرة جثة أخرى بمدينة قندع الواقعة بين أسمرة العاصمة، ومصوع المينا».

يا حزنا على أمة الإسلام، ما أرخص دمها، وأهون أحراها..!
تسعة وتسعمون بطلا من رجالات الله تأرجح جثثهم في مهاب الريح دفعة واحدة
على هذا النحو الرهيب !!

نكايا بأتبع محمد، وترويعا للطلاب للجهاد، وإذلا لا لحرار الناس.
معرض للردى تمثل فيه كل ضعاف البشرية الخسيسة على الدين الذى رفع قدر
الإنسان.

وتبرز من خلاله الأحقاد التي ورثها المستعمرون الجدد عن الصليبيين الأقدمين.
تلك الأحقاد التي لا يخف مع الزمن سوادها، والتي تحيرنا نحن كيف نصفنها
ونستريح من نارها ودخانها.. .
إن الكثرة المسلمة في أرتريا كاختها المسحوقه داخل الحبشه تتعرض لحرب إبادة
حقيقة.

وقد بدأت محنـة هذا القطر التعيس منذ قضت هـيئة الأمـة المتـحدـة بضمـه إلى أثـيوـبيـا
عـلـى رـغـمـ أـنـفـهـ . وـمـعـ أـنـ هـذـاـ الضـمـ أـخـذـ أـولـ الـأـمـرـ صـورـةـ اـتـعـادـ «ـفـيـدـرـالـىـ»ـ إـلـاـ أـنـ سـرـعـانـ
ماـ تـحـولـ إـلـىـ إـذـابـهـ لـلـقـطـرـ المـسـتـضـعـفـ ،ـ إـفـاءـ لـشـخـصـيـتـهـ ،ـ وـلـفـتـهـ ،ـ وـدـيـهـ وـتـارـيـخـهـ ،ـ
وـمـسـتـقـبـلـهـ !!

ويـدـهـيـ أـنـ يـقاـومـ مـسـلـمـوـ أـرـتـيرـياـ كـمـاـ إـخـوانـهـ فـيـ الـجـزاـئـرـ وـفـلـسـطـيـنـ مـنـ قـبـلـ ،ـ
وـهـنـاـ جـنـونـ الـمـعـتـدـلـينـ وـحـاـولـوـاـ بـوـحـشـيـةـ هـائـلـةـ أـنـ يـتـهـرـاـ مـنـ الشـوـرـةـ الـأـيـةـ ،ـ فـاجـتـاحـوـاـ
عـشـرـاتـ الـقـرـىـ يـحـصـدـوـنـ مـنـ فـيـهـاـ وـمـاـ فـيـهـاـ بـاـزـارـ صـاصـ وـالـقـنـابـلـ .ـ
غـيـرـ أـنـ الـأـبطـالـ الـمـجـهـولـينـ يـظـمـنـوـاـ صـفـوـهـمـ فـيـ جـبـهـةـ تـحـرـيرـ شـجـاعـةـ مـثـابـرـةـ ،ـ قـاتـلتـ
الـجـيـشـ الـأـيـوـبـيـ وـأـذـلـهـ فـيـ مـعـارـكـ شـتـىـ !!

وـفـيـ الـعـامـ الـمـاضـيـ ،ـ فـرـ القـرـوـيـوـنـ الـأـرـتـيرـيـوـنـ أـمـامـ حـمـلـةـ اـنـقـاطـ حـبـشـيـةـ شـدـيدـةـ شـتـهاـ
عـلـيـهـمـ اـجـيـشـ الـذـيـ سـلـحـهـ الـأـمـرـيـكـيـوـنـ تـسـلـيـحـاـ جـيـداـ ،ـ وـاجـتـازـ هـؤـلـاءـ الـبـاـسـوـنـ حـدـودـ
الـسـوـدـانـ فـيـ حـالـ مـنـكـرـةـ ،ـ فـقـدـ أـحـرـقـتـ قـرـاهـمـ وـمـزـارـعـهـمـ وـمـوـاشـيـهـمـ ،ـ وـاستـبـيـحـتـ
حـرمـاتـهـمـ ،ـ وـتـعـقـيـبـهـمـ الـغـارـاتـ الـمـلـحـةـ تـبـغـيـ الـفـضـاءـ عـلـيـهـمـ ،ـ وـتـنـاثـرـ مـوـتـاهـمـ دـوـنـ دـفـنـ
لـأـنـكـلـهـاـ الـوـحـوشـ !!

وـقـالـ شـاهـدـ عـيـانـ يـصـفـ هـؤـلـاءـ الـلـاجـئـينـ :ـ لـقـدـ كـانـواـ هـيـاـكـلـ بـشـرـيـةـ ،ـ وـكـانـ الـجـوـعـ
وـالـعـطـشـ قـدـ بـرـحـاـهـمـ وـهـدـاـ كـيـانـهـمـ .ـ

عـلـىـ أـنـ جـبـهـةـ تـحـرـيرـ أـرـتـيرـياـ مـضـتـ عـلـىـ درـبـ الـجـهـادـ الطـوـيلـ المـضـ .ـ
وـقـدـ عـرـفـتـ رـئـيـسـهـاـ الـمـؤـمـنـ الـمـصـاـبـرـ الـجـلـدـ الـأـسـتـاذـ إـدـرـيـسـ اـدـ رـئـيـسـ مجلـسـ

النواب السابق. كما قابلت الكثير من فتيان البلد الشاعر على الضييم، وتفرست في ملامحهم عزيمة الجهاد حتى لقاء الله . . .
إلا أن هناك حقيقة أحب أن أثبّتها في هذه الكلمة العجلة . . .

إن الأعداء القابعين وراء البحار يعملون على تهويذ فلسطين هم هم الأعداء الذين يعملون على تنصير أرتيريا، وإن اختللت أساليب الجريمة وأدوات التنفيذ . .
والغرض الظاهر الباطن لدى هؤلاء إصابة الإسلام في صميمه، وتمزيق أمته شذر مذر .

فما الذي يجعل العرب شديدي الجوار لمحنة فلسطين، منكري الصمت بإزاء مسلمي أرتيريا ؟؟

إن الجامعة العربية لم تكترث عندما سلب هؤلاء المسلمين استقلالهم وسلموا إلى الحشة لتسترق أعناقهم، وكان في مقدورها أن تقاوم وترفض .
لكن الجامعة العربية - ونقلوها كاسفي البال - لا تهتم بأمر المسلمين ولا تشغل بقضاياهم، وهي - إذ تستصرخ الضمير العالمي لأهل فلسطين - فعل ذلك إعلاناً لأخوة جنس وحسب !

والجامعة العربية إذ تؤثر هذا المسلك تخون دينها وتاريخها وتتفصل عن الأمة العربية ذاتها فلا تترجم عن مشاعرها ولا عن أمنائها . . .

بل إن الجامعة العربية تخون قوميتها المزعومة بتجاهلها قضية أرتيريا، فإن الشعب المسلم المضطهد هناك، يتكون من قبائل عربية الدم واللغة مثل الآلوف المؤلفة من سكان وادي النيل !

ولأندرى كيف تناسى السياسيون الجبناء هذه الحقيقة عندما صمتوا صمت القبور على وأد إخوانهم العرب ؟

والجامعة العربية إذ تتجهم للإسلام تفرق في مسلك مدنى انتهى أمره وانكشفت حقيقته فإن اليهود لا يستحقون من الانتساب إلى أيهم إسرائيل إذا استحق العرب من الانتساب إلى أيهم محمد !!

والأمريكيون لا يستحقون من عرض الإنجيل وتأيد بعثاته إذا استحق العرب من عرض القرآن وبلاخ رسالته .

فإلى متى تنقض الجامعة العربية يديها من قضايا الشعوب الإسلامية المأكولة في إفريقيا وغيرها ؟

بل إلى متى تعدد قضية فلسطين عربية خالصة وهي اليوم نهب عدوان دينى سافر يؤازره حقد تاريخي قديم ؟؟

إن العرب إذا خانوا الإسلام فلن يفيدوا من ارتداهم إلا الضياع والمعرة وسيتحقق لهم قوله تعالى « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالأخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينتصرون »^(١).

إن هذه الميوعة باسم السياسة انتهت بالقضاء على العروبة في أرتيريا، فإن السلطات الأثيوبيّة شنت حملات شعواء على اللغة العربيّة - وهي لغة البلاد الرسمية وفق المادة ٣٨ من دستور أرتيريا - وبدأت هذه الحملات بإهمال الطلبات والعرائض المكتوبة بهذه اللغة، ثم بازالة اللافتات العربيّة .

واستطاعت أخيراً أن تمنع تدريسيها في شتى مراحل التعليم الرسمي منه والشعبي، عندما عزز الأثيوبيون سيطرتهم السياسية سنة ١٩٥٦.

وقد أحرقت الكتب العربية التي استوردها وزير المعارف الأرتيري من القاهرة.

أما خريجو الجامعات العربية فيمنونون نصف مرتب خريجي الجامعات الأخرى حتى تموت رغبة الشباب في كل دراسة عربية.

وفي سنة ١٩٦٣ منعت الجبنة تدريس الإسلام إلا باللغة الأمهرية لأنها تعلم أنه لا يوجد كتاب واحد عن الإسلام بهذه اللغة.

وهكذا قضت الحبشه بجرة قلم على مستقبل دين وشعب ، والعرب ينتظرون
واجئين .

ومعروف أن للأمريكيين قواعد كبيرة في أرجاء البلاد، تحرس الاستعماريين الديني والسياسي في هذه البقاع المنكوبة، وقد ذكرت جبهة الشوار أنها في بعض الاشتباكات من الأحيان سقطت طائرة هليوكوبتر أمريكا كانت تساعد المعذبين !

ونحن لا نستغرب هذا المسلك، وإنما نستغرب أن يترافقه عرب الشمال الإفريقي في خدمة دينهم ومساعدة أخوتهم ، في الوقت الذي ألف فيه الاستعمار مجموعات من الحكومات الحاقدة تطارد الإسلام وتتعقب أنصاره !!

إن جبهة تحرير أرتريا تلقى فنونا من الصد والتهرب من أناس يخونون قوميتهم
وعقيدتهم على سواء !!

* * *

٨٦ - البقرة (١)

سير الأئمَّة بين الأصالة والتجديـد

لو أن استمساك المسلمين بدينهم ضرب من التقليد الجهول، أو التعصب الذميم،
لكتن أول الناقمين والمحاربين له ! ولكن المسلمين المتشبّثين بدينهم في وجه
ضفوط هائلة، ومكايد ظاهرة وباطنة، يفعلون ذلك عن وعن سليم واقتاع كريم .. .
ولو أن دعاء التحلل ونبذ الماضي، أو التطور والانطلاق مع المستقبل - كما
يقولون - يؤثرون هذه الوجهة بعد مقارنة ودراسة، وحوار مفتوح، ونقاش نزيه،
لأنكنا لهم شيئاً من الحرمة، وعذرناهم عندما يخالفوننا في رأى !!
ولكن هؤلاء يريدون بالختل حيناً، وبالعصا حيناً آخر، أن يصرّفوا الجماهير عن
غايتها، ويقتلونها عن عقيدتها .. .

فإذا عز عليهم بلوغ مأربهم وجدت أعداء الرأى الحر يصفون غيرهم بالجمود !
ووجدت أذناب التيارات الدخيلة يرمون سواهم بالتقليد ! ووجدت عملاء النحل
الفسدة، قديمة كانت أو محدثة، يتهمون رجال الإسلام بال مختلف . . . !!

ومع أن الإسلام متذبذباً إلى يوم الناس هذا، دعوة إلى الحياة والابتكار، وإلى الفكر الذكي والنشاط الموصول. فقد انقلب صورته في أذهان هؤلاء، وأصبح وحده، دون سائر الملل والمذاهب سبب التوقف، وأصبح دعاته حصن الرجعية، وآفة المجتمع، وغير ذلك من النعمات التي يخترب عنها سمسارة الغزو الثقافي.

لقد تقدمت اليابان منذ أكثر من قرن، ولم يجد رجالها حرفاً من الارتفاع بالعلم العصري في مجاليه النظري والتطبيقي دون أن يعلنوا حرباً على ماضيهم، ودون أن يشبّكوا مع الشعب في حرب ضروس ليصرفوه عن ديناته الوثنية.

وتقدمت الولايات المتحدة في ميدان الارقاء العام مع حرصها البالغ على حماية
شئ المذاهب الكنسية، بل على نشرها هنا وهناك !!

ولقد قرأت وصفاً لتكفين الرئيس كندي بعد مقتله نشرته مجلة المختار في يناير

سنة ١٩٦٤ ، وهو وصف ينضح بمكانة النصرانية وتقاليدها وإطباقي الرسميين والشعبين على احترامها ، جاءت في الوصف المذكور هذه العبارة :

«في الساعة الثانية عشرة والدقيقة السابعة والخمسين بعد الظهر ، أى بعد ساعتين وعشرين دقيقة من اغتيال «كينيدي» استدعى اثنان من القسّس الكاثوليك في «دالاس» هما الأب «أوسكار هوبر» والأب «تومسون جيمس» ليكونا إلى جوار الرئيس .

وسحب الأب هوبر الغطاء عن وجه الرئيس ثم غمس سبابته في «الزيت المقدس» ، ورسم علامة صليب صغيرة على جبهة كينيدي ، وقال باللاتينية : إنني أغفر لك كل لوم وخطايا باسم الأب والابن والروح القدس أمين !! وإذا كنت حيا فليغفر الله بهذا الزيت المقدس كل خططيك .. !!

هذه التقاليد المسيحية في أمريكا لم تعلن عليها حرب شعواء حتى تستطيع الشعوب التقدم ، وتساير موكب الزمن الزاحف كما يهدف بينما بعض من لا وزن لهم من حملة الأقلام المرموقة !!

لقد بقيت هذه التقاليد وحدها ، ومضي الأمريكيون في طريقهم يغزون الفضاء حيناً ، ويمدون يعثاث التبشير بالعونين المادي والأدبي حيناً آخر .

ولترك اليابان والولايات المتحدة ولتنظر إلى إسرائيل ، عدونا اللدود !

إن قيام هذه الدولة على الدينحقيقة أوضح من فلق الصبح .

والآلاف المؤلفة من اليهود الذين يقيمون في أمريكا يمدونها بما في طاقتهم من جهد لنهض وترسخ ..

وهم يدفعون السياسة الأمريكية دفعاً إلى هذا المجرى المكشوف مستجبيين بذلك لنداء الأخوة الدينية اليهودية ، ومستغلين العداء التاريخي نحو الإسلام وأمته من مواريث الصليبية القديمة .

ومع هذه الحقائق الملموسة ، فإن العصابة المتاجرة بالقلم في بلادنا تنكر أن يكون للدين أثر في الجبهة المعادية لنا ! لماذا ؟؟

حتى تخفت الأصوات التي تطلب إحياء الإسلام بين العرب .. !!

حتى تكون الحرب ذات طابع ديني هناك وذات طابع مدنى هنا .. !!

إن تمويل الإسلام هدف مقصود لذاته ، ولو كان في ضياعه ضياع العرب ، ففشل قضيائهم ، وتمزيق شملهم ، واضمحلال أمرهم إلى الأبد !!

وأنا أعلم كما يعلم غيري أن هناك يهودا لا يتجاوزون مع إسرائيل، فما دلالة هذا؟ هل إذا كره بعض الإنجليز الاستعمار وصفنا الشعب الإنجليزي بأنه بريء من الاستعمار، وأنه لا يحمل تبعات حروبـه الدنسة في إفريقيا وأسيا وغيرهما بضعة قرون؟

إنـا لم نصف كلـ يهودـي على ظـهـرـ الـأـرـضـ بأنـهـ مـعـتـدـ عـلـىـ العـرـبـ،ـ ولـكـنـاـ نـصـفـ الجـمـهـرـةـ السـاحـقـةـ منـ الـيهـودـ بـأنـهـاـ مـنـ وـرـاءـ قـيـامـ إـسـرـائـيلـ عـلـىـ أـنـقـاضـنـاـ يـدـافـعـ دـينـيـ أـعـلـىـ سـاسـتـهـمـ وـقـادـتـهـمـ.

فـلـمـ الـمـارـاـةـ فـيـ هـذـهـ الـحـقـائقـ الـعـصـلـةـ؟

بيـدـ أـنـ الـذـيـنـ يـغـوـنـ بـإـعـادـ الـإـسـلـامـ عـنـ مـيدـانـ الـكـفـاحـ،ـ بـإـعـادـهـ عـنـ أـسـبـابـ الـحـيـاةـ أـوـ إـعـادـ أـسـبـابـ الـحـيـاةـ عـنـهـ يـمـضـونـ فـيـ طـرـيقـهـمـ مـكـابـرـ مـعـانـدـيـنـ.

فـعـنـدـمـاـ خـطـبـ رـئـيـسـ الدـوـلـةـ فـيـ عـيـدـ الـقـاهـرـةـ الـأـلـفـيـ،ـ وـارـتـقـبـ «ـكـيـفـ تـسـتـضـعـ شـعـورـنـاـ أـنـ تـوـقـعـ بـيـنـ الـأـصـالـةـ وـهـيـ التـارـيـخـ،ـ وـبـيـنـ التـسـجـيـدـ وـهـوـ الـمـسـتـقـبـلـ»ـ قـلـناـ -ـ نـحـنـ المؤـمنـيـنـ مـنـ أـبـنـاءـ هـذـاـ الـوـادـيـ -ـ إـنـ هـذـهـ عـبـارـةـ تـدـعـوـ إـلـىـ التـفـاؤـلـ،ـ إـنـهاـ تـوحـيـ بـأنـ بـنـىـ عـلـىـ قـوـاعـدـنـاـ،ـ وـأـنـ نـنـدـفـعـ مـعـ تـيـارـاـ،ـ وـأـنـ نـتـجـاـوبـ مـعـ طـبـانـعـنـاـ الـعـرـبـ الـمـسـلـمـةـ.

فـالـأـصـالـةـ فـيـ حـيـةـ أـمـةـ هـيـ صـورـتـهـاـ الـرـوـحـيـةـ،ـ وـصـيـغـتـهـاـ الـفـكـرـيـةـ وـالـخـلـقـيـةـ،ـ وـمـلـكـاتـهـاـ فـيـ تـوـجـيـهـ الـحـيـاةـ وـقـقـ عـقـيـدـتـهـاـ وـشـرـيـعـتـهـاـ.

وـإـذـاـ كـانـ لـنـاـ نـحـنـ الـعـرـبـ تـارـيـخـ لـامـ وـحـضـارـةـ مـشـهـوـدـةـ فـمـرـدـ ذـلـكـ:ـ أـجـمـعـ إـلـىـ الـإـسـلـامـ وـحـدـهـ.

وـتـسـتـطـعـ الـأـمـةـ الـذـكـيـةـ أـنـ تـوـاـنـمـ بـيـنـ جـذـورـهـاـ فـيـ الـمـاضـيـ وـحـرـكـتـهـاـ إـلـىـ الـمـسـتـقـبـلـ ..ـ وـإـذـاـ سـهـلـ ذـلـكـ عـلـىـ أـمـمـ ذـاتـ تـوـارـيـخـ تـافـهـةـ أـوـ أـديـانـ شـائـهـةـ،ـ فـكـيـفـ يـصـعـبـ عـلـىـ أـمـمـ أـسـاسـهـاـ الـإـسـلـامـ باـعـثـ الـحـبـيـةـ فـيـ اـنـرـفـاتـ الـهـامـدـ،ـ وـمـوـقـدـ الشـرـ فـيـ الـحـجـرـ الجـامـدـ ٩٩

إـلـاـ أـنـ جـرـيـدةـ الـأـهـرـامـ ظـلـعـتـ عـلـيـنـاـ بـحـدـيـثـ لـلـمـسـتـشـرـقـ جـاكـ بـيرـكـ،ـ يـفسـرـ فـيـ الـأـصـالـةـ تـفـسـيرـاـ مـقـلـوـبـاـ،ـ وـبـرـدـهـاـ إـلـىـ عـنـاصـرـ مـادـيـةـ وـأـلـيـةـ ..ـ وـبـرـتـابـ فـيـ قـيـمةـ الـأـخـلـاقـيـاتـ وـالـأـدـبـيـاتـ وـالـجمـالـيـاتـ مـنـ حـيـثـ هـيـ الـمـعـالـمـ الـأـوـلـىـ لـلـأـصـالـةـ ..ـ !!ـ

وـبـرـىـ هـذـهـ الـمـسـتـشـرـقـ اللـيـبـ أنـ بـنـاءـ السـدـ العـالـىـ دـلـالـةـ بـارـزـةـ عـلـىـ الـحـضـارـةـ الـمـصـرـيـةـ «ـالـأـصـيـلـةـ»ـ،ـ ثـمـ يـمـضـيـ فـيـ حـدـيـثـ مـوـغـلـ فـيـ التـنـصـيلـ وـالـلـفـ إـلـىـ أـنـ يـكـشـفـ عـنـ فـسـهـ أـخـيـراـ،ـ أـوـ يـكـشـفـ عـنـ الـهـدـفـ الـذـيـ اـسـتـقـدـمـتـهـ مـنـ أـجـلـهـ جـرـيـدةـ الـأـهـرـامـ فـيـقـولـ تـحـتـ

عنوان «ليست الأصالة هي العودة إلى الماضي»: «لقد ولّى إلى الأبد بمحاسنه وعيوبه كل ما سبق الثورة الصناعية المعاصرة التي اجتاحت وما تزال تحتاج كل أنحاء العالم وكل صفات الحياة الإنسانية، فردية كانت أم جماعية.. والأصالة اليوم أن تكشف ذواتنا وأن نهينها للانسجام مع عالم هذه الثورة الصناعية المكتسحة، وما هو أبعد منها».

ولا يحتاج المرء إلى جهد قليل أو كثير ليشعر بأن القصد من هذا الحديث منع العرب من التفكير في دينهم، والامتداد مع أصولهم السماوية ومثلهم النفسية والاجتماعية.

إن ألف الحيل تختلق اختلاقاً لجعل أمتنا تحيياً بعيدة عن بناءها الروحية حتى لو أحرقها الجفاف وأضنته الحيرة.. بل حتى لو تهدّدت بها الهزيمة وأحدق بها العدو، فلحساب من هذا كله !!

أما الثورة الصناعية التي أشار إليها هذا المستشرق فهي حصيلة الارتفاع العلمي الذي شاركت فيه شتى الأجناس والحضارات، والأمم الكبرى تستغل تفوّقها الصناعي في دعم فلسسفاتها الفكرية ومذاهبها الاجتماعية.

أى أن هذا التقدم الصناعي وسيلة لخدمة الأهداف الإنسانية للأمم كما تراها كل أمة، فالجهاز الصناعي الهائل في أمريكا يخدم المنهج الرأسمالي الذي أثره أصحابه. ومثله في روسيا يخدم المنهج الاشتراكي المضاد فكيف تحول الوسيلة إلى هدف كما يريد خداعنا هذا المستشرق ؟

إن الأصالة ترجع ابتداء إلى أسلوب الحياة الذي نريده لأنفسنا، وهذا الأسلوب لا ينفك عن أركان ديننا وأصول حضارتنا وتاريخنا..

وكما يستغل اليهود وغيرهم التفوقين العلمي والعملـي في إعزاز جانبـهم وفرض أنفسـهم يجب أن يعمل العرب وأن يربـطـوا ماضـيهـم بحاضرـهم !!

أفهمـهـ مشكلـةـ معتقدـةـ ومعـادـلةـ صـعـبةـ كـماـ يـصـورـ بعضـ الـكتـبـ ؟

هل ارتباط كل أمة بديـنـها سـائـغـ مـقـبـولـ أما ارتبـاطـنا بـإـسـلـامـنا فـمـشـكـلـةـ المشـاـكـلـ ؟

إن العـودـةـ إـلـىـ الـماـضـيـ فـيـ حـيـاتـناـ نـحـنـ العـربـ معـنـاهـاـ اـسـتـيقـاءـ الرـسـالـةـ الـتـيـ تـمـاـ

الـقـلـوبـ الـفـارـغـةـ وـتـنظـمـ الصـفـوـفـ الـمـعـوـجـةـ وـتـقـمـعـ الـأـهـوـاءـ الـفـاسـدـةـ وـتـجـعـلـ الـبـشـرـ عـادـاـ

لـلـهـ صـالـحـينـ وـخـلـفـاءـ عـلـىـ أـرـضـهـ مـكـرـمـينـ .

إن العودة إلى الماضي تعنى أن تستصحب الوحى الإلهى فى مسیرنا، ونستبقى هذه على طریقنا، أفذلك ما تخرج به صدور وتفتاظ منه أقوام؟
لماذا ارتفع هذا الحرج في المجالات العالمية لما عاد اليهود إلى ماضيهم وأقاموا باسمه دولتهم؟؟

لماذا لم تتجه جهود الغرب التبشيرية إلى اليابان الوثنية، واستماتت في ضرب الإسلام وحده وتنكيل بأتياع محمد؟
سيقول سماسة الغزو الاستعماري للعرب: إن العودة إلى الماضي تعنى أن نعود إلى رکوب الإبل.

وتحجاوز هذا الهازل لనقول لأصحابه: بل نريد من هذه العودة أن نهذب حيوانيتكم التي طفت، وجعلتنا أضحوكة الناس ..

فنى هذه الأيام واليهود جاثمون على صدرنا ممسكون بخناقنا تنشر جريدة الأهرام هذا الإعلان عن رواية جنسية تعرض في سينمات القاهرة، فنصف كيف سرت عاهرة رجلًا من بيته وكيف «تضمه إلى صدرها فنانًا تنقصه حرارة القبلة، وتشتهي هي الأخرى طعم الحب، وتبدأ بين الاثنين قصة، قصة الفنان المتزوج من امرأة تبدلت عواطفها، وقصة الفتاة الصغيرة الناضجة التي تشتهي ضياع المتعة واللهة !! وعلى الشاعرية، على النسبة القصيرة والطويلة والعربيضة تروى الأيام أحلى وأعلم قصة عشق إلخ^(١).

هذا هو أسلوب الحياة المتجددة التي نسلخ بها عن الماضي، ونواجه به عدوان الاستعمار والصهيونية على بلادنا.

هذا هو الأسلوب الذي يستأجر له مستشرقون يفسرون الأصلية بأنها جملة من العناصر المادية ..

وعلى هذا النحو تعمل السمرة الأدبية في إضاعة الماضي والحاضر والمستقبل جمیعا.

* * *

تناول الدين بين الحد والنزل

بين الإنسان العربي اليوم والإنسان العربي في صدر الإسلام بون بعيد بعيد .. قد يكون إنسان اليوم أفسر ملباً، أو أدهم مطعماً، وأفقره مركباً ولكنه من حيث الخصائص الروحية والعقلية تافه ضائع بالنسبة إلى أبيه الأول وسلفه العظيم .. !

لقد ظهر العرب - منذ بدا بالإسلام تاريخهم - أمة تقدو ولا تقاد، وتندفع ولا تندفع، وتمتنع الآخرين المعرفة والخلق والقانون والحضارة لأن ثروتها في هذه المبادئ هائلة وحاجة الغير ماسة، والرغبة في العطاء موفورة ..

أما عرب اليوم فيدهم السفلي ممدودة ترتفع العون المادي أو الأدبي من يعطي إذا شاء أو يأبى إذا شاء.

وقد يتقطتون اللطمة تلو اللطمة فما يستطيعون لغرض هوانهم أن يرفضوا ضيماً، أو يدركوا ثاراً ..

إن الفروق بين الإنسان العربي اليوم والإنسان العربي أمس جسيمة، لأن إنسان الأمس كان صاحب إيمان عميق، وخلق عظيم، وقدرة على الحياة خارقة، وهمة في اجتياح العوائق فائقة .. !

أما إنسان اليوم فعريان عن هذه الخصائص المعنية ..

ونحن نبذل جهود الجبارية كي نطوي المسافة بين حاضره وماضيه، كي نعيده إلى الدين الذي صنع أمجاده، وجعل له في الدنيا دوباً كبيراً، ولم يكن قبله شيئاً مذكوراً ..

والناس قد يأخذون الدين شكلاً لا موضوع له، وصورة لا روح فيها .. وهذا اللون من التدين قد يكون أسوأ من الإلحاد المكشوف، لأن التدين المصحوب بالضعف والبلادة والذهول والغفلة تدين سخيف مهين، لا وزن له عند الله، ولا أثر له بين الناس .. !

وعندما حاول بنو إسرائيل قديماً أن يأخذوا الدين بهذه الطريقة السمجة هددتهم الله جل شأنه بالسحق، أو يأخذون الدين أخذًا معقولاً ..

أجل لقد انتزع جيلاً من مكانه، وهددتهم بالدفن تحت ركامه، إذا كانوا سينتقلون تعاليم الدين بعزم خاتمة وفكرة غمضة .. قال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَقْنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَانَهُ ظِلَّةٌ وَظَنَّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بَعْدَهُمْ حَذَرُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِي لِعْنَكُمْ تَقْوَنَ ﴾^(١) .

وأخذ الوحي الإلهي بحماس باطن وظاهر، واستبصار ما فيه على نحو يتنى الفلة والسيان، أمران لا بد منهما للتدبر الحقيقي ..

والآلة التي تنظر إلى معالم وحيها بيرود، وقلة اكتاث، أو التي تغلبها أهواؤها فتنسى ما كلفت به وتمضي وفق هواها لا وفق هداتها، أمّة ليست أمينة على رسالة الله، ولا جديرة برعايته ..

وقد حكى القرآن لنا ما هدد الله به قديماً ببني إسرائيل حتى نعرف سراً من أسرار سخطه على الأمم.

وعندما أطيل النظر في أحوال العرب اليوم أحد علا تأخيرهم ظاهرة ..

لأن انتقامهم إلى الإسلام قشرة رقيقة على كنود غليظ !!

الناس يؤذون أعمالهم وكثيرهم ممثلون لـ يأخذوا أجراً، فلا إتقان، ولا إخلاص، ولا جد، ولا تضحيه .. !!

أسلوب الأداء خلو من العاطفة الحارة بل العقيدة الدافعة ..

التكاذب المستمر هو العمدة المتبادلة، والتوجه للحقيقة أساس في السلوك العام ..

وسائل السيارة يعجب أن يلقب بـ المهندس، والحلاق بالطبيب، والداعي بالرئيس الخ.

وجنون الرياء والظهور يفتث بالأفراد والأسر والطوائف ..

والغائز الحنسية تتحمّل السدود المفتعلة، وتسلك الآف الطرق المغوجة، بعد أن هجرت الحلول الصحيحة لمشكلاتها !

وضعف الشخصية يستقدم فوناً من تقليد المتصرين في الشرق والغرب، ويجعل المجتمع العربي خليعاً من المصححات لمبكيات يندى له الجبين ..

(١) الأعراف ١٧١

إن الإسلام عنوان غير صحيح للأمة الإسلامية المترامية الأطراف، وللأمة العربية التي تتولى بحكم لعنتها مكان القيادة لجماهير المسلمين ..

وقد نجح الاستعمار الأجنبي في:

١ - ألا نأخذ ما أوتيناه بقوة.

٢ - وألا نذكر ما فيه.

ومن هنا استطاع أن يصرفنا عن لباب ديننا، وأن يسلينا بالقشور الفارغة، وأن يدفعنا على مر الأيام إلى الخلاص منه، والارتداد النهائي عنه ..

وأنخرط ما بلغه بإيجاد مجتمعات خالية من فضائل العقيدة وروابطها والويل لأمة تمارس شتونها المختلفة، وأمرها فرط، وقلبها خرب، وعقلها هواء ..

وربما كانت سنة الله في الأولين تخويفهم بالخوارق حتى يرعنوا، ورفع الجبال فوق رؤوسهم كي يزعجهم فيستقيموا.

ولتكن الله ثم يرفع جبال «الراس» فوق عرب الأندرس حتى يدعوا مجنونهم وجحورهم، فإنه ترك بين المسلمين كتابا يقول لهم : «من يعمل سوءا يجز به »^(١).
فلا جرم أن يطربوا من ديار لم يحسنوا الخلافة عن الله ورسوله فيها !!

إن القرآن كتاب صارم الحكم على أبنائه وأعدائه جميعاً وعندما زعم أهل الكتاب السابقون أن الجنة حكر لهم، مهما كانت أعمالهم، كذب الله هذه الأوهام، وكشف أنه لا يستحق كرامته إلا من اتجه إليه بالعمل الحسن «وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصاري تلك آماناتهم قل هاتوا برهانكم إن كتم صادقين بل من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »^(٢).

فيما إذا كان العرب لا يولون وجوههم شطر دينهم ولا يتبررون إحساناً في أمورهم فهل يتوقعون إلا المخاوف والأحزان ؟

في الأمم الجديرة بالحياة والنصر يؤدى الواجب برغبة باطنة، ودقة ظاهرة، وينطلق الكبار والصغر إلى وظائفهم وحرفهم بباعث من الشوق، لا بسوط من الترهبة، ويتنافس المنافسون في إحسان ما بأيديهم ابتعاء وجه الله ومثوبته، وإخلاصاً للآلة ومستقبلها، قبل أن يكون شيء من ذلك نظير قروش أو جنيهات ..

(١) ١٢٣، ١١١، ١١٢ (٢)

وقد كان العرب الأولون - تمثياً مع تربتهم الدينية الأصلية - نماذج رائعة في هذه المجالات، فلما شبّت الأجيال الأخيرة في غير منابتها وأعزّها معنى الإيمان والشرف في حركتها وسكنها، خانها التوفيق في الحرب والسلم، في الداخل والخارج !!

وما أشك في أن العرب يتعرضون لعذاب الاستئصال إذا لم يأخذوا الإسلام بقوة، وينذروا ما فيه لعلمهم يتقوّن.

ما يمنع الإنسان العربي المعاصر أن يكون كأبيه القديم اعتصاماً بالوحى وامتداداً معه، وعيشاً في إطاره أو موتاً في سيله ؟

إن الوهدة التي تقلب في حماتها ما يقذنا منها إلا هذا المنهج المبين .

أما الدعاوى العريضة دون سند من يقين وفاء فقد افتضح خباؤها للخصوم والأصدقاء على سواء، وأضحت عديمة الغناء .

نحن فقراء إلى جيل آخر من الرجال ..

والرجولية المنشودة صفة أضافها القرآن الكريم على صنفين متميزين لم يمنحها غيرهما !!

الصنف الأول أولو النجدية والوفاء الذين يقولون الكلمة ويموتون عندها صدقاً مع ربهم واحتراماً لأنفسهم . . وكأنني أنظر إلى أنس بن النضر وهو يقول لرسول الله: غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين، أما والله لئن التقينا بالمرشكين ليرين الله ما أصنع !!

هذه يمين إنسان عارم الثقة بنفسه، وقدرته على الصمود والتضحية !

يعين من ورائها إيمان بعيد الآماد لا يزيف ولا ينبو !!

ولقد ثبت هذا الرجل في أحد، وتلاشى كيانه بين أسلحة أعداء الله، ولكنه هو وأنداته من الأبطال كانوا الجسر الذي عبر عليه الإسلام إلينا وإلى قرون أخرى لا يعلّمها إلا الله .

وتجدر بهم ما نزل فيهم من كلام الله الخالد : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من يتظاهر وما بدلوا تبديلاً » (١) ..

(١) - الأحزاب . ٢٣

أما الصنف الآخر من الرجال الذين نطلع إلى ملامحهم الطيبة الظاهرة فهم مدمنو الصلاة، عشاق المسجد، ذاكر والله بالغدو والأصال، أصحاب السرائر الصافية، والأيدي السخية، والضمائر المرافقة لربها، المستعدة ليوم الحساب « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسجح له فيها بالغدو والأصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تقلب فيه القلوب والأبصار »^(١). هل نطبع أن تربى الناشئة على هذا الغرار، وأن يكتثر في أمتنا هذا اللون من الرجال؟

إن العين تلمع أجساداً متحركة بالمارب الدنيا، وينام كبار وصغر نسوا الله فأنساهم أنفسهم، ذلكم هو الغثاء الذي يضيع به اليوم والغد.

فهل تتغير ليغير الله علينا .. ؟

إن الهراءن السود التي أصابتنا تعود قبل أي شيء إلى قلة الرجال الذين شرح الكتاب نعوتهم، ورسم مستواهم !

ان الرحولة عندنا صفة جسدية ترافق الذكورة، ومع ذلك فهى رجولة ترفض المشقات، وتعشق المللزات، وتحسب الشبع والرئ والزينة والظهور الشخصى مثلاً رفيعة !!

والكثرة من هؤلاء قلة !

والعراب بهؤلاء لاأمل فيه !!

قد أسأل نفسي : لماذا يخرج العمل شأنها أو تافها من أيدي كثيرة عندنا ؟ مع أن المعارف النظرية لإكماله وإعلانه موفورة ..

والجواب الذى لا أرى غيره : هو فقدان الإيمان الحار والاعتقاد الموجه .

وتحول الدين في القلوب إلى قوة كهربائية محاطة بالسواد العازلة المبطلة لأثرها ..

وقد عرض ذلك لأهل الكتاب الأولين فأفسد أمورهم وأحيط أجورهم .

وحذر الله المسلمين منه عندما قال لهم : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقتلت قلوبهم وكثير منهم فاسقون »^(٢).

(١) - التور : ٣٦، ٣٧ .

والواقع أن الإنسان العربي اليوم أشبه باليهود والنصارى أيام البعثة، وعلى عهد
الخلافة الراشدة !!

إنسان طال عليه الأمد، واستغل فؤاده دون هدايات الله .

بل وجد في العرب من يضيق بالانتساب إلى الإسلام، ومن يغضب إذا ذكر
بأحكامه وشرائمه وشعائره !!

ولن تقوم للعرب قائمة إلا بعودة حبة قوية واضحة للإسلام تنسج حياتيهم الفردية
والجماعية على المنوال الذي نسج حياة آبائهم في العصر الأول، فطلع بهم فجر ولد
بهم تاريخ ..

فوضى الحَسَالِ وَاحْرَامٌ .. في غيابِ التَّشْرِيعِ الْحَقِيقِ

الأمة الإسلامية اليوم تمثل جماهير كثيفة من الشعوب المختلفة . . .
والفارق بين الشعوب المختلفة والشعوب المتقدمة كثيرة ومنوعة، ويمكن ردها
إجمالاً إلى خلل حقيقي في الموهاب الإنسانية الرفيعة، خلل علّق هذه الموهاب عن
أداء وظائفها باقتدار وإجادة . . .

وليس يصعب على من يرقب الأمم المتأخرة أن يلحظ كسلها العقلى في ميدان
المعرفة، وكسلها العملى في ميدان الإنتاج، وضعف الأخلاق التى تحكم أقوالها
وأحوالها، وكثرة التقاليد التى تمثل طابع الرباوة والأثرة والملق والضياعين الفردى
والاجتماعى . . .

إن هناك انهياراً حقيقياً في البناء الإنساني للشعوب المختلفة !
والإصلاح الجاد يستهدف إعادة هذا البناء ودعمه خلقياً واقتصادياً وسياسياً . . .
ونحن - المستغلين بالدعوة الإسلامية - نعالج هذا العمل الشاق، وزراعة العقبات
التاريخية والطارئة التي تعرّض طريقنا وما أكثراها . . .

وهناك ناس يعملون لهذا الهدف، هدف بناء أمة جديدة، ولكنهم بمؤثرات شتى -
لا يرتبطون بالإسلام. ولا يستثرونه في حل مشكلة أو شفاء علة . . .
وظهر أن هؤلاء الناس هم الذين نشروا في ظل الاستعمار الأوروبي وأذاهبوا أن
تكون بلادهم محقورة الشأن، زرية الظاهر والباطن، فأرادوا أن تتحقق بالركب
المتقدّم عن طريق التشبه والاقتباس منه . . .

ولما كان علم هؤلاء بالإسلام قليلاً، فإنهم لم يحاولوا الإفاده منه أو الارتباط به .
بل مضوا في طريق التقليد للشعوب المنتصرة في ظاهر أمرها وباطنه .
وعذّرهم - أمم أنفسهم على الأقل - أنهم يبغون التهور بأمتهم .

ولست الآن بصدد نقد هؤلاء، ولا ذكر مواقفهم المعتنة من الدعاة المسلمين . . .

بل على العكس سأتناول باللوم والإنكار موقف بعض المتدربين القاصرين الذين يسيئون إلى الإسلام من حيث يتشدقون خدمته ..

إن تبذل النساء في هذا العصر بلغ حد السفه وهبط إلى درك سحيق من الحيوانية المنكورة ..

وصيحت الوعاظ لوقف هذا التيار تذهب بذها ..

لماذا ؟ لأن تناولهم لقضايا المرأة مشوب بالغموض أو الجهالة، متسم بالسلبية والعجز، محكوم بمقاييس ما أنزل الله بها من سلطان ..

وأغلبهم لو أمكنته الفرصة لرد المرأة إلى البيت وغلق عليها الأبواب، وحرمتها مختلف الحقوق المادية والأدبية، وجعلها القدم العرجاء للإنسانية السائرة أو الجناح المكسور للأمم الصاعدة ..!

وال المسلمين في العصر الماضي خالفوا الإسلام مخالفة مستaggerة في الطريقة التي تحييا بها المرأة .. !!

فهم حرموها حق العبادة - بتعبير العصر الحديث - وحظروا عليها دخول المساجد، ويوجد في أنحاء مصر نحو سبعة عشر ألف مسجد، لا ترحب بدخول المرأة، ولم يبن في أحدها باب مخصص للنساء، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجده بالمدينة المنورة ..

وقد بذلت بعض الجهود، لتغيير هذه الحال، ولم تنجح إلا في حدود تافهة .. ! مع أن صفوف النساء في بيوت الله كانت أحد معالم المجتمع الإسلامي الأول !!

وهم حرموها حق العلم - بتعبير العصر الحديث - فلم تفتح المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية والعلية للمرأة إلا بعد محاولات ومجادلات مضنية.

ولم تدخل الأزهر إلا بعد تطويره الحديث. مع أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل طلب العلم فريضة على الرجال والنساء، ومع أنه أمر بإخراج النساء وهن حوانن ليشهدن الخير ويعززن دعوة الإسلام ..

وهم رفضوا أن يكون لها دور في إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وصيانة الأمة بنشرالمعروف، وسحق المنكر، مع أن الله قال في كتابه : «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (١) .

(١) - التربية : ٧١ .

إن المفكرة التي سبّطت على أدمغة نفر من المتدينين هي عزل المرأة عن الدين والدنيا معاً، واحتياج كيانها الشخصي وكيانها المعنوي ..

ولا تزال هذه المفكرة أملأ يحرّكهم، ويحملهم على ترويج أحاديث موضوعة أو واهية، وتكتّل أحاديث صحيحة أو حسنة، وعلى تفسير القرآن الكريم باراء لم يعرفها أنتمه، ولا قام عليها مجتمع الأصحاب والتابعين !!

بل أستطيع القول : إن الجاهلية التي دفعت إليها المرأة المسلمة بهذا الفكر القاصر ، جعلتها دون المرأة في الجاهلية الأولى ..

فإن المرأة العربية ظهرت في بيعة العقبة الكبرى ، كما ظهرت مبايعة بعد فتح مكة ، وقارب عدد النساء المبايعات ستة مائة امرأة ..

ووجهة المتدينين تستكثر على المرأة المسلمة هذه المكانة الكبيرة ، وقد نتج عن هذا التفكير في قضية المرأة . وعن التفكير المماثل له في قضايا أخرى كثيرة أن ظلم الإسلام ظلماً شديداً ، وأن أساء بهطن من لم يحظ به خيراً ومن لم يحسن له فقها .. وعندى أن إفلات النهضة النسائية من قيود الإسلام الحقيقة يرجع إلى هذا العجز والغباء ..

وقد لاحظت أن بعض المصلحين الذين اشتغلوا بتحرير المرأة قد جرّأهم هذا الموقف على ارتکاب حماقات سخية ، بل جرّأهم على ترك الإسلام !!

فهم لما قاوموا بنجاح أخطاء بعض المتدينين اندفعوا في طريقهم مغالين فخطئوا الدين نفسه حيث لا مجال لتخطئه ، ولا مكان لتصويب ..

وإنه لمن المحزن أن يسيء الدعاة عرض دينهم في ميدان ما ، فترتفع الثقة بهم في كل ميدان . ثم يتفتح الباب على مصراعيه ليتناولون من شاء أحكام الإسلام بالمحروم والإثبات ، يقبل منها ما يعجبه ، ويرد منها ما ينبو عن مزاجه اللطيف !

أكتب ذلك وبين يدي كتاب مطالعة للمدارس الثانوية ألف على عهد وزارة المعارف وراجعه الدكتور طه حسين بك وأخرون.

في الفصل الثالث من هذا الكتاب حديث عن قاسم أمين وردت فيه هذه العبارات وصفاً له ولمذهبة في الحياة العامة يوم كان يلي منصب القضاء : « ولم يتقيّد في قضائه بأراء الفقهاء أو أحكام المحاكم مما يعتبره أكثر القضاة حجة لا محيد عنها ، بل لم يتقيّد بنص القانون إذا لم يصادف هذا النص مكان الاقتناع منه .. وهذا ما جعله ميالاً للرأفة في قضائه ، نافراً أشد التفور من حكم الإعدام !!».

فقد كان يرى «أن العفو هو الوسيلة الوحيدة التي ربما تفع لصلاح المذنب»، وأد «معقبة الشر بالشر إضافة شر إلى شر»، وأن التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص هما أحسن ما يعالج به السوء ويفيد في إصلاح فاعله، «وأن الخطيئة هي الشيء المعتاد الذي لا محل لاستغراه والحال الطبيعية الازمة لغريزة الإنسان...».

«فإذا كانت الجماعة لم ترقى بعد إلى إدراك هذه الأفكار وكانت قوانينها التي وكل إلى نظيفتها.. هكذا يتحدث قاسم أمين القاضي عن نفسه!!.. ماتزال تجربى على سنة القصاص والانتقام، وما تزال دموية متوجهة فلا أقل من أن يتحاشى الإعدام، وهو أشد ما فيها وحشية، وهو العقوبة الوحيدة التي لا سبيل لعلاجها إذا ظهر خطأ القاضي أو ثابتت الجماعة إلى رشدتها ورأت تعديل أساس عقوبتها بجعل العقوبة للإصلاح لا للقصاص، أو أخذت بمذهب العفو والتسامح».

والقارئ الذي يطالع هذه الجمل العميماء يحس أن صاحبها يصطدم بالوحى، ويكتب أن في القصاص حياة.

ويوغل مع الخبابل فيظن أن العفو العام في كل حال وعن كل شخص هو قاعدة الإصلاح الاجتماعي الصحيح !!

والكلام كله لغو قبيح، بل محنون يعزل صاحبه لا عن منصب القضاء وحسب، بل وعن الفتيا في مشاكل الناس.

ودعك من أن قائل هذا الكلام مجرد تعبيراً تماماً من احترام لنصوص الكتب والستة... !

ومع ذلك فإن طلاب المدارس الثانوية أيام وزارة المعارف، يقرءون عقب هذا الكلام الغث تلك العبارات.

«كنت روح قاسم روح أديب، وكانت الروح العصبية الحساسة الشائرة التي لا تعرف الطمأنينة ولا تستريح إلى السكون، وكانت الروح المشوقة التي لا تعرف الانزواء في ركن، بل تظل متمحصة للبحث والتنقيب حتى تنسى نفسها، وتستبدل بكل منها ما في الكون من نشاط وجمال.. .

وهي ظننا أن الدعوة إلى تحرير المرأة من رق الجهل، ورق الحجاب لم تكن كل برنامج قاسم أمين الاجتماعي وإنما كانت حلقة منه هي أسر حلقاته وأعقدها».. .

ونحن نقول: إن قاسماً وغیره من يهيج في الحياة منهجه كانوا شخصاً ينتصهم

قدر كبير من العلم الديني والعلم المدني ، وأنهم استغلوا القصور الشائنة التي غلب على المتعذثرين باسم الإسلام فهجموا على الأمور هجوما شاملـا كان شره أكثر من خيره ..

وربما استطاعوا أن يكتسحوا رجال الدين - إن صحت التسمية - في مجال النشاط النسائي لما علمت من حقيقة الموضوع .

لكن التطويـر بـشـرائع القصاصـ وـمن وـرـائـها بـقـيـةـ الحـدـودـ غـباءـ ضـارـبـ الجـذـورـ،ـ وـانـسـلـاخـ عـنـ الإـسـلـامـ لـاـ يـجـدـيـ فـيـ دـفـاعـ،ـ وـلاـ يـسـاقـ فـيـ عـذـرـ ..

إذا قال الله ﴿فِي الْقَصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(١) فجأةً غـرـيـبـ يقولـ فـيـ القـصـاصـ هـلاـكـ!ـ فـلـيـسـ هـذـاـ جـهـلـاـ فـقـطـ،ـ وـلـكـنـهـ اـرـتـدـادـ عـنـ الإـسـلـامـ وـكـفـرـ بـوـاحـ عـنـدـنـاـ مـنـ اللـهـ فـيـهـ بـرـهـانـ ..

وقد بلغـنـيـ أـنـ موـظـفـةـ فـيـ الإـذـاعـةـ،ـ فـيـ أـحـدـ بـرـامـيجـ السـكـكـ،ـ وـصـفـتـ قـطـعـ يـدـ السـارـقـ بـأـنـهـ وـحـشـيـةـ،ـ وـلـمـ يـفـاجـئـنـيـ هـذـاـ اـرـتـدـادـ الصـرـيـعـ فـيـ إـنـ التـمـهـيدـ الشـفـافـ لـهـ بـدـأـ مـنـ عـهـودـ الـاحتـلـالـ الـأـجـنـبـيـ لـشـتـيـ الـبـقـاعـ الـإـسـلـامـيـ ..

وـماـ نـقـلـنـاهـ هـنـاـ مـنـ آـرـاءـ قـاسـمـ أـمـيـنـ الـتـىـ وـضـعـتـ بـيـنـ يـدـيـ طـلـابـ الصـفـوفـ الثـانـيـةـ يـشـهـدـ لـذـلـكـ ..

وـنـزـيدـ أـنـ يـعـلـمـ الـفـاقـصـ وـالـدـانـيـ أـنـ كـلـ طـعنـ فـيـ نـصـوصـ الـإـسـلـامـ الـقـاطـعـةـ مـرـدـدـ علىـ صـاحـبـهـ،ـ وـأـنـهـ ضـرـبـ مـنـ الـأـرـتـدـادـ بـخـدـمـ الـاستـعـمـارـ الـحـاقـدـ عـلـىـ بـلـادـنـاـ وـتـارـيـخـنـاـ ..

وـلـافـرـقـ عـنـدـنـاـ بـيـنـ اـرـتـدـادـ جـزـئـيـ وـارـتـدـادـ كـلـيـ ..

فـيـانـ أـبـاـ بـكـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ حـارـبـ جـاحـدـيـ الزـكـاةـ مـعـ مـنـ عـادـ إـلـىـ الـوـثـيـقـةـ بـعـدـ وـفـاةـ الرـسـولـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ..

مـعـ أـنـ مـانـعـ الزـكـاةـ زـعـمـوـاـ أـنـهـمـ مـؤـمـنـوـنـ بـالـلـهـ وـإـقـامـ الصـلـاـ ..

يـدـ أـنـ هـذـاـ الزـعـمـ لـمـ يـخـدـعـ الـخـلـيـفـةـ الـأـوـلـ،ـ وـلـاـ جـمـهـرـ الـصـحـابـةـ،ـ فـقـاتـلـوـ الـفـرـيقـيـنـ جـمـيـعـاـ.ـ وـعـدـواـ هـؤـلـاءـ،ـ وـأـولـنـكـ كـفـارـاـ لـاشـكـ فـيـ كـفـرـهـمـ ..

وـالـحـقـيـقـةـ الـتـىـ لـمـ سـنـهـاـ أـنـ النـاقـمـيـنـ عـلـىـ شـرـائـعـ الـحـدـودـ وـالـقصـاصـ قـوـمـ لـاـ يـقـيـنـ لـدـيـهـمـ وـلـاـ صـلـاـةـ لـهـمـ،ـ وـأـنـ عـلـاقـتـهـمـ بـالـقـرـآنـ مـقـطـرـعـةـ،ـ وـأـنـهـمـ مـاـ يـسـتـقـونـ نـسـبـتـهـمـ إـلـىـ الـإـسـلـامـ إـلـاـ لـظـرـوفـ عـارـضـةـ،ـ أـوـ لـيـكـيـدـوـ اللـهـ وـهـمـ دـاـخـلـ دـاـثـرـتـهـ ..

(١) الـيـنـةـ ١٧٩

وكلمةأخيرة للمتصلين بالعلوم الدينية، إنه لا يشرفهم أن يدركوا رأياً نقهاها
ويجهلوا رأياً آخر ..

إنهم يضرون الإسلام ضرراً بالغاً حين تكون صورته في أذهانهم ناقصة أو
شائهة، ثم حين يزعمون مع هذا النقصان والتشويه أنهم علماء الدين وحراسه ..
إن القرن الأول - من بين القرون الأربع عشر التي تعشل تاريخنا - هو أقرب الصور
إلى حقيقة ديننا .. فكيف يحكم الإسلام «متن» من متون الفقه ألف أيام الأضمحلال
العقلى لأمتنا.

أو كيف يحكم الإسلام تصرف تركى في مجال السياسة أو المجتمع؟؟

لقد كان الاستبحار العلمى سمة ساطعة لأمتنا في أعصارها الأولى.

فلا يجوز أن يقطعننا عن هذا الماضي الزاهى جهل عارض ، أو فكر غامض .

و يوم يعود المسلمون إلى دينهم الحق ، فإن التخلف المزري اللاحق بهم اليوم
ستتجلى غمته وتكتشف ظلمته .

وسياخذون طريقهم مرة أخرى إلى الصداره ، والتقدير ..

* * *

اسلام واحد وإن اختلف الفقهاء

المومنون أفراداً وجماعات يتحررون صراط الله في مسالكهم كلها، ويجهدون أن تقع أعمالهم وفق مراد الشارع الحكيم سواء في العبادات المنشورة أو المعاملات المعقولة.

وغير المؤمنين يخطئون طريقهم في الحياة بجهدهم الفكري وتجاربهم الخاصة. وصلتهم بالوحى الأعلى مقطوعة أو واهية ..

وفي الوقت الذى تحكم فيه النصوص السماوية والقواعد الدينية حياة المؤمنين بالله، تجد غير المؤمنين ينشطون بغيرهم المجرد للتصرف في هذه الحياة، ووضع ما يرون من دساتير وقوانين يظنون أنها تكفل مصالحهم وتضمن سعادتهم ..

وقد اتسعت علوم السياسة والاجتماع والأخلاق والاقتصاد وغيرها من العلوم الإنسانية البحتة وانفردت بقيادة الإنسان على ظهر الأرض إلى جانب مجموعة من الفلسفات النظرية التي اشتغل بها العقل البشري من قديم ..

أما المؤمنون بالله، ونحن في هذا الفصل نعني المسلمين خاصة فهم يعتمدون على شمول التعاليم السماوية لشنون حياتهم، ويستغذون بها عمما وراءها من مذاهب ونظريات ..

معتقدين أن في هدایات الله الغنى الكامل، وأن الله جل شأنه قد ضبط معاشهم ومعادهم بكلامه، وسنة نبيه، فلا مكان لشيء آخر بعد .. !

﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان .. ﴾^(١).

﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبيانات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾^(٢).

والحق أن الوحي الإلهي في الرسالة الخاتمة قد كفى وشفى فحدد حيث ينبغي

٢٥ - (٢) - الجديد :

(١) - الشورى : ٦٧ .

التحديد، وفصل حيث يستحب التفصيل، وأجمل وعمم حيث يقتضي الأمر إرسال التعليمات مجملة عامة ..

وتحت العقل على أداء وظيفته في الفقه والاكتشاف والتبصر والاعتبار، وحذره أن يجاذب الحق بالمحدس والتخيّل، وأن ينذر قواه في اقتحام الغيب المعجزة ..
كما علمه الأدب مع الله ورسوله، فلامكان لاقترابه حيث يتكلم الوحي، ولا
لابتداعاته حيث مضت السنة ..

والمعانى التى قررناها آنفًا ليست موضع خلاف بين المسلمين، ولكن الخلاف
أخذ لوناً آخر يقترب اقتراب شديدة من هذا الموضوع ..

فقد تساءل أسلاقتنا - غفر الله لهم - عن مكانة العقل بالنسبة إلى العظر والإباحة،
وال فعل والترك، والاستهجان والاستحسان. وكانت إجابة كثير منهم أن العقل في هذا
الميدان صفر، وأن الشرع وحده هو كل شيء ..

وفي هذه الإجابة غموض وجور ..

فإن العقل يستطيع بنوره الذاتي أن يعرف الشر في أشياء كثيرة، وأن يلحظ الخير في
أشياء كثيرة ..

وقد لفت القرآن الإنسان إلى أنه بفطرته قادر على التفرقة بين شناعة الجهل وكراهة
العلم «قل هل يسوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يذكر أولو
الآباب»^(١).

وإلى أنه بفطرته يستقبح الظلم، ويأبى الحكم به «أم حسب الذين اجترحوا
السيئات أن يجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سوا معياهم ومما هم ساء
ما يحکمون»^(٢).

صحيح أن العقل الإنساني بحاجة إلى عون من الله ومدد من الوحي ..
بيد أن هذه الحاجة لا تعنى بخس قيمته ولا التهويين من قدرته المحدودة في مجالى
التحسين والتقييم ..

لأن جمهور السلف رأى - سدا لباب الاستغناء بالعقل - أن يجعل الشارع صاحب
الكلمة الأولى والأخيرة في هذا المجال، ويقرر هذا العلامة الزنجانى في كتابه^(٣)
«تغريب الفروع على الأصول» فيقول:

(١) - المؤمر ٩

(٢) الجائحة ٢١

(٣) - أحرجت جامعة دمشق هذا الكتاب في سنوات الأخيرة وهو من ذخائر الفقه الإسلامي .

ذهب الشافعى رضى الله عنه وجماعير أهل السنة إلى أن الطهارة والنجاسة وسائر المعانى الشرعية كالرلق والملك والعنق والحرمة، وسائر الأحكام الشرعية، ككون المحل ظاهرأ أو نجساً، وكون هذا الشخص حراً أو مملوكاً، ليست من صفات الأعيان المنسوبة إليها، بل أثبتها الله تحكماً وتعبداً، غير معللة !! لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه : « لا يُسأل عما يفعل وهم يستلون »^(١).

ولا تصل آراؤنا الكليلة، وعقولنا الضعيفة، وأفكارنا القاصرة إلى الوقوف على حقائقها، وما يتعلّق بها من مصالح العباد، فذلك حاصل ضمناً وتبعاً، لا أصلاً ومقصوداً، إذ ليست المصلحة واجبة الحصول في حكمه.

واحتاج على ذلك : بأن الله تعالى إذا جاز أن يعاقب الكافر على كفره، والفاقد على فسهه ولا مصلحة لأحد فيه، جاز أن يشرع الشرائع، وإن تعلّق بها مفسدة، ولا يتعلّق بها مصلحة لأحد^(٢).

ولذلك نرى الله تعالى كلف الإنسان ما ليس في وسعه فقال تعالى : « فأنوا بعشر سور مثلك مفتريات »^(٣) « فأنوا بسورة مثله »^(٤) وقال للملائكة « أتبئوني بأسماء هؤلاء إن كتم صادقين »^(٥) وكل ذلك تكليف للإنسان ما ليس في وسعه، وذلك ضرر لا مصلحة فيه^(٦).

وس هذه القاعدة أن الله تعالى مالك الملك وخلق الخلق، يتصرف في عباده كيف يشاء، ولا كذلك الواحد منا، فإنه إذا أصر بغيره كان متصرفاً في ملك الغير بالضرر، وذلك ظلم وعدوان

وذهب المتممون إلى أبي حنيفة رضى الله عنه من علماء الأصول إلى أن الأحكام الشرعية صفات للمحال والأعيان المنسوبة إليها، أثبتها الله تعالى، وشرعها معللة بمصالح العباد لا غير.

كما أن الحسن، والنبع، والوجوب، والمحظر، والندب، والكرامة، والإباحة، من صفات الأفعال التي تضاف إليها.

غير أنهم قد اختلفوا في الأحكام الأفعال إلى : ما يعرف بمجرد العقل، وإلى ما يعرف بأدلة الشرع على ماصيى

(١) - ٢٢ ، ٢١ .

(٢) - سرى خطأ ذلك الت قول فضلاً عما فيه من مغالطة .

(٣) - البقرة : ٣١ .

(٤) - انظر التعليق رقم (٢) من هذا الهاشم .

(٥) - هود : ١٣ .

أما أحكام الأعيان فقد اتفقوا على أنها كلها تعرف بأدلة شرعية، ولا تعرف بمجرد العقل، وأنها كلها ثبتت بإثباتات الله تعالى.

واحتجوا في ذلك بقياس الشاعر على الغائب، بناء على قاعدة التحسين والتقييع، وزعموا أن شرع الحكم لا لمصلحة عبث وسفه، والعبث قبيح عقلاً.
وهو كإقدام الرجل اللبيب على كيل العاماء من بحر إلى بحر ! فإنه يقع منه ذلك ويستحق الذم عليه.

وإذا تمهدت هذه القاعدة فنقول : الشافعى رضى الله عنه حيث رأى أن التعبد في الأحكام هو الأصل غالب احتمال التعبد، وبني مسائله في الفروع عليه ..

وأبو حنيفة رضى الله عنه حيث رأى أن التعليل هو الأصل بني مسائله في الفروع عليه، فتنزع عن الأصول المذكورين مسائل .. إلخ.
ولست هنا بصدد ترجيح مذهب الأحناف، وتضييف رأى الجمهور فالامر عندي أعمق من ذلك.

إن المسلمين كافة يعلمون أن الله هو القاهر فوق عباده وأنه ليس لبشر ما أن يقف أمامه إلا عانى الوجه، مكسور الشوكة .. !

وإن إرادته نافذة في أرجاء الملوك لا يعترضها إنس ولا جن « ألا ه الخلق والأمر ببارك الله رب العالمين »^(١).

لكن الله - وله المجد الذي لا يبلى - خلق السموات والأرض بالحق لا بالباطل وسير الكائنات في البر والبحر والجو بالحكمة لا بالغوضى، ودبر الأمور من الأزل إلى الأبد وفق نظام دقيق لا خطط عشواء، ولا تقدير مجازف .. « وكل صغير وكبير مستطر »^(٢).

فكيف يتصور في شرائعه أن تتجنب المصلحة أو تنطوى على مفسدة ؟
إنه حقا لا يسأل عما يفعل، ولكن لماذا تتصور أن من ذاته فرق المسؤولية يجوز أن يصدر عنه ما لا ينبع ؟ بحجة أنه مالك الملك ؟ ..

الأولى من ذلك والأدنى إلى الصواب أن تعرف حدود الدائرة التي يستطيع فيها العقل البشري الإدراك الصحيح والحكم السديد ..

(١) - الأعراف : ٥٤ .

(٢) - القراء : ٥٣ .

إن الإنسان الفرد يتفاوت حكمه في مراحلتين من عمره على شيء واحد، وربما استيقع وهو شيخ ما كان يستحسن وهو شاب ..

وربما نسج القصور غشاوة كثيفة أو خفيفة على أبصارنا فظننا نفعانا ما هو ضار بنا **﴿وَعُسَىٰ أَن تَكْرِهُوا شَيْنَا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعُسَىٰ أَن تَعْجُلُوا شَيْنَا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَتَمُّ لَا تَعْلَمُونَ﴾**^(١).

إذا توهمنا عوجاما في مظاهر الخلق أو جورا ما في أحوال الناس فلتتهم أفكارنا نحن ولنعرف بقلة علمنا، بدل أن نقول **«لا يسأل عما يفعل»**.

وأعني علماء المادة يعترف بأن ما نجهل أضعاف أضعف ما نعلم، وأن حصيلة الذكاء البشري طوال القرون تشبه عودا من الثقب أو قد في ظلمات ليل ضرير الأفاق ! إنه ما يرى في هذا الكون الكبير إلا التزير البسيط ..

وقد شاء رب العالمين أن يزود الإنسان بالعقل ليستبين به في نطاق محدود الخير من الشر والخطأ من الصواب، كما زود العين بالقدرة على الرؤية في نطاق أبعاد معينة ..

وربما أحصيت العين بعاهة عارضة تمنعها من النظر بعيد أو القريب بيد أن ذلك لا يعني أن طبيعة العين العجز عن الرؤية.

وكذلك لا نسلم لأحد القول بأن العقل عاجز بطبيعته عن إدراك الحسن والقبح في الأشخاص والأشياء.

ولا نسلم أبدا بأن الكذب والصدق، والعدل والجور معان متساوية القيمة أصلا حتى تنزل الوحي الأعلى فحسن هذه وقبح تلك ..

والذى نراه أن جمهور المسلمين وفي مقدمتهم الإمام الشافعى رضى الله عنه يقصدون بكلامهم فى التحسين والتقييم رفض تحكيم الفلسفة العقلية فى مصير الإنسان ومصيره، وحاضره ومستقبله، وشنون حياته كلها ما دق منها وما جل ..

وهو مذهب خطير بلا ريب، بل هو تجاهل لرسالات الله كلها، واستعلاء على ما جاء بها، وقبول ما يعجب، ورد ما لا يعجب ..

ومن فجر الخلقة حاول الإنسان أن يعتمد على نفسه فى الفعل والترك والقبول والرفض.

(١) - البقرة : ٢١٦ .

وفي عصرنا هذا أعطى الإنسان نفسه حرية مطلقة في التشربungen العام والخاص ..
وتصرف في شتى التقاليد بالمحظ والإبات .. وجعل حقه في التحسين والتقييع فوق
ما قرع آذانه ليلًا ونهاراً من آيات الله والحكمة.

وما يختلف مسلم ومسلم في أن ذلك المثلث مردود جملة وتفصيلاً.

وإذا كانت هناك الآن مقررات في علوم الاجتماع والاقتصاد، أو في ميادين السياسة والقانون تختلف مع نصوص الدين أو قرائعده العامة، فهى فى نظر فقهاء المسلمين قاطنة منكورة مبعة ..

فإن أوامر الله ونواهيه هي المصدر الأعلى، أو قل هي المصدر الأول لما يحظر
أو يباح.

وقد عاد الزنجانى فى كتابه القيم « تخریج الفروع على الأصول » إلى هذا الموضوع مرة أخرى فقال:

ذهب جماهير العلماء إلى أن التحسين والتقبیح راجعان إلى الأمر والنهي، فلا يقبح شيءٌ لعيته، ولا يحسن شيءٌ لعيته بل المعنى بكل منه قبيحاً أو محظياً، أنه متعلق بالنهي والمعنى بكل منه حسناً أو واجباً أنه متعلق بالأمر.

واحتجوا في ذلك بأن إيجاب العقل شيئاً من ذلك لا يخلو: إما أن يكون ضرورياً، أو نظرياً.

والأخير، فإن الضروريات لا تنازع فيها، كيف ونحن جم غفير وعدد كبير لا نجد أنفسنا مضطربين إلى معرفة حسن هذه الأفعال ولا بقى نفانها ..
والثاني أيضا محال لإفضائه إلى التسلسل.

وذهب المتنمرون إلى أبي حنيفة رضي الله عنه من علماء الأصول إلى أن الأفعال تقسم إلى ثلاثة أقسام:

فمنها ما يستغل العقل بدرك حسنة وفبحه بديهية، كحسن الصدق الذي لا ضرر فيه
وقبح الكذب الذي لا نفع فيه.

ومعنى استقلال العقل بدرك ذلك عندهم، أنه لا يتوقف على إخبار مخبر ومنها:
ما يدرك حسنه وفبحه بنظر انعقل «كحسن الصدق المشتمل على الضرر» ^٢ وقبع
الكذب المشتمل على الفتن» ^٣.

ومنها، ما لا يستقل العقل بدرك حسنه وقبحه أصلاً، دون تبيه الشرع عليه كحسن الصلاة والصوم والحج والزكاة، وقبح تناول الخمر والخنزير ولحوم الحمر الأهلية. وزعموا أن أمر الشرع في هذا القسم ونفيه كاشف عن وجه حسن هذه الأفعال وقبحها لعلمه بأن امتناع أمره فيها يدعو إلى المستحسنات العقلية، وكذلك الترک في نقاضها من المنهى ..

واحتاجوا على كون العقل مدركاً لمعرفة الحسن والقبح، بأن البراهمة يقبحون ويحسنون مع إنكارهم الشرائع وجحدهم النبوت ..

وقد رفض الزنجاني مذهب الأحناف الذي صوره في إيجاز، وأثر عليه غيره. والذي نعود إلى توكيده أن الله جل شأنه هو الحاكم المقصط، وأنه لا يشرع إلا ما فيه صلاح أمرنا في العاجل والأجل، وأنه من هنا عقولاً تستطيع أن تبصر وجه الحكمة في أغلب ما شرع، وأن ما يفوتها عرفانه فلقصورها عن الإحاطة بكل شيء.

وذلك معان لا يختلف الفقهاء فيها، وما ورد يشعر بخلاف فأساسه الهرج النفسي من مذاهب حازرة عن الطريق الحق أو بتغيير فقهاً الأقدمين أساسه «سد الذريعة».

وأريد أن أخلص من هذا الاستعراض إلى حقيقة تتصل بموضوع هذا الكتاب .. إن المذاهب الفقهية في الإسلام يمكن بعضها ببعض ولا يغنى أحدهما عن الآخر ..

إنها كلها تمثل الفكر الإسلامي الرحب الذي يجب أن يدرس، ويبحث، ويُخضع للنقد، والمقارنة، والترجيح، والمحو، والإثبات ..

ونحن شديدو الاحترام لأنتما الأوليائ، عظيمو التقدير لذكائهما الخارق، وتقوائم لله، ونصحهم للأمة، ومقاومتهم للجور ..

غير أننا نشعر بأن كل واحد منهم يمثل لوناً من التفوق الذهني والمناهج العلمية، وأن الإسلام مجموعة هذه الألوان وغيرها مما يجد على اختلاف الليل وإنها من اجتهاد الفقهاء، وتطبيق الكتاب والسنة على مختلف الشئون ..

إننا حين نطلب تحكيم الإسلام لا نفكّر في إقامة دولة مالكية، أو دولة حنبليّة، وهذا حمق في التفكير ..

إن الإسلام الذي نستهدى به هو :
أولاً : الأصول المعصومة من كتاب وسنة.

وثانياً: جهد العقل الإسلامي في مواجهة الأحداث المتباينة في تاريخه الطويل،
ومدى ما أحرز من توفيق، أو عرض له من خطأ ..

ونحن المسلمين في هذا العصر نواجه الفكر الإنساني القادر من شتى القارات،
العارض لأنواع الحضارات، المصور لعشرات التزعمات والفلسفات، فكيف يلقى هنا
الفيلسوف الغامر رجل محصور في مذهب فقهي تعصب له؟ أو رجل يتسب إلى فرقه
إسلامية ولد في أحضانها ..؟

إن على دعاة النهضة الإسلامية المعاصرة أن ينخلعوا من هذه القيود وأن تكون
لديهم إحاطة علمية بما لديهم مهما كان الرأي فيه.

وحسن الإدراك لثقافتنا في أصولها وفروعها شئ ! وما يميل إليه المرء من رأى أو
يؤثره من وجهة شئ آخر ..!

ويؤسفني أن تكون أزمات المعرفة في بلادنا، وبين رجالنا، بعض الضيق الذي نشعر
به في جوانب حياتنا كلها، المادية والأدبية.

وما يخدم الإسلام بهذه الفاقلة، ولا هذا الانحصار ..

* * *

ختام

قد يستطيع العرب استيراد السلاح من جهة أو أخرى كي يستردوا حفهم الضائع،
ويداروا جراحاتهم الفائرة ..

ولكنهم لو أداروا ظهورهم لله ثم جمعوا سلاح المشرق والمغرب فلن يدركوا به
إلا ذل الدهر وخذلان الأيد !!

ولن يعني عنهم أن يعطف عليهم ذلك الفريق، أو يشد أزرهم ذلك الفريق «أمن
هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور» (١) ..
ليس أمام العرب إلا طريق فذ لنطهير أرضيهم، وطرد عدوهم واستعادة النصرة إلى
وجوه كساها الهوان ..

هذا الطريق هو العودة إلى الإسلام ظاهراً وباطناً، وترسم خططاً السلف الأول في
صدق الإيمان وحسن العمل ..

لقد اختار الله العرب ليحملوا أمانات الوحي بعد أن عبّث بها بني إسرائيل ..

فإذا استهان العرب بهذا الاختيار الإلهي، وقرروا أن يدعوا العمل بالإسلام، وأن
يتركوا الدعوة إليه، ورأوا أن يتتحققوا أذناباً أو رؤوساً يأخذى الجبهتين المتنافستين في
العالم فهيهات هيهات أن يفلتوا من عقبى هذا الارتداد الخسيس وتلك الخيانة
الفاجرة !!!

.. إنهم لن يجعوا من هذا المسلك إلا خيبة السعي وضياع الجهد ..

.. إن الله لا يترك الناقصين لعهوده يمرون بسلام ..

.. أهون ما يلقونه أن يغلبهم ذباب الأرض وإخوان القردة ..

.. وذلك هو حصاد الغرور ..

(١) - الملك : ٢٠ .

.. أما طريق الشرف والكرامة فأساسه أن يعرف العرب: بم كانوا أمة؟ وكيف
صار لهم في التاريخ الإنساني وجود ..؟

لقد طفر الإسلام بهم طفرة رحيبة الأماد، ونقلهم من عصابات همل إلى رواد
حضارة، ومن أخلاق شهورات إلى قادة هدى وبر، وأصحاب صلاة وزكاة .. !!
فهل جزاء الإسلام الذي رفع خسيستهم أن يأبوا النسبة إليه، وأن يرفضوا إنفاذ
أحكامه وإعلاء شعائره؟

وهل يستكثرون بعد هذا الكثود المر أن يصابوا بالهزائم التي تنكسر بها الرءوس
وتشحب لها الوجوه ؟؟ (لقد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر
عليهم السقف من فوقهم وآتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) (١).
ليس للنصر إلا طريق واحد.

أن يعلن العرب إسلامهم، وأن ينشروا بروح الإيمان ما مات من أحوالهم
وأعمالهم، وأن يسلموا وجوههم لله ثم يمسوا بأصابعهم أى شيء في متناول اليد
فسوف يتحول إلى آلة نصر وفتح نجاة .. !!

إنني ألمح على الأفق القريب أو البعيد رهبان الليل فرسان النهار وهم يجتازون
الحدود مطاردين الظلام الذي غزتنا بوادره ..

وكأني أسمع صرخات التكبير والتوكيد تتجاوب بها أرجاء الصحراء، وتهتز بها
بطون الأودية وهي تُنكس أمان بنى إسرائيل في أرض المعاد وتؤكّد للقرون الباقيّة من
عمر الدنيا أن رسالة محمد لم تفن ولن تفنى، وأن القرآن الكريم هو كلمة الحق الباقيّة
إلى يوم الدين ..

لقد أقبل بنو إسرائيل يحددون الله ورسوله، ويريدون بناء مملكة للتوراة والتلمود
على أنقاضنا !!

ولقد أعنهم على إدراك ماربهم خصوم الحق والشرف، وورثة العداوة والبغضاء
من أحفاد الصليبيين الأقدمين .

يد أن أحد الميبلل منا مثل ما نلنا نحن من أنفسنا !!

لقد تركنا - من بضعة قرون - البدع والخرافات والانحرافات تطرح بنا عيдаً عن
دينتنا، حتى مهدت للاستعمار سبل الغلب علينا ..

(١) الحديد : ٢٦ .

ثم تركنا المستعمر الغاصب يمحو ويثبت كيف يشاء من تعاليمنا، وتقاليدنا،
وأفكارنا، ومشاعرنا، ويقحم من دسه وغثه ما يزيدنا خبلاً ..

ثم تركنا الأجيال الناشئة تبت وهي تستغرب دينها ولعنتها وتاريخها ومثلها،
وتتحرك على ظهر الأرض مدفوعة ثارة بنداء الأثرة، وثارة بنداء القومية الضيقة ..

فلما اصطدمنا بالمتعصبين لدينهم، دون أن يكون لنا دين نزار له، ونفار عليه،
ونغالى به، كانت النهاية القابضة الأسيفة؟ ووكلنا الله لأنفسنا .. !!

فهل ننسف كل هاتيك العقبات قديمها وحديثها، ونمضى قدماً يوم النصر؟
إن عدة ذلك الإسلام وحده ..

أمل أن يهتدى العرب إلى رسالتهم. وأن يحملوا رايتها، وأن يستندوا إلى ربهم ثم
يرموا بأعدائهم من حيث جاءوا ..

أما قبل ذلك .. فلا شيء.
إلا حصاد الغرور .. !!

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة

٥	المقدمة
١٣	صراع بين رسالتين
٤٣	يهودية وصهيونية
٦٢	من أين تهب رياح التغيير
٦٧	هل عن الإسلام غنى؟
٧٣	متى تنتهي هذه الأحقاد؟
٧٨	جذور المعركة القائمة
٨٣	هذا هو الطريق
٨٨	القيم الروحية .. كلمة غامضة مبهمة
٩٢	لم احتفلوا وماذا استفادوا؟
٩٧	أجيال النصر وأجيال الهزيمة
١٠١	اذكروا .. واحذروا
١٠٦	هذه البقايا النجسة
١١٢	بواطن الحقد على لغتنا
١١٨	تفتیت الحقيقة بداية التحول عنها
١٢٣	جهاد الغرباء
١٢٧	الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهوا
١٣٢	أمانة الإسلام هي الهدف الأخير
١٣٨	حديث ذو شجون

١٤٤	تزوير التاريخ
١٥١	نهج الأحرار وراء نبيهم البطل
١٥٧	مستقبل العلاقات بين الدين والمتدينين
١٦٥	التبشير الأمريكي يضغط على أندونيسيا
١٨٢	التبشير والاستعمار والأم أخرى
١٨٩	عدوان إلى آخر رقم
١٩٤	سير الأمم بين الأصالة والتجديد
١٩٩	تناول الدين بين الجد والهزل
٢٠٥	فروضي الحلال والحرام .. في غياب التشريع الحق
٢١١	إسلام واحد وإن اختلف الفقهاء
٢١٩	ختام
٢٢٢	محتويات الكتاب

رقم الإيداع: ٩٨/١٨٦٢

الترقيم الدولي | 8 - 0422 - 09 - 977 I.S.B.N

مطالع الشروق

الناشر: A: شارع مسيو نصرى - ت. ٤٣٣٩٩ - ٩٥ (٠٢) ٣٧٦٦٧
بيروت | ص.ب: A٦٦٣ - هاتف: ٢٨٤٥٩ - ٣٧٢١٣ - فاكس: ٢٨٧٧٦٥ (٠٢)

حَلَّةُ الْفُرُور

أحسن قلقاً بالغاً على مستقبل الإسلام وأمته وأوطانه، فإن القوى المخاصة له تطمع في استئصال حقيقته، واستباحة بيضته ..

وهي ترى أن الظروف ملائمة لبلوغ هذه الغاية الهائلة ..!

وعندما أنتظر إلى الواقع الكثيف أجده أعداءنا يتندمون بخطا ونبدة، وخطط ضريرة حيناً، ما كره حيناً آخر ..

ولكنها خطط مدروسة على كل حال، محسوبة المبادئ والنهيات، لا مكان فيها للدعوى والمغالطات، ولا للارتجال والمجازفات ..!

وعندما أشعر بأن حلقات الحصار تضيق حول الإسلام، وأن مكاسب عداته تكثر على مر الأيام أسائل: هل وعي تاريخنا الطويل أحوالاً في مثل هذه القسوة والخبطة..؟
وأتردد في الجواب قليلاً !!

لقد سقطت الدولة الإسلامية قديماً، وناوشها الأعداء من الشرق والغرب، واحتلوا عواصمها، وألحقوا بها أندح الخسائر .. ومع ذلك نهضت من عناثها واستأنفت المسير، فلم لا تكون ظروف اليوم كظروف الأمس ؟

وأقول لنفسي: علٰ !!

5 221102 000505

